

الْقِسْمُ الثَّانِي
فِي الْأَسْبَاطِ

تَأَلَّفَ
مَجْدُ الرَّشِيدِ هَمْدِي

مُطْبَعَةُ
بَيْتِ الْأَسْبَاطِ





مكتبة هُمَن قريش

لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه
(الإمام الصادق (ع))

moamenquraish.blogspot.com

القيادة

في الإسلام

تأليف : محمد الرئيشهري

تعريب : عليّ الأسدي

القيادة في الإسلام / محمد الرُّشْهري، تعريب علي الأسدي.. قم: دار الحديث، ١٣٧٥.
٤٧٨ ص.

ALQIADEA FI AL ISLAM

العنوان بالانجليزية

١. الإمامة. ٢. ولاية الفقيه. ٣. الإسلام والدولة. الف. العنوان.

٢٩٧ / ٤٥

٩٠٠ م / ٨ / ٢٢٣ BP

ISBN : 964 _ 5985 _ 34 _ X شابک : ۹۶۴ _ ۵۹۸۵ _ ۳۴ _ X

الكتاب : القيادة في الإسلام

المؤلف : محمد الرّيشهري

التعريب: على الأسدي

الناشر: دار الحديث

لایتو غراف : تیزهوشی

المطبعة : دار الحديث

الطبعة: الأولى

الكمية : ٣٠٠

السعر: ١٦٠٠ تومان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دليل

الموضوعات

دليل الموضوعات

٢١	تمهيد
٢٣	المدخل
٢٤	أنواع الإمامة والقيادة
٢٤	الإمامة الإبراهيمية
٢٥	الأمة الإبراهيمية
٢٦	القيادة الفرعونية
٢٧	المجتمع الفرعوني
٢٨	أنواع القيادة القيّمية
٢٩	الخلاصة

القسم الأول : فلسفة القيادة

٣٣	الفصل الأول : القيادة السياسية
٣٣	القيادة السياسية من منظور المذاهب الإسلامية
٣٤	القيادة السياسية من منظور المذهب المادي

٣٦	ما معنى تعميم الإمامة؟
٣٩	القيادة السياسيّة من منظور إسلامي
٤٠	ضرورة القيادة السياسيّة
٤٢	١ - قول الحقّ شيء، والاعتقاد بالحقّ شيء آخر
٤٢	٢ - أسلوب مواجهة شعار المتظاهرين بالثورة
٤٣	٣ - ضرورة إقامة الحكومة
٤٤	فلسفة ولاية الفقيه
٥٠	فلسفة إمامة المعصوم
٥١	تعريف المعصوم
٥١	الفرق بين المعصوم والمجتهد
٥٢	أعلى درجات القيادة
٥٣	الخلاصة
٥٥	الفصل الثاني : القيادة الأخلاقيّة
٥٦	درجات القيادة الأخلاقيّة
٥٨	ولاية القادة الأخلاقيّين
٥٩	نموذج القيادة الأخلاقيّة
٦٠	الخلاصة
٦١	الفصل الثالث : القيادة العلميّة
٦٢	قيادة القرآن العلميّة
٦٣	قيادة المعصوم العلميّة
٦٤	مناظرة عمر بن أذينة مع قاضي الكوفة
٦٧	مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد
٧١	الخلاصة

٧٣	الفصل الرابع : القيادة الباطنيّة
٧٣	تعريف الولاية التكوينيّة
٧٤	درجات الولاية التكوينيّة
٧٤	١ - السيطرة على النفس
٧٥	٢ - التغلب على الخيال
٧٦	٣ - القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة ماديّة
٧٦	٤ - السيطرة التامة على الجسم
٧٦	٥ - السيطرة على الكون
٧٧	بضع ملاحظات
٧٩	فلسفة الولاية التكوينيّة
٧٩	دور الإمام في هداية الإنسان باطنيّاً
٨٤	عرض أعمال الأئمة على الإمام
٨٦	دور الإمام في نظام الأرض
٨٦	دور الإمام في النظام الكونيّ
٨٨	الخلاصة

القسم الثاني : موقع القيادة

٩٣	الفصل الأوّل : القيادة من منظار القرآن الكريم
٩٣	أ : عهد الله
٩٤	ب : سبيل الله
٩٨	الخلاصة
٩٩	الفصل الثاني : القيادة من منظار النبي ﷺ
٩٩	أ : القيادة الربانيّة محور الثورة الإسلاميّة

١٠١	عصر العلم وعصر الجاهلية
١٠٣	أيّ إمام تجب معرفته؟
١٠٥	ب : القيادة الربّانية شرط لقبول الأعمال الصالحة
١١١	الخلاصة
١١٣	الفصل الثالث : القيادة من منظار أهل البيت (عليه السلام)
١١٣	أ - موقع القيادة القيّميّة
١١٣	١ - أسرة التوحيد والإمامة
١١٦	٢ - مفتاح المبادئ الإسلاميّة
١١٨	٣ - أسس الإسلام النامي
١٢٠	ب : خطر القادة المناوئين للفضائل والقيم
١٢٠	١ - باطن الأذناس جميعها
١٢١	٢ - أساس الشروع جميعها
١٢٣	الخلاصة
١٢٥	الفصل الرابع : القيادة من منظار أتباع أهل البيت (عليه السلام)
١٢٥	المعيار في أصول الدين
١٢٦	الإمامة من أصول الدين
١٢٧	الإمامة من منظار أهل السنّة
١٣١	الخلاصة

القسم الثالث : مؤامرتان خطرتان

١٣٥	الفصل الأوّل : فصل القيادة
١٣٦	المؤامرة الكبرى
١٣٨	كيفية فصل الدين عن السياسة

١٤٤	الأحاديث الموضوعية والحكومات الفاسدة
١٤٩	الخلاصة
١٥١	الفصل الثاني : تحريف القيادة
١٥١	أقسام التحريف
١٥١	أ - التحريف الجلي
١٥٤	ب - التحريف الخفي
١٥٥	سرّ حكومة أئمة الجور
١٥٨	جذور التحريف
١٦١	مقارعة الظلم واجب عقلي
١٦٢	التعارض مع القرآن الكريم
١٦٤	التعارض مع سيرة الأئمة
١٦٨	التعارض مع أحاديث القيام
١٧٧	الخلاصة

القسم الرابع : خصائص القيادة

١٨١	الفصل الأول : معرفة الإسلام
١٨٢	تعريف الاجتهاد
١٨٣	معرفة الموضوع والاجتهاد
١٨٤	الخلاصة
١٨٥	الفصل الثاني : العدالة
١٨٦	درجات العدالة
١٨٦	١ - العدل العقدي
١٨٦	٢ - العدل الفقهي

١٨٧ ..	٣ - العدل الأخلاقي ..
١٨٧ ..	٤ - العدل العرفاني ..
١٨٨ ..	العدالة والقيادة ..
١٨٩ ..	نظرة على العصمة ..
١٨٩ ..	ملاحظات تستحق الاهتمام ..
١٩١ ..	الخلاصة ..
١٩٣ ..	الفصل الثالث : الإدارة ..
١٩٤ ..	الفصل بين القيادة والمرجعية ..
١٩٥ ..	الإدارة فطرية أم اكتسابية؟ ..
١٩٦ ..	دور التعليم والتجربة في الإدارة ..
١٩٨ ..	دور شرح الصدر في الإدارة ..
٢٠٠ ..	شرح الصدر بالكفر ..
٢٠١ ..	الخلاصة ..
٢٠٣ ..	الفصل الرابع : الوعي السياسي ..
٢٠٤ ..	السياسة في قاموس الساسة التقليديين ..
٢٠٦ ..	أنت أسوس أم أنا؟! ..
٢٠٧ ..	السياسة من منظار الإسلام ..
٢٠٩ ..	السياسة والشيطنة! ..
٢١٠ ..	انتقاد سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ..
٢١٤ ..	الخلاصة ..
٢١٥ ..	الفصل الخامس : معرفة الزمان ..
٢١٧ ..	معرفة القادة الربانيين بالزمان ..
٢١٧ ..	معرفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بزمانه ..

٢٢٠	معرفة الفقهاء بالزمان
٢٢٣	الخلاصة
٢٢٥	الفصل السادس : معرفة الناس
٢٢٥	النبي ﷺ ومعرفة الناس
٢٢٧	الإمام أمير المؤمنين ﷺ ومعرفة الناس
٢٢٨	الأئمة ومعرفة الناس
٢٣١	الخلاصة
٢٣٣	الفصل السابع : مداراة الناس
٢٣٤	النبي ﷺ ومداراة الناس
٢٣٥	وقاية الأتباع من الانحراف
٢٣٦	تأليف قلوب الأعداء
٢٣٧	وقاية القيادة من الأراجيف المثارة ضدها
٢٣٧	الإمام أمير المؤمنين ﷺ ومداراة الناس
٢٣٩	سياسة الإمام ﷺ في مواجهة الانحرافات
٢٤٦	الخلاصة
٢٤٧	الفصل الثامن : الجاذبية الأخلاقية
٢٤٧	الجاذبية الأخلاقية لنبينا ﷺ
٢٤٩	اعتراف العدو
٢٥١	الخلاصة
٢٥٣	الفصل التاسع : السبق إلى العمل
٢٥٨	الخلاصة
٢٥٩	الفصل العاشر : الإيمان بالهدف
٢٥٩	المثل الأعلى للإيمان
٢٦٣	الخلاصة

٢٦٥	الفصل الحادي عشر: الأمل بالنجاح
٢٦٥	النبي ﷺ والأمل بالنجاح
٢٦٦	الانتصار على الفرس والروم
٢٦٧	الإخبار بظهور الإسلام على الدين كله
٢٦٧	تفسير النجاح
٢٦٩	الخلاصة
٢٧١	الفصل الثاني عشر: علو الهمة
٢٧١	آثار علو الهمة
٢٧٢	آثار قصر الهمة
٢٧٣	درس من حشرة!
٢٧٤	علو الهمة والقيادة
٢٧٥	أ - حكومة الإسلام العالمية
٢٧٥	ب - اجتثاث جذور الجهل
٢٧٦	الخلاصة
٢٧٧	الفصل الثالث عشر: الصبر
٢٧٧	القيادة والمقاومة
٢٧٩	الإخلاص في الثبات
٢٧٩	أمر الله تعالى نبيه بالصبر والاستقامة
٢٨٢	الخلاصة
٢٨٣	الفصل الرابع عشر: اليقين
٢٨٣	أهم خصائص الإمامة
٢٨٤	١ - الصبر
٢٨٤	٢ - التوكل

٢٨٥	دور اليقين في التوكل
٢٨٦	٣ - الإخلاص ..
٢٨٨	قصة ذات عبرة من إخلاص موسى عليه السلام
٢٨٩	دور اليقين في الإخلاص
٢٨٩	٤ - الزهد
٢٩٠	دور اليقين في الزهد
٢٩٢	٥ - الشجاعة
٢٩٣	دور اليقين في الشجاعة
٢٩٤	٦ - الصدق
٢٩٤	دور اليقين في الصدق
٢٩٥	دور اليقين في أرفع درجات القيادة
٢٩٧	الخلاصة

القسم الخامس : آفات القيادة

٣٠١	الفصل الأول : الهوى
٣٠٣	الإمامة واللهو واللعب
٣٠٤	ضروب اللهو من منظار الإسلام
٣٠٤	١ - اللهو الممدوح
٣٠٤	٢ - اللهو المذموم
٣٠٥	٣ - اللهو الحرام
٣٠٥	الإمامة والملذات المباحة
٣٠٩	الخلاصة
٣١١	الفصل الثاني : الظلم
٣١٤	الخلاصة

٣١٥..	الفصل الثالث: الاستبداد
٣١٥.....	خطر الاستبداد.....
٣١٦	الوقاية من الاستبداد.....
٣١٧..	الغني عن المشاور
٣١٩	مشاورة الأعداء!.....
٣١٩.....	ملاحظات حول مشورة القائد.....
٣١٩	أ - المشاورة لا الطاعة!.....
٣١٩	من ذكرياتي مع السيد الإمام ﷺ
٣٢٢	ب - المشاورة المضرة ..
٣٢٣.....	ج - المشورة والتردد في اتخاذ القرار.....
٣٢٦.....	الخلاصة
٣٢٧.....	الفصل الرابع : الانسياق لآراء الآخرين ..
٣٢٨.....	خطر الانسياق لآراء الآخرين.....
٣٢٩.....	استقلال الرأي والقيادة
٣٣١.....	الخلاصة
٣٣٣	الفصل الخامس : أمراض أخلاقية
٣٣٥.....	الخلاصة

القسم السادس : الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

٣٣٩.....	الفصل الأول : حقوق الناس في النظام الإسلامي
٣٤١	الاعتراف بحقوق الناس
٣٤٣	الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة
٣٤٤	القيادة وحفظ الأمانة ..

٣٤٦	القيادة والرعاية.....
٣٤٧	القيادة والخدمة.....
٣٤٩	ولاية الفقيه المطلقة وحقوق الناس.....
٣٤٩	١ - التفاوت بين أساس الحكومة الإسلامية وأساس الحكومات الديمقراطية.....
٣٥٠	معنى الولاية المطلقة للفقيه.....
٣٥١	الخلاصة.....
٣٥٣	الفصل الثاني: حقّ النقد.....
٣٥٤	انتقدوني!
٣٥٦	ضروب النقد السياسي.....
٣٥٦	١ - النقد السياسي البناء.....
٣٥٧	٢ - النقد السياسي الهدّام.....
٣٥٨	مواصفات النقد البناء.....
٣٥٩	١ - العلم.....
٣٥٩	٢ - الإنصاف.....
٣٦٠	٣ - الأسلوب المَرَضِيّ.....
٣٦١	خصائص النقد الهدّام.....
٣٦١	١ - جهل الناقد.....
٣٦٢	٢ - الظلم.....
٣٦٢	٣ - الأسلوب المذموم.....
٣٦٣	أُسْلُوبُ التَّعَامُلِ مَعَ النِّقْدِ الْهَدَّامِ.....
٣٦٤	درس من السيرة النبوية.....
٣٦٦	١ - لا يسلم أحد من الانتقادات غير الموجهة.....
٣٦٧	٢ - التشكيك في مطالبة المتطرفين السياسيين بالعدالة.....

٣٦٨	٣ - مبدأ مراعاة المصالح السياسيّة
٣٦٩	٤ - مصير النقد السياسيّ الهدّام
٣٦٩	الإمام عليّ عليه السلام والنقد الهدّام
٣٧٠	انتقاد المارقين
٣٧٢	الإمام عليه السلام والناقدون الجهلة المتعصّبون
٣٧٥	الخلاصة

القسم السابع : أئمة الإسلام بعد النبي ﷺ

٣٧٩	الفصل الأوّل : أوصياء النبي ﷺ
٣٨٠	فرضيّات
٣٨٠	١ - الطريق السلبيّ
٣٨١	أ - أخطار هذا الطريق
٣٨١	اتّخاذ القرار المتعجّل
٣٨٢	افتقار ورثة الثورة الإسلاميّة إلى النضج الإسلاميّ
٣٨٤	الأقلّيّة المتغلّغلة
٣٨٤	ب - إهمال المستقبل
٣٨٦	٢ - نظام الشورى
٣٨٦	أ - تبين قانون الشورى
٣٨٧	ب - توعية ورثة الثورة
٣٨٧	ج - استعداد ورثة الثورة
٣٨٨	القدرة على تشخيص الأصلح
٣٨٨	استقامة الناخب
٣٩٠	٣ - تعيين القائد القادم

٣٩٢	تعريف قادة المستقبل
٣٩٥	أوصياء النبي الاثنا عشر
٣٩٨	أ - الغيبة الصغرى
٣٩٨	ب - الغيبة الكبرى
٣٩٩	بركات الإمام الغائب
٤٠١	الخلاصة
٤٠٥	الفصل الثاني : الفقهاء الحائرون على شروط القيادة
٤٠٦	خطّة النضال عند أهل البيت <small>عليه السلام</small>
٤٠٨	١ - عدم الاعتراف بشرعية الحكومات الجائرة
٤٠٨	٢ - قيادة الفقهاء العدول
٤١٢	نواب الإمام المهديّ عجل الله فرجه بالتخصيص
٤١٢	الحكمة من النيابة الخاصة
٤١٣	انتهاء النيابة الخاصة
٤١٤	استمرار النيابة العامة في الغيبة الصغرى
٤١٤	الحكمة من انقطاع النيابة الخاصة
٤١٤	أ - حكمة سياسية
٤١٥	ب - حكمة اجتماعية
٤١٥	تجربة العصر الديمقراطي
٤١٦	دور الناس في تعيين النواب العامين للإمام
٤١٨	الخلاصة

تمهيد

الإمامة أو القيادة ضمان لتحقيق واستمرار الإسلام الأصيل وأهدافه، بل استمرار الأديان السماوية جميعها. ومن هنا كانت أهمّ المبادئ العقيدية والسياسية والاجتماعية في الإسلام، وهي سرّ الحياة والتباهي في المجتمعات التوحيدية قاطبةً.

بيد أنّ الأمة الإسلامية غفلت - عدّة قرون - عن هذا السرّ الحياتي، وهذه الغفلة قد سلبت المجتمعات الإسلامية الوعي والمجد والعظمة، ممّا مهد لاستيلاء الأجانب على المسلمين، حتّى لم يبق من الإسلام إلّا هيكل لا روح فيه.

وبانتصار الثورة الإسلامية الإيرانية العظيمة القائمة على أساس «ولاية الفقيه» بالقيادة الفريدة للعالم الربّانيّ الفقيه المجاهد الإمام الخميني رضوان الله عليه تهيأت الأجواء للصحة الإسلامية والنهضة العامة في العالم الإسلامي من أجل بلوغ الأهداف الإسلامية الرفيعة، وإنّ كلّ مسلم وإعٍ منصف - من أيّ مذهبٍ كان - يعلم جيّدًا أنّ السبيل الوحيد لقطع يد الأجانب عن الأقطار الإسلامية وتطبيق الأحكام القرآنية النيرة هو إقامة الحكومة الإسلامية على أساس القيادة الربّانية، ولن ينال الناس حقوقهم الواقعية ما لم تتخلّص المجتمعات الإسلامية من مثالب القيادات القائمة، وما لم يكن زمام أمورهم بأيدي الحائزين على شروط القيادة من منظور إسلامي.

من جانب آخر، نلاحظ أنَّ أعداء الإسلام -الذين أدركوا القدرة الثقافية العظيمة للدين الإسلامي- لم يتوانوا عن بذل كلِّ ما في وسعهم لشنِّ الهجمات المباشرة وغير المباشرة على أسس القيادة في الإسلام، بخاصَّة الأساس المتمثِّل بولاية الفقيه.

ومما تحتاج إليه المجتمعات الإسلامية -في هذه الظروف المصيرية الحساسة من تاريخ الإسلام أكثر من أيِّ وقت مضى- هو شرح أسس القيادة في الإسلام، والبحث في غايتها وموقعها وخصائصها وآفاتها، والحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة، وكذلك التعرّف على المؤامرات الخطرة التي كانت وما تزال تُحاك لتحريفها، وهذا من شأنه أن يضاعف مسؤولية العلماء الملتزمين وأصحاب الأقلام.

وهذا الكتاب هو محاولة متواضعة في هذا المضمار، فهو -إلى جوار معالجته الموضوعات المذكورة- قد تناول في القسم السابع منه بالنقد والتحليل موضوع قادة الإسلام بعد النبي ﷺ، ومن الجدير بالذكر أنَّ الكتاب قد عرض ولاية الفقيه كفرع من الإمامة العامة، على نحوٍ جديد يفهمه جمهور الباحثين.

ونذكر هنا أنَّ قسماً من مباحث هذا الكتاب عُرضت في القناة الثانية من الإذاعة المرئية للجمهورية الإسلامية سنة ١٩٨٨ م تحت عنوان «دروس من أصول العقائد الإسلامية»، من خلال ستِّ وأربعين حلقة، ونُشرت في مجلَّة «باسدار إسلام» تحت عنوان «أسس القيادة في الإسلام»، وها هي الآن في متناول أيدي القراء بعد مراجعتها وإتمامها.

ختاماً أبتهل إلى المولى القدير، بعجزِي، أن يقبل منِّي هذه البضاعة المزجاة، ويضاعف تأثيرها في توطيد وحدة الأمة الإسلامية، والتمهيد للحكومة الإسلامية العالمية بقيادة الإمام المهديِّ الموعود عجلَّ الله تعالى فرجه.

محَمَّد الرِّئِّي شَهْرِي

غزّة ربيع الأوّل سنة ١٤١٧ هـ

المدخل

نلاحظ في الثقافة القرآنية والحديثية أنَّ كلمة «الإمامة» ترادف كلمة «القيادة» ومن هنا كان من الضروري تفسير كلمتي «الإمامة» و«الإمام» من أجل تعريف القيادة في الرؤية الإسلامية.

«الإمامة والإمام»^(١) في الثقافة الإسلامية يماثلان «القيادة والقائد». ويعرّف الراغب الإصفهاني^(٢) «كلمة الإمام» في كتابه الذي ألفه حول المفردات الغريبة في القرآن الكريم، فيقول:

«والإمام المؤتم به، إنساناً كان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتاباً، أو غير ذلك، محققاً كان أو مبطلاً»^(٣).

تمّ التركيز في هذا التعريف على نقطتين مهمتين في معنى القيادة، وهما:

١- أنَّ الإمامة أو القيادة في القرآن قابلة للتعميم، لا في المجتمع الإنسانيّ فحسب،

(١) الإمام مشتق من أمام أو أمّ أو أمّ. فإذا كان مشتقاً من (أمام) فهو يعني المقدّم والزعيم، وإذا كان من (أمّ) فهو من يأتي به المجتمع ويتبعه، وإذا كان من (أمّ)، فهو القاعدة والأساس لكلّ شيء.

(٢) أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الإصفهاني من أعلام القرن الخامس الهجري.

(٣) المفردات في غريب القرآن: ٨٧، مادة (أمّ).

بل في عالم الخليفة كله .

٢- استعملت الإمامة أو القيادة في القرآن بمفهومين متناقضين :

أحدهما: الحقّ، والآخر: الباطل .

وما نقصده هنا هو الإمامة أو القيادة في إطار المجتمع البشريّ دون سواه .
وفي ضوء ذلك تطلق الإمامة أو القيادة في الثقافة الإسلاميّة على توجيه الناس نحو نظام الحقّ ومجتمع القيم، أو نظام الباطل والمجتمع الخليّ من القيم .

أنواع الإمامة والقيادة

يستبين من تعريف الإمامة أو القيادة أنّها على أنواع مختلفة .
وهي في الرؤية الإسلاميّة نوعان هما: إمامة تقود الناس نحو الكمال والقيم الربّانيّة الرفيعة، وأخرى تسوقهم إلى الدناءة والقبايح والقيم الشيطانيّة الوضيعة .
وينظر القرآن الكريم إلى إمامة إبراهيم عليه السلام على أنّها رمز القيادة الربّانيّة القيّميّة، وإلى إمامة فرعون الطاغيّة على أنّها نموذج القيادة الشيطانيّة المغايرة للقيم .
معنى هذا أنّنا يمكن أن نشير هنا في تبيين أنواع القيادة - حسب الرؤية القرآنيّة - إلى القيادة الإبراهيميّة والقيادة الفرعونيّة .

إنّ المباحث المرتبطة بأسس القيادة في الإسلام هي في الحقيقة تبيان للخطوط الأساسيّة في سياسة القيادة الإبراهيميّة مقابل السياسة الفرعونيّة في إدارة المجتمع .
ونُلَمَح فيما يأتي إلى الآيات القرآنيّة التي تتحدّث عن نوعي القيادة، للتعرف على مفهوم الإمامة والقيادة في الثقافة الإسلاميّة .

الإمامة الإبراهيميّة

استعمل القرآن الكريم كلمة «الإمام» معبراً بها عن إبراهيم الخليل عليه السلام، ليحكي

لنا أرفع درجة من تكامل الإنسان، وأعلى مرتبة من مراتب القيادة القيّميّة. قال تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١).

وقال في موضعٍ آخر حول إمامة بعض القادة الإبراهيميّين:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢)

أي: يهدون الخلق إلى طريق الحق وإلى الدين المستقيم^(٣).

الأمة الإبراهيمية

إنّ الأمة التي تعتنق الإمامة الإبراهيميّة وتسعى - من خلال الائتام العمليّ بتوجيهات هذه القيادة - إلى التهيؤ لمقارعة القيادة الفرعونيّة، والعمل على إزالة الفساد والضياع، وتقويض دعائم الطغيان والانحطاط في العالم، إنّما هي نموذج للأمة الإبراهيميّة.

والأمة الإبراهيميّة هي الأمة النموذجيّة التي طلب إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليه السلام من الله تعالى - عند بنائهما الكعبة - جعلها في ذريّتها. قال تعالى:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾^(٤).

(١) البقرة: ١٢٤.

(٢) الأنبياء: ٧٣.

(٣) انظر مجمع البيان: ٨٩ / ٧.

(٤) البقرة: ١٢٧ و ١٢٨.

إنّ إطاعة الله والتسليم لأمره يعنّيان في الحقيقة تطبيق سياسة القيادة الإبراهيميّة وتوجيهاتها في الحياة الفرديّة والاجتماعيّة. من هذا المنطلق، كان نبيّنا الكريم ﷺ مكلفاً أن ينهج الخطوط الأساسيّة لهذه السياسة - له ولأمّته - مع أنّه كان سيّد الأنبياء والمرسلين وأعظمهم. قال تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾^(١).

لذلك ينبغي للمسلمين أيضاً أن يكونوا حملة راية المجتمع التوحيديّ والأمّة المثاليّة النموذجيّة في العالم تبعاً لنبيّهم، وعملاً بسياسة القيادة الإبراهيميّة المحمديّة وتوجيهاتها. قال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^(٢).

القيادة الفرعونية

يعبّر القرآن الكريم عن فرعون بـ «الإمام» أيضاً كتعبيره عن إبراهيم عليه السلام. بيد أن إمامته تقوم على معاكسة القيم، وفرعون إمام الكفر، وإبراهيم إمام الإيمان، وفرعون يهبط بالناس إلى وهدة الهوان والرديلة، وإبراهيم يقودهم إلى الرقيّ والفضيلة.

بعبارة أخرى: الإمامة الإبراهيميّة تهدي المجتمع إلى جنة الخلد، أمّا الإمامة الفرعونيّة فتسوقه إلى النار. قال تعالى:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾^(٣).

(١) النحل: ١٢٣.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) القصص: ٤١.

المجتمع الفرعوني

إنّ المجتمع الذي يمنع لإمامة فرعون ويعدّ العدة لمواجهة القيادة الإبراهيمية وتقويض أركانها - عملاً بالسياسة الشيطانية لتلك الإمامة - إنّما هو مجتمع فرعوني، وليست عاقبته في هذا العالم إلّا الغرق في بحر الشهوات والضياع. وليس مآله في العالم الآخر إلّا السقوط في جحيم الخطايا.

ويصوّر القرآن الكريم مصير أتباع القيادة الفرعونية بالنحو الآتي:

﴿يُقَدِّمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾^(١).

وكذلك يبيّن عاقبة المجتمع الفرعوني ومواجهته قاداته في النار، فيقول:

﴿كُلَّمَا دَخَلْتَ أُمَّةً لَعَنْتُ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبُّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِمَّنْ
النَّارِ﴾^(٢).

ومن خلال ما مرّ - من تعريف القيادة وتفسير الإمام والإمامة والأمة في الثقافة الإسلامية - يتجلى أنّ مؤلف كتاب «أمت وإمامت» إنّما يحمل فهماً أحاديّاً ناقصاً. قال:

«... الأمة مجتمع في حالة صيرورة أبدية نحو التعالي المطلق، وإذا ما عرفنا الأمة فسوف نحصل ببسر على تعريف دقيق وواضح للإمامة ودورها الاجتماعي. فالإمامة نظام يقود الأمة في هذا الطريق ويسيرها فيه»^(٣).

وعلى الرغم من أنّ هذا الفهم يمكن أن ينطبق على المفهوم القيمي للأمة والإمامة، بيد أنّنا ننفأ أنّ مفهومها في الثقافة الإسلامية ليس مفهوماً قيمياً

(١) هود: ٩٨.

(٢) الأعراف: ٣٨.

(٣) انظر: كتاب «أمت وإمامت».

فحسب، وإنما لها مفهوم مضاف للقيم أيضاً. وسيحوم بحثنا فيما يأتي حول أنواع القيادة القيمة في الثقافة الإسلامية.

أنواع القيادة القيمة

تقسم القيادة القيمة - من وجه - إلى أربعة أقسام هي: القيادة السياسية، والأخلاقية، والعلمية، والباطنية، وستوفر على دراسة هذه الأنواع وفلسفتها في القسم الأول من هذا الكتاب.

الخلاصة

☐ تُسمّى الزعامة والقيادة في الثقافة الإسلامية: «الإمامة»، ويسمّى الزعيم والقائد: «الإمام».

☐ الإمامة والإمام - كالقيادة والقائد - لهما مفهومان متناقضان: قِيَمِي، ومضادّ للقيَم.

☐ الإمامة في القرآن الكريم تتخطّى نطاق الإنسان وتقبل التعميم على مستوى عالم الخليقة، ولكنّ المطروح في أُسس القيادة في الإسلام هو ما كان في إطار الإنسان.

☐ القيادة في الثقافة الإسلامية تسوق الناس نحو المجتمع القِيَمِيّ أو نحو المجتمع المضادّ للقيَم.

☐ إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم رمز القيادة القِيَمِيّة، وفرعون نموذج القيادة المضادّة للقيَم، من هنا يمكن تقسيم القيادة إلى قيادة إبراهيميّة وقيادة فرعونيّة.

☐ كان نبيّنا الأعظم ﷺ مكلفاً باتّباع الخطوط الأساسيّة لسياسة القيادة الإبراهيميّة، مع أنّه كان سيّد الأنبياء والمرسلين وأفضلهم.

☐ إنّ المباحث المرتبطة بأُسس القيادة في الإسلام هي في الحقيقة تبين سياسة القيادة الإبراهيميّة في مقابل سياسة القيادة الفرعونيّة في إدارة المجتمع.

☐ الأمّة الإبراهيميّة أمّة اعتنقت القيادة الإبراهيميّة وتربّت على تقويض أساس القيادة الفرعونيّة وأمتّها.

- ☐ المجتمع الفرعونيّ مجتمع خَنَعَ للقيادة الفرعونيّة، وانتظم للقضاء على المجتمع الإبراهيميّ القِيَميّ.
- ☐ استعمال كلمتي الأُمّة والإمامة في مفهومهما القِيَميّ فحسب، كما جاء في كتاب «أُمّت وإمامت» بجانب الصواب.
- ☐ تقسّم القيادة القِيَميّة - من وجهٍ - إلى أربعة أقسام: قيادة سياسيّة، وأخلاقيّة، وعلميّة، وباطنيّة.

القسم الأول

فلسفة القيادة

الفصل الأول

القيادة السياسيّة

يتبيّن لنا في أوّل نظرة أنّ ضرورة القيادة السياسيّة للمجتمع غنيّة عن البحث والدراسة، لأنّها حاجة طبيعيّة وبديهية. من هنا كانت للأمم والشعوب قيادة سياسيّة على مرّ التاريخ. ومثار الخلاف في المدارس والمذاهب المتنوّعة هو مواصفات القائد السياسيّ أو أسلوب تعيينه، بيد أنّ حاجة المجتمع إلى قيادة سياسيّة شيء لا ينكر، ومع ذلك تدلّ الدراسات في هذا المجال على أنّ موضوعاً بلغ من البدهة هذه الدرجة قد يُمتري فيه، بل ينكر.

القيادة السياسيّة من منظار المذاهب الإسلاميّة

ترى أكثر المذاهب الإسلاميّة أنّ القيادة السياسيّة ضرورية وواجبة لإدارة المجتمع، ولكنّ بعض الفرق الإسلاميّة تنكر هذه المسألة بصراحة، قال التفتازانيّ - بعد نقل آراء الأشاعرة والمعتزلة وأتباع أهل البيت عليهم السلام - في وجوب نصب الإمام وكيفيته:

«قالت النجدات - قوم من الخوارج أصحاب نجدة بن عويمر -: إنّهُ ليس

بواجب أصلاً. وقال أبو بكر الأصم من المعتزلة: لا يجب عند ظهور العدل والإنصاف لعدم الاحتياج، ويجب عند ظهور الظلم. وقال هشام الفوطي منهم بالعكس، أي: يجب عند ظهور العدل لإظهار شرائع الشرع...»^(١).

وقال ابن حزم الأندلسي في سياق نقل كلام النجدات:

«... وهذه فرقة ما نرى بقي منهم أحد»^(٢).

وقال ابن أبي الحديد أيضاً:

«... فقال المتكلمون كافة: الإمامة واجبة، إلا ما يحكى عن أبي بكر الأصم - من قدماء أصحابنا - أنها غير واجبة إذا تناصفت الأمة ولم تنظالم.

وقال المتأخرون من أصحابنا: إن هذا القول منه غير مخالف لما عليه الأمة، لأنه إذا كان لا يجوز في العادة أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس يحكم بينهم فقد قال بوجوب الرئاسة على كل حال، اللهم إلا أن يقول: إنه يجوز أن تستقيم أمور الناس من دون رئيس، وهذا بعيد أن يقوله»^(٣).

القيادة السياسية من منظار المذهب المادّي

ينكر المذهب المادّي الديالكتيكي حاجة المجتمع إلى القيادة. وفي ضوء ما يؤمن به هذا المذهب يتحرّك المجتمع حركة حتمية ويطوي طريق تكامله تلقائياً، فلا يحتاج إلى قائد.

(١) شرح المقاصد لسعد الدين التفتازاني: ٥ / ٢٣٦ تحقيق عبدالرحمن عميرة، قم - انتشارات الشريف الرضي ١٩٩١ م، وانظر أيضاً الملل والنحل للشهرستاني: ١ / ١٤٣ تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاعور، بيروت - دار المعرفة ١٤١٥، ومقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين لأبي الحسن الأشعري: ٤٦٠ تصحيح هلموت ريتز، ١٤٠٠، يطلب من دار النشر فرانز شتايز بقسبان.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي الظاهري: ٤ / ٨٧ بيروت - دار المعرفة.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢ / ٢٠٨.

وعلى أساس ما يتبنّاه هذا المذهب يعمل المثقّف على توعية الجماهير ويكشف لها أشكال الشذوذ والتناقض والتمايز. وإذا ما وعت الجماهير فسوف تتحقّق الحركة الحتميّة للمجتمع نحو التكامل.

«إنّ إحدى نتائج المنطق الديالكتيكيّ هي أنّه يلغي حاجة المجتمع إلى القيادة. والحدّ الأعلى لحاجة المجتمع إلى المثقّف والقائد - حسب هذا المنطق - هو أنّه يدلّ الجماهير على ضروب الشذوذ والتناقض والتمايز، ويشعرها بالتناقض الموجود في المجتمع لتظهر الحركة الديالكتيكية. ولما كانت الحركة حتميّة وكان اجتياز الطريقة^(١) والنقيضة^(٢) إلى الجبيعة^(٣) أمراً لا مناص منه فإنّ المجتمع يطوي طريقه وينتهي إلى التكامل تلقائياً»^(٤).

ولسنا الآن في صدد نقد هذه الفرضيّة ومناقشتها، إذ أنّ بحثنا يدور حول أسس القيادة المستندة إلى التوحيد والنبوة، ومع أنّ الفرضيّات الماركسيّة لا تحتاج إلى نقد في هذه المرحلة من الزمان لأنّ التاريخ نفسه قد نقدها وأثبت زيفها وقبر رماد أوهامها تحت جدران القصر الأحمر في موسكو فإنّ هذه الرؤية - قبل أن تكون اعتقاداً مذهبياً - إنّما هي خطّة خطيرة ومعقّدة لاستقطاب المغفّلين من السياسيين. ولما كانت الحاجة إلى القيادة نابعة من طبيعة الإنسان وفطرة المجتمع البشريّ فإنّ المعتقدين بالمنطق الديالكتيكيّ عجزوا عن أن يُثبتوا استغناء المجتمع عن القيادة - اللهمّ إلّا في عالم الخيال - ولم يتمسّكوا بهذه الفرضيّة الواهية على الصعيد العمليّ لحظة واحدة، وأثبتوا بطلان عقيدتهم من خلال ممارساتهم نفسها، فساقوا المجتمع إلى الضلال بقيادة حزبهم مدّة سبعين سنة.

(١) هي المرحلة الأولى من مراحل الديالكتيك (thesis).

(٢) هي المرحلة الثانية من مراحل (antithesis).

(٣) هي نتيجة الجمع بين الطريقة والنقيضة (synthesis).

(٤) امامت ورهبري (الإمامة والقيادة) للأستاذ الشهيد مطهري: ٢٣.

والنقطة المهمة هي أنّ نظريّة الاستغناء عن القيادة القائمة على أساس المنطق الديالكتيكيّ قد تسرّبت إلى كتابات إسلاميّة الظاهر في قالب نظريّة «تعميم الإمامة» وأمثالها.

ما معنى تعميم الإمامة؟

صدر في بداية انتصار الثورة الإسلاميّة كرّاس بعنوان «تعميم الإمامة»^(١). وهذا الكرّاس محاولة مأكرة لتوسيع مفهوم القيادة وتعميم الإمامة لتشمل الشرائح الاجتماعيّة كلّها، فتنفي حاجة المجتمع إلى القيادة الحقيقيّة^(٢). ونستنتج من الأدلّة الواردة في الكرّاس المذكور أنّ الكاتب يزعم أنّ الإمامة أو القيادة موجودة في جميع الظواهر، وفي الإنسان أيضاً بطريق أولى، وذكر دليلين لإثبات زعمه:

الدليل الأوّل نقليّ! وهو قوله تعالى:

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣).

وفسّره الكاتب بما يسمّى بالتفسير العلميّ البليغ الذي لم يسبق له مثل في التاريخ! بقوله:

«في كلّ شيء إمام مبين!»^(٤).

(١) ألفه أبو الحسن بني صدر.

(٢) ورد في الصفحات الأخيرة من كرّاس «از كجا آغاز كنيم؟» (من أين نبدأ؟) للدكتور عليّ شريعتي بحث مفصّل تحت عنوان: «مهمّة المثقّف ورسالته» قال في ص ٣٩: إنّ مهمّة المثقّف ورسالته بإيجاز هي نقل الشذوذ الكامن في داخل المجتمع إلى شعور أفرادهم ووعيهم الذاتي، ثمّ يواصل المجتمع نفسه حركته». ونلاحظ في سطور متأخرة عبارات تناقض ما تقدّم، وتؤيّد حاجة المجتمع إلى الهداية والتوجيه. (تقلاً عن كتاب «امامت ورهبري» للأستاذ الشهيد مرتضى مطهرّي: ٢٤).

(٣) يس: ١٢.

(٤) تعميم إمامت (تعميم الإمامة): ٣٧.

والدليل الثاني عقليّ!

«كلّ فرد قائد، ولولا القائد لما تسنّى للناس التواصل. وعندما نجتمع كلّنا في مكان واحد فإنّما نجتمع للقيادة...»^(١).

ويستنتج الكاتب من هذين الدليلين - النقليّ والعقليّ - ما نصّه:

«لما كانت القيادة موجودة في جميع الأشياء بما فيها الإنسان فلا معنى لقولنا إنّنا يجب أن نوجدها، بل يجب أن نحاول تصحيحها».

إنّ سقم هذا الفهم المبتر من الآية الكريمة هو من البداهة والوضوح إلى درجة أنّ كلّ من له أدنى اطلاع على «أسس القيادة» في المادّيّة الديالكتيكيّة وله شيء من المعرفة بالقرآن الكريم والمبادئ الإسلاميّة يدرك من خلال إلقاء نظرة على كتاب «تعميم الإمامة» أنّ الكاتب حاول بسذاجة أن يكيّف المنطق الديالكتيكيّ في مجالس أسس القيادة مع القرآن الكريم، وأن يستحوذ بمكيدته هذه على انتباه المغرورين والمغفلين، في تنظيره هذا لأسس القيادة في الإسلام.

لقد عمد الكاتب إلى جملة «أخصّيناها» في الآية الكريمة المتقدّمة فأغفلها ولم يذكرها في ترجمته للآية، ثمّ حذف كلمة «في» قبل عبارة «إمام مبین» وجعلها قبل عبارة «كلّ شيء». وهكذا ترجم الآية الكريمة بقوله:

«في كلّ شيء إمام مبین»!!

في حين أنّ منطوق الآية هو أنّ الله تعالى أحصى كلّ شيء في إمامٍ (كتابٍ) مبین، لا أنّ «في كلّ شيء إمام مبین»^(٢)، كما وهم الكاتب المذكور.

(١) نفسه: ٣٨.

(٢) المقصود من الإمام المبین الذي انعكس فيه كلّ شيء وأُحصي بقدرٍ معلوم - كما جاء في التفسير الموثوقة - أنّه كتاب يشتمل على القضاء المحتوم، ولعلّ تسميته إماماً إنّما هي لاتباع المخلوقات مقدّراته وقوانينه

وأما هدفه من ترصيف هذه الصغرى والكبرى وهذا الاستنتاج القائل «إنَّ الإمامة موجودة في جميع الظواهر، وفي الإنسان بطريق أولى» فهو غامض تماماً^(١). فإذا كان هدفه وجود الهداية الربانية في الظواهر كافة فكلامه صحيح^(٢). ولكن هذا لا علاقة له بإمامة الإنسان وقيادته وفرضية تعميم الإمامة.

أما إذا كان هدفه هو أنَّ الإنسان وجد طريق تكامله وأنه يستطيع أن يصلح شذوذه الفكري والعلمي والعملي من خلال تواصل الأفكار ونقد الآراء فهذا يفيد أنَّ نظرية «تعميم الإمامة» تعني إنكار الحاجة إلى الوحي، وأنها تريد أن تضفي على المنطق الديالكتيكي طابعاً إسلامياً في موضوع أسس القيادة، لأنَّ القيادة إذا كانت موجودة في طبيعة الإنسان بهذا المعنى - كسائر الظواهر التي قيادتها ورسالة تكاملها تكوينية - فإنَّ الإنسان لا يحتاج إلى الوحي والقيادة السماوية. ولما كنَّا نرى أنَّ للناس قدرة على التواصل والترابط فلا يمكن أن نستنتج أنَّهم كلهم عرفوا طريق تكاملهم، وأنَّهم يستطيعون أن يسكوا بزمام أمورهم بأيديهم^(٣).

ودخضاً لنظرية تعميم الإمامة وعقيدة من يلغي الحاجة إلى الإمامة أو القيادة يلفت نظرنا كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة، فيقول صلوات الله عليه في هذا

«المذكورة في القرآن الكريم باسم «اللوح المحفوظ» أو «أم الكتاب» أو «الكتاب المبين». أما حقيقة هذا الكتاب وماهيته وكيفيته فأمر غير واضحة لنا.

قال العلامة الطباطبائي في تفسير «الميزان» - بعد نقل الروايات التي تبين أنَّ المقصود من الإمام المبين هو أمير المؤمنين عليه السلام -: الحديثان لو صحَّا لم يكونا من التفسير في شيء، بل مضمونهما من بطن القرآن وإشاراته، ولا مانع من أن يرزق الله عبداً وحده وأخلص العبودية له العلم بما في الكتاب المبين. وهو عليه السلام سيد الموحدين بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم. (الميزان: ١٧ / ٧٠).

(١) يبدو أنَّ الكاتب لا يهدف إلَّا إلى إلغاء «ولاية الفقيه».

(٢) «الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى» طه: ٥٠.

(٣) للتعرف على تفصيل هذا الموضوع انظر كتابنا فلسفة وحى (فلسفة الوحي): الدرس ١ - ٥.

المجال:

«مَفَزَهُمْ فِي الْمُعْضَلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَتَعْوِيلُهُمْ فِي الْمُهْمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ، كَأَن كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ إِمَامٌ نَفْسِهِ»^(١).

القيادة السياسيّة من منظار إسلامي

إذا ألقينا نظرةً فاحصةً على النصوص الإسلاميّة نجد أن الإسلام - في الوقت الذي يرى فيه أن أعلى درجات الإمامة أو القيادة ضروريّة لكمال الإنسان والمجتمع البشري - يؤكّد ضرورة القيادة السياسيّة على نحوٍ مطلق في الظروف التي لا تتمهّد فيها الأرضيّة للقيادة السياسيّة المطلوبة.

وبعبارة أخرى: مع أن الإسلام فرض على الجميع أن يهيئوا الأجواء المناسبة للقيادة الكفوءة والحكومة الصالحة بيد أنه لا يُلغي ضرورة القيادة السياسيّة للمجتمع مهما كانت الأحوال، ولا يسمح للمسلمين أن يعيشوا حالة الفوضى، أو أن لا يشعروا بالمسؤوليّة حيال إقامة الحكومة وتكوين القيادة السياسيّة.

ضرورة القيادة السياسيّة

... وَإِنَّهُ لَأَبْنُدُ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ...^(٢).

هذه هي كلمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في جواب المارقين المنحرفين، عندما كانوا يزعمون بشعارهم المعروف: «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» الذي يستند إلى الآية القرآنيّة الكريمة:

﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠.

(٣) الأنعام: ٥٧، يوسف: ٤٠ و ٦٧، وتدلّ آيات أخرى على هذا المعنى أيضاً.

في ضوء الآيات التي تجعل الحكم حقاً خاصاً لله، أو تقصد الحكم التكويني - أي: إن الله يخلق في العالم كل ما يريد، وليس لأحدٍ أو شيءٍ أن يحول دون إرادته «يَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ»^(١) و«يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ»^(٢) - أو تريد الحكم التشريعي... نلاحظ أن التشريع والأمر إنما هو لذاته المقدسة وحده، ولا ينبغي لأحدٍ أن يشرع قانوناً في مقابل قانونه. ولا يحق لأحدٍ - غير ذات الحق المقدسة - أن يصدر أمراً للآخرين.

ومن البديهي أن القوانين الحكومية المدونة على أساس حكم الله تكسب شرعيتها واعتبارها من القوانين الإلهية الكلية، وأن حكم القائد أو الإمام الذي فرض الله طاعته هو حكم الله نفسه.

وكان المارقون قد خالفوا أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين بعد مكيدة التحكيم، بسبب غرورهم وجهودهم الفكري وجهلهم وفتن العدو المدروسة.

ثم أصبحوا - تدريجاً - جماعة منظمة، وكياناً مناوئاً متطرفاً قوياً ناهض حكومة الإمام عليه السلام، ورفعوا شعار «لا حكم إلا لله» ليسجلوا بزعمهم مؤاخذه على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام وقيادته، وشعارهم المذكور ذو جذر قرآني، لذلك لم يسع أحد إنكاره. وعرض الإمام عليه السلام في سياق تأييده للشعار نقاطاً مهمة حول الحكومة والقيادة السياسية من منظور الإسلام، وأبدى تقويماً للشعارات المفرطة المتطرفة المطالبة بالحق في ظاهرها، المطروحة من قبل المتظاهرين بالروح الثورية في المجتمع، قال عليه السلام:

«كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله، وإنه لابد للناس من أمير يز أو فاجر، يعمل في امرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبذل الله فيها الأجل، ويجمع به الفناء، ويقا تل به العدو، وتأن به

(١) إبراهيم: ٢٧.

(٢) المائدة: ١.

السبل، ويؤخذ به للضعيف من القويّ، حتّى يستريح برّ، ويستراح من فاجر»^(١).

وكان الإمام عليه السلام ذات يوم جالساً مع جماعة في المسجد، فدخل أحد الخوارج وصاح: لا حكم إلّا لله، فقلق الحاضرون، وانتظروا ليروا ماذا يفعل أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلّ فيهم من ظنّ أنّ الإمام سيغضب ويعامل الرجل بعنف. بيد أنّهم رأوه قد أعاد بطمأنينة الشعار نفسه وعضده بآية قرآنيّة كريمة يؤكّد فيها الله تعالى لنبيّه الأكرم عليه السلام أنّ وعده تعالى في مقابلة أعداء الإسلام حقّ، وأنّ على النبيّ أن لا يستسلم لأذاهم، وأن لا يتضعض وقاره وثباته في مواجهتهم.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

ثمّ التفت عليه السلام إلى الناس وقال:

«فما تدرون ما يقول هؤلاء؟ يقولون: لا إمارة. أيّها الناس، إنّه لا يصلحكم إلّا أمير برّ أو فاجر».

وكان غريباً جدّاً على الناس أن يسمعوا عليّاً عليه السلام يذكرّ بحاجة المجتمع إلى القائد مطلقاً حتّى لو كان فاجراً، لذلك سألوه مندهشين:

«هذا البرّ قد عرفناه، فما بال الفاجر؟!».

فقال عليه السلام:

«يعمل المؤمن، ويملى للفاجر، ويبلغ الله الأجل، وتؤمن سبلكم. وتقوم أسواقكم، ويقسم فينكم، ويجاهد عدوكم، ويؤخذ للضعيف من القويّ»^(٣).

نلاحظ أنّ الإمام عليه السلام يعلم أتباعه في هذا الكلام النفيس المهمّ عدداً من القضايا

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠.

(٢) الروم: ٦٠.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبه: ٥١ / ٧٤١ / ٨.

الأساسية في حقل القيادة:

١- قول الحق شيء والاعتقاد بالحق شيء آخر

إنَّ شعار جميع المتظاهرين بالثورة والأنانيين المترئين بحماية الناس ومناصرة الحق على مرِّ التاريخ هي كلمة حقَّ أريد بها الباطل، وإنَّ سرَّ نجاح الأفكار الباطلة وسيطرة القادة المفسدين هو غفلة الناس عن هذه القضية البالغة الأهمية، وهي أنَّ قول الحقَّ شيء والاعتقاد به شيء آخر!

يجيب الإمام عليه السلام أولئك الذين يزعمون الدفاع عن الإسلام القويم زوراً، وقد اتخذوا موقفاً عدائياً من القيادة. ويكشف لنا في جوابه أنَّهم استغلَّوا كلمة الحقَّ وسيلةً لتحقيق أهدافهم الباطلة، وعصوا أمر القائد الذي فرض الله طاعته، بذريعة اتباع أمر الله، وداسوا حقَّ على المبدأ المتمثل بضرورة الحكومة والقيادة السياسية للمجتمع الإسلامي، ورفعوا لواء الفوضى بعملهم هذا.

٢- أسلوب مواجهة شعار المتظاهرين بالثورة

القضية الثانية في كلام الإمام عليه السلام هي أسلوب مواجهة المتظاهرين بالثورة الذين يقولون الحقَّ في الظاهر ولكن هدفهم في الحقيقة هو الباطل، على عكس الذين يهاجمون بسذاجة شعار الحقَّ الذي يرفعه معارضوهم السياسيون، فالإمام عليه السلام يواجه أصحاب الشعار لا الشعار ذاته، وهو في موقفه لا يناقش شعار المارقين بل يناقش المارقين أنفسهم ودوافعهم على طرح ذلك الشعار، إنَّه لا يقول لهم: لما كان هدفكم من هذا الشعار هو الباطل فلا قيمة له حقَّ يطرح في المجتمع، بل هو نفسه يكرِّر الشعار ويؤيده، مشيراً إلى أنَّنا ينبغي أن نقبل كلام الحقَّ من أيِّ شخص يقوله، ولكن لا نغفل عن هدف قائله ودافعه.

٣- ضرورة إقامة الحكومة

القضية الثالثة في كلامه ﷺ هي أنّ الحكمة من وراء الضرورة المطلقة للقيادة السياسيّة هي ضمان الحد الأدنى من حقوق الناس، ولبلوغ هذا الهدف غدت الحكومة بأيّ شكل كانت ضرورةً لا مناص منها.

إنّ الإسلام لا يلغي ضرورة القيادة السياسيّة مهما كانت الظروف، حتّى لو كان القائد فاجراً آثماً. وفي توضيح هذا المعنى يؤكّد الإمام ﷺ أنّ الحكومة الفاجرة أيضاً تجمع العائدات الوطنيّة في ظلّها وتورّع، وتؤمن السبل، وتجرى النشاطات الاقتصاديّة، بل إنّ الحكومة الفاجرة تجاهد عدوّ الشعب، وتأخذ للضعيف حقّه من القويّ.

بعبارة أخرى: على الرغم من أنّ الشعب يفقد قسطاً كبيراً من حقوقه في ظلّ الحكومة الفاجرة بيد أنّ الفائدة من وجود تلك الحكومة هي أنّها تذلل مصاعب الحياة. ومن جانب آخر، لا سبيل للحكومة الفاجرة إلّا تحقيق الأمن الاجتماعي والاقتصاديّ للمجتمع من أجل المحافظة على وجودها، وهذا الأمن يضمن ديمومة الحياة للأخيار والفجار على حدّ سواء، من هنا فإنّ حكومة الأمير الفاجر أفضل من حكومة تسودها الفوضى والفتنة والشغب، كما قال النبي ﷺ:

«الإمام الجائر خيرٌ من الفتنة»^(١).

وأثر عن أمير المؤمنين ﷺ قوله:

«أسد حطوم خيرٌ من سلطان ظلم، وسلطان ظلم خيرٌ من فتنة تدوم»^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني: ١٠٣/٢.

(٢) كنز الفوائد: ١٣٦/١، بحار الأنوار: ٧٤/٣٥٩/٧٥.

فلسفة ولاية الفقيه

تبين لنا في ضوء الدراسات المنجزة أن الإسلام يؤيد حاجة المجتمع إلى القيادة، على عكس مذهب الخوارج في الماضي والمذهب الديالكتيكي في عصرنا الحاضر، وهذا لا يعني أبداً أن القيادة مطلقاً تكفي لتكامل المجتمع، بل يعني أنه إذا عدّ الإمام الفاجر خيراً من الفتنة فإن هدفه إنقاذ المجتمع من حالة الشذوذ والفوضى لكن ينبغي الالتفات إلى أن تكامل المجتمع - من منظور إسلامي - لا يتيسر إلا عن طريق تطبيق الدين في الحياة الفردية والاجتماعية، وإلا عن طريق الرسالة المشتملة على منهج التكامل المادي والمعنوي للإنسان. من هذا المنطلق ليس لأحد أن يقود المجتمع نحو الكمال إلا الخبير في الدين. وهنا تكمن الحكمة من ولاية الفقيه.

في ضوء هذا تقوم فلسفة ولاية الفقيه على دعامتين:

١- التكامل المادي والمعنوي للإنسان، الذي يمثل الهدف من خلقه، وهذا لا يتحقق إلا عبر منهج يأتي به رُسل خالق الوجود^(١).

٢- إن الأكفأ للقيادة هو الأعلم بمنهاج تكامل الإنسان والأقدر على تطبيقه في المجتمع.

ونقرأ للإمام الرضا^(ع) كلاماً في فلسفة الإمامة يمكن أن يبين فلسفة ولاية الفقيه أيضاً:

«فإن قال: فلم جعل أولي الأمر وأمر بطاعتهم؟ قيل: لعل كثير، منها: أن الخلق لما وقفوا على حدٍّ محدود وأمروا أن لا يتعدوا ذلك الحد لما فيه من فسادهم لم يكن يثبت ذلك ولا يقوم إلا بأن يجعل عليهم فيه أميناً يمنعهم من التعدي والدخول فيما حظر عليهم، لأنه لو لم يكن ذلك لكان أحد لا يترك لذته ومنفعته لفساد غيره، فجعل عليهم قيماً يمنعهم من الفساد، ويقيم فيهم الحدود

(١) انظر كتابنا فلسفة وحى (فلسفة الوحي): الدرس السادس.

والأحكام.

ومنها: أنا لا نجد فرقة من الفرق ولا ملة من الملل بقوا وعاشوا إلا بقيم ورئيس، ولما لا بد لهم منه في أمر الدين والدنيا فلم يجز في حكمة الحكيم أن يترك الخلق مما يعلم أنه لا بد له منه، ولا قوام لهم إلا به، فيقاتلون به عدوهم ويقسمون به فينهم ويقسم لهم جمعهم وجماعتهم، ويمنع ظالمهم من مظلومهم»^(١).

أجل، هذه هي الأسباب التي تثبت الضرورة المطلقة للإمامة أو القيادة. وهكذا كان جواب أمير المؤمنين عليه السلام للخوارج، وقد مر بنا آنفاً، ويتلخص كلامه عليه السلام في أن المجتمع يحتاج إلى القانون، وتطبيق القانون يحتاج إلى الحكومة أو القيادة. وعلى هذا الأساس لا يتيسر استمرار الحياة الدينية والدنيوية لأي مجتمع وشعب بلا قيادة وحكومة.

بيد أن الدليل الذي ذكره الإمام عليه السلام في سياق كلامه يمكن أن يبين لنا الحكمة من ولاية الفقيه أيضاً، وفيما يأتي نصّه:

«ومنها: أنه لو لم يجعل لهم إماماً قِيماً أميناً حافظاً مستودعاً لدرست الملة وذهب الدين وغيّرت السنن والأحكام ولزاد فيه المبتدعون ونقص منه الملحدون وشبهوا ذلك على المسلمين»^(٢).

ويمكن أن نوجز فلسفة الإمامة في هذا القسم من كلام الإمام الرضا عليه السلام بحراسة الدين والحؤول دون تحريف الأحكام الإلهية.

ولا يخالجنّا الشكّ في أنّ القائد من أجل تحقيق الهدف المذكور يتحتّم أن يكون خبيراً متخصصاً في الشؤون الإسلامية أو فقيهاً، كما تصطلح عليه الحوزة العلمية.

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٠٠ / ١، علل الشرائع: ٢٥٣، بحار الأنوار: ٢٣ / ٣٢ / ٥٢.

(٢) علل الشرائع: ٢٥٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ١٠١، وما يماثلها.

وفي ضوء ما تقدّم يتسنى لنا أن نلخص ما جاء في علل الشرائع حول فلسفة الإمامة والقيادة بما يأتي:

أ - القيادة السياسية.

ب - تنفيذ القانون الإلهي.

ج - صيانة الدين من التحريف.

وأكدت أحاديث وروايات أخرى هذه الاستنتاجات أيضاً بتعابير متنوعة ستأتينا، وهي تذكر على أنها فلسفة الإمامة، ومن هذه التعابير: نظام الإسلام، نظام المسلمين، ونظام الأمة.

وهي عناوين وردت في توجيهات النبي الأكرم ﷺ وأئمة الهدى ﷺ في تبیین فلسفة الإمامة، فقد قال النبي ﷺ في وجوب طاعة وليّ أمر المسلمين:

«إسمعوا وأطيعوا لمن ولّاه الله الأمر، فإنه نظام الإسلام»^(١).

وقال الإمام الرضا ﷺ في ذلك:

«الإمام زمام الدين، ونظام أمور المسلمين»^(٢).

وقال أمير المؤمنين ﷺ أيضاً:

«فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك... والإمامة نظاماً للأمة»^(٣).

والنظام في اللغة العربيّة الخيط الذي يمرّ من وسط خرز السبحة أو حبات القلادة وينظمها^(٤).

(١) أمالي المفيد: ٢/١٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٢٤٦/١.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٥٢، نزهة الناظر: ١٤/٤٦، غرر الحكم: ٦٦٠٨.

(٤) نظام العقد هو الخيط الجامع له. (شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٩٦/٩). والنظام: الخيط الذي يُنظم فيه

اللؤلؤ ونحوه. (تاج العروس: ٦٨٩/١٧).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلام يمكن أن نعدّه تفسيراً للروايات السابقة:

«مكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز^(١)، يجمعه ويضته، فإذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره أبداً»^(٢).

من هنا نفهم أنّ فلسفة الإمامة - حسب هذه الروايات - هي المحافظة على النظام الإسلاميّ، وأنّ الإمام كالحيط الذي يرتبط به شمل الأمة من أجل تنفيذ المناهج الإسلاميّة الصانعة للإنسان، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وهذا كلّ ضامن لتكامل المجتمع البشريّ مادّيّاً ومعنويّاً.

قال الإمام الصادق عليه السلام مبيناً الحكمة من وجود الإمام:

«إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها إمام، كي ما إن زاد المؤمنون شيئاً ردهم، وإن نقصوا شيئاً أتمّه لهم»^(٣).

وهذه الرواية أيضاً - كذيل الرواية الواردة في علل الشرائع - ترى أنّ فلسفة الإمامة حراسة الإسلام القويم وصيانتة من التحريف.

ومع أنّ الروايات المذكورة تدور حول فلسفة ولاية المعصوم كما سنوضح، لكن لا شك أنّ ما ورد فيها - دليل على ضرورة القيادة الرّبانيّة - يمكن أن يكون دليلاً على لزوم ولاية الفقيه في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام أيضاً.

إنّ الفقيه الحائز على شروط القيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام يضطلع بنفس المسؤوليّة التي يضطلع بها الأئمّة المعصومون عليهم السلام في حياتهم، من أجل إقامة الحكومة وتطبيق القوانين الإلهيّة وصيانة الإسلام الأصيل من التحريف. وإنّ نجاحه

(١) الخرز ما ينظم في السلك كالجزع، والخرزة المصنوعة من الزجاج والطين والصدف وغيرها. (فرهنگ معین :

١/ ١٤١٠).

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٦.

(٣) الكافي: ١/ ١٧٨/ ٢.

في تحقيق الأهداف الحكوميّة للإسلام أو إخفاقه في ذلك منوطان بالظروف الزمانيّة والمكانيّة، مثله في ذلك مثل الإمام المعصوم عليه السلام.

وبين القائد الكبير للثورة الإسلاميّة الإيرانيّة الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه - وكان أعظم فقيه جامع لشروط القيادة - الفلسفة العمليّة للفقّه في ندائه التاريخي الذي وجهه إلى علماء البلاد سنة ١٤٠٩ هـ فقال:

«الحكومة من منظور المجتهد الحقيقي هي الفلسفة العمليّة للفقّه التام في ميادين الحياة البشريّة جميعها، وهي تعبّر عن الجانب العملي للفقّه في مواجهة المشاكل الاجتماعيّة والسياسيّة والعسكريّة والثقافيّة كلّها. والفقّه هو النظرية الحقيقيّة التامة لإدارة الإنسان والمجتمع من المهد إلى اللحد. والهدف الأساس هو أننا كيف نريد أن نطبّق المبادئ الرصينة للفقّه في عمل الفرد والمجتمع، فنستطيع أن نجد علاجاً للمشاكل القائمة. ولا يخاف الاستكبار إلا إذا اتخذ الفقّه طابعاً عملياً ومكّن المسلمين من المواجهة»^(١).

إنّ الثورة الإسلاميّة العظيمة في إيران تجربة ثينة لتحقيق الفلسفة العمليّة للفقّه وولاية الفقيه، من أجل القيادة السياسيّة وتنفيذ القوانين الإلهيّة، ومقارعة المحاولات الرامية إلى تشويه الإسلام الأصيل.

إنّ أهمّ سرّ في انتصار الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة وديمومتها هو ما كان يتمنّع به مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة من قدرة وصلابة، هذا الولي الفقيه فريد عصره ونسيج وحده في عرض الإسلام الأصيل، ومكافحة تشويهه مكافحةً جادّة، وهذا من أهمّ الأركان الأصليّة في فلسفة ولاية الفقيه.

وكان قصارى جهده أن يعرض للمجتمع ما يراه إسلاماً أصيلاً من منظاره الفقهي والتخصّصي، ولم يخش لوم اللائمين وضجيج المناوئين في هذا الطريق.

(١) من نداء الإمام رضوان الله عليه إلى علماء البلاد بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.

وعندما كتب إليه أحد علماء قم رسالة، قبل أن تعرج روحه الطاهرة إلى الملكوت الأعلى بشهور، واستفتاه عن الشطرنج وآلات الموسيقى رغبةً منه في النصح ومبادرةً منه في الحؤول دون ضوضاء المناوئين، واقترح عليه قائلاً:

«أفضل أن تترفع ساحتكم المقدسة عن مثل هذه المسائل، ولا أرى ضرورة لنشرها».

أجابه ذلك الفقيه العظيم الذي لم يخش إلا الله فقال:

«أنت تعلم أنني أحبك وأراك نافعاً، ولكنني أنصحك نصيحةً أبويةً أن تجعل الله تعالى وحده نصب عينيك، ولا تبال بما يقوله المنافقون المتظاهرون بالتقوى والهمج الرعاع من المعتمين، إذ لو قدر أن تتزعزع مكانتنا عند هؤلاء الحمقى الرعاع بسبب نشر حكم الله تعالى فلتزعزع أكثر فأكثر»^(١).

إن أخطر تشويه يهدّد كيان الإسلام العظيم في واقعنا المعاصر هو شعار «فصل الدين عن السياسة» الذي واجهه الإمام الراحل رضوان الله عليه بكل اقتدار، وعانى كثيراً في هذا المجال، وقال ﷺ في ندائه المهمّ الذي وجّهه إلى المراجع والمدرّسين وطلّاب الحوزات العلميّة وأئمّة الجمعة والجماعة:

«عندما ينس الاستكبار العالمي من إبادة العلماء والحوزات الدينية اختار أسلوبين لإنزال ضربته، الأول: أسلوب القوة والترهيب، والآخر: أسلوب الخداع والتغفل. ولما فقد الأسلوب الأوّل بريقه في عصرنا هذا نشط الأسلوب الثاني، وإنّ أوّل خطوة خطاها على هذا الطريق وأهمّها هي المناداة بفصل الدين عن السياسة.

ومن المؤسف أنّ هذا التوجّه قد فعل فعله في الوسط العلمانيّ إلى حدّ ما، حتّى خيّل أنّ التدخّل في السياسة دون شأن الفقيه، وأنّ ممارسة النشاط السياسيّ

(١) رسالة الإمام ﷺ إلى حجة الإسلام والمسلمين قدير بتاريخ ١٢ صفر ١٤٠٩ هـ.

يعني العمالة للأجانب.

لا جرم أنّ العلماء المجاهدين قد اكتتوا بنار هذا التوجّه أكثر من غيرهم، ولا تحسبوا أنّ الأعداء وحدهم هم الذين ألصقوا بنا تهمة العمالة والمروق من الدين، فالعلماء غير الواعين ووعاظ السلاطين قد فعلوا ذلك أيضاً، وتلقينا منهم ضربات أشدّ من ضربات الأعداء... واعلموا أنّ معاناة أيكم الشيخ الكبير من هؤلاء المتحجّرين تفوق كلّ معاناة.

وحينما رسخ شعار «فصل الدين عن السياسة» وأصبح الفقه في منطق غير الواعين هو الانهماك في الأحكام الفردية والعبادية وأرغم الفقيه على أن لا يتجاوز هذا النطاق ولا يتدخّل في السياسة وشؤون الحكومة... عدّ تعلّم اللغة الأجنبية كفراً، ومزاولة الفلسفة والعرفان ذنباً وشركاً. وصادف ذات يوم أن شرب ولدي المرحوم مصطفى - وكان صغيراً - ماءً من كوز في المدرسة الفيضية، فطهره لأنّي كنت أدرّس الفلسفة. ولا يداخني الشكّ أنّ هذا التوجّه لو استمرّ على هذه الحالة لأصبح وضع حوزاتنا العلمية كوضع الكنائس في القرون الوسطى. لكنّ الله منّ على المسلمين وعلمائهم بحفظ كيانهم ومجدهم الحقيقي^(١).

فلسفة إمامة المعصوم

إنّ أهمّ مسألة في الفصل المرتبط بفلسفة القيادة السياسيّة هي ضرورة إمامة المعصوم، وفي ضوء عقيدة أتباع أهل البيت يحتاج الإنسان إلى قيادة المعصوم كي يطوي الطريق إلى تكامله، ويتعذّر تحقّق المجتمع الإلهي الإنساني المثاليّ بدون إمامته وقيادته.

وإذا أردنا أن تثبت ذلك فعليّنا أن نتعرّف على معنى المعصوم في البداية، ثمّ نجيب

(١) نداء الإمام الخميني رحمه الله إلى علماء البلاد بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.

عن السؤال الآتي: لماذا لا تُغني قيادة الفقيه (الجامع لشروط القيادة) عن قيادة الإمام المعصوم؟

تعريف المعصوم

«المعصوم» و«العصمة» من مادّة «عَصَمَ» بمعنى الإمساك، والمنع، والاستمساك^(١). وفي ضوء هذا المعنى نلاحظ أنّ المعصوم هو المصون من الذنب والمعصية، والعصمة ملكة اجتناب الذنوب، فالمعصوم والعصمة من جذر واحد، وهو المصونيّة. والمعصوم - في مباحث أصول العقائد - هو المنزّه من الخطأ والذنب. وبعبارة أخرى: هو الذي لا يذنب، ولا يرتكب خطأً في الآراء والعقائد والأعمال، بل هو المصون من الذنب والخطأ دائماً.

الفرق بين المعصوم والمجتهد

يختلف المعصوم عن المجتهد اختلافاً مبدئياً، بحيث لا يمكن المقايسة بينهما، وإن كان كلّ واحد منهما خبيراً في الدين حارساً له. والفرق بينهما أنّ المعصوم هو الذي ضمن الله تعالى معرفته بالدين، وصحّة آرائه وأعماله، وكلّ ما قاله هو في الحقيقة قول الله سبحانه، وتصرفاته وممارساته الفرديّة والاجتماعيّة هي التي يريدّها الله تعالى. أمّا المجتهد فقد يخطئ في بعض آرائه وقراراته لافتقاده صفة العصمة والمصونيّة من الخطأ، ذلك أنّ مدارك استنباط الأحكام في طائفة من المسائل ليست بنحو يستطيع الفقيه فيه معرفة الواقع كما هو أهله، فيتخذ قراراً بشأنه، ومن هنا ينشأ اختلاف الآراء بين الفقهاء.

أعلى درجات القيادة

ذكرنا سابقاً أنّ القائد في النظام الإسلامي يضطلع بثلاث مهمّات أساسيّة هي:

١- المحافظة على نظم المجتمع عبر القيادة السياسيّة.

٢- تطبيق القوانين الإلهيّة.

٣- صيانة الدين من التحريف.

ولاريب أنّ الشخص الوحيد القادر على القيام بهذه المهامّ - بنحوٍ دقيق كامل مجرّد عن كلّ نقصٍ وخطأ - هو المصون من الخطأ في معرفة الأحكام والقوانين الإلهيّة وفي تطبيقها. من هنا فإنّ أرفع القيادات درجةً هي قيادة المعصوم.

وقد اقتضت الحكمة الإلهيّة أن يحظى الناس عند الإمكان بأرفع درجات القيادة السياسيّة المنزّهة عن كلّ نقصٍ وخطأ.

ويعتقد أتباع أهل البيت (عليه السلام) - استناداً إلى الأدلّة القاطعة - أنّ الأنبياء ومن يصطفيهم الله تعالى بنحوٍ خاصّ ويعيّنهم للناس أئمةً وقادةً بواسطة أنبيائه هم الحائزون على أرفع درجات القيادة.

وقد تكفّل الله تعالى تنزيهم عن الذنب والخطأ^(١). من هنا عندما يفوز المجتمع الإسلامي بوجود الإمام المعصوم فإنّه لا يرى شرعيّةً لقيادة سواه.

(١) انظر كتابنا فلسفه وحی ونبوت (فلسفه الوحي والنبوة): القسم الخامس «دراسة تحليلية لعصمة الأنبياء».

الخلاصة

☐ حاجة المجتمع إلى القيادة السياسية حاجة فطرية، ولذلك كانت لجميع الأمم والشعوب قيادة سياسية على مرّ التاريخ.

☐ تعتقد عامة الفرق الإسلامية - إلا فئة من الخوارج وجماعة من المعتزلة - بوجوب القيادة السياسية للمجتمع.

☐ يعدّ المنطق المادّي الديالكتيكي حركة المجتمع حتمية، فهو يطوي طريق تكامله تلقائياً، ولا حاجة به إلى القيادة، وقد أثبت أنصار هذه النظرية بطلانها عملياً.

☐ نظرية تعميم الإمامة محاولة ساذجة جداً لفرض المنطق المادّي على أسس القيادة في الإسلام.

☐ في الوقت الذي يرى فيه الإسلام أن أرفع درجات القيادة ضرورية للمجتمع يؤكد ضرورة القيادة السياسية على نحو مطلق عندما لا تنهت الأفضية للقيادة السياسية المطلوبة.

فلسفة ولاية الفقيه

☐ تقوم فلسفة ولاية الفقيه على قاعدتين:

١- أن تكامل الإنسان مادياً ومعنوياً - وهو الذي يمثل الحكمة ممّن خلقه - لا يمكن أن يتحقّق إلا عبر منهاج يضعه الله سبحانه وتعالى.

٢- أن الشخص الأكفأ لقيادة المجتمع هو الأعراف بالمنهاج الربّاني لتكامل الإنسان والأقدر على تطبيقه.

▣ تدلّ الروايات الإسلامية على أنّ فلسفة القيادة السياسيّة في الإسلام - الرامية إلى المحافظة على النظام الإسلاميّ، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وصيانة الدين من التحريف - لا يمكن أن تحقّق في غيبة الإمام المعصوم إلّا بقيادة الفقيه الحائز على شروط القيادة.

▣ يضطلع الفقيه الحائز على شروط القيادة - من أجل إقامة الحكومة، وتطبيق القوانين الإلهيّة، وصيانة الإسلام الأصيل من التحريف في عصر غيبة الإمام المعصوم - بنفس المسؤولية التي يضطلع بها الإمام المعصوم عند حضوره.

▣ تتمثّل فلسفة الفقه العمليّة بقيادة الفقيه السياسيّة لعلاج جميع مشاكل المجتمع على أساس المبادئ الإسلاميّة.

▣ إنّ أخطر تشويه يهدّد الإسلام في واقعنا المعاصر هو شعار «فصل الدين عن السياسة» الذي وقف الإمام الراحل رضوان الله عليه أمامه بكلّ صلابة، وعانى ما عانى بسببه.

فلسفة إمامة المعصوم

▣ «العصمة» و «المعصوم» من جذرٍ واحد، بمعنى المصونيّة، والمعصوم في المباحث العقيدية هو المصون من الخطأ والذنب.

▣ شاءت حكمة الله تعالى أن يحظى الناس عند الإمكان بأرفع درجات القيادة السياسيّة المنزهة عن كلّ نقصٍ وخطأ.

▣ يعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام بعصمة الأنبياء والقادة الذين يصطفاهم الله وينصبهم للناس. وعلى هذا عندما يفوز المجتمع بوجود الإمام المعصوم فإنّه لا يرى شرعيّةً لقيادة سواه.

الفصل الثاني

القيادة الأخلاقية

الأخلاق أساس السلوك الإنساني، والقيم الأخلاقية عماد المجتمع الإبراهيمي المثالي والأمة المحمدية النموذجية.

إن الحكمة والهدف النهائي من الوحي والنبوة إحياء القيم الأخلاقية وإعداد الصالحين، والارتفاع بهم نحو المقام الرفيع للإمامة الأخلاقية، كما قال نبينا الكريم محمد ﷺ:

«يُعْتَمَدُ لَأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»^(١).

وكان ﷺ نفسه نموذجاً كاملاً للقائد الأخلاقي، كما قال تعالى في كتابه الحكيم:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٢).

(١) السنن الكبرى: ١٠ / ٦٩٢، إتحاف السادة: ٦ / ١٧١، المعجم الكبير: ٢٠ / ٦٦ / ١٢٠، ومثله في النهاية:

٢ / ٧٠، مكارم الأخلاق: ١ / ٣٦.

(٢) الأحزاب: ٢١.

من هنا فإن الصالحين يحاولون دائماً أن يقتربوا من هذه الأسوة الأخلاقية العظيمة ويقتدوا بها في حياتهم.

ونقرأ في آخر سورة الفرقان اثنتي عشرة خصلة يتسم بها أولئك الصالحون، منها الصفة الآتية:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١).

وتؤول فلسفة القيادة السياسية في الإسلام إلى فلسفة الوحي والنبوة في آخر المطاف، أي: ارتقاء الإنسان إلى القيادة الأخلاقية، بعبارة أخرى: فلسفة القيادة الأخلاقية انعكاس لفلسفة القيادة السياسية، وقد مرّ شرح ذلك في الفصل الأول. يضاف إلى ذلك، أنّ القيادة الأخلاقية شرط للقيادة السياسية، أي: ما لم يتمتع الإنسان بالقيادة الأخلاقية فلا يصلح - في منظار الإسلام - للقيادة السياسية للمجتمع الإسلامي.

درجات القيادة الأخلاقية

يبدو في أوّل نظرة أنّ درجات القيادة الأخلاقية تبدأ من القيادة القولية بلا عمل، ثمّ بالقيادة العملية، وتنتهي بالقيادة القولية والعملية معاً. وبقليل من التأمل نجد أننا لا نستطيع أن نعدّ القيادة القولية بلا عمل من درجات القيادة الأخلاقية المثالية، لأنّ الإمام والقائد الأخلاقي للمجتمع - من منظور إسلامي - ينبغي أن يكون قدوة للناس في سلوكه وعمله قبل أن يدعوهم إلى القيم بأقواله. قال أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

«مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ، وَلْيَكُنْ

تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ ، وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ»^(١).

القيادة الأخلاقية بلا عمل لا تمثل قيمة معينة ، بل هي منافية للقيم .
ويتحدث الشاعر حافظ الشيرازي عن القائلين الحق المنحرفين عنه في العمل
فيقول ما ترجمته :

- هؤلاء الوعاظ الذين يتبدون بمثل هذا القدر (من القداسة) فوق المنبر وأمام
المحارب يفعلون الأفاعيل إذا ما انفردوا في خلوة .

- إني لحائر! فسل عالم المجلس : ترى... ما بال الأمرين بالتوبة لا يتوبون هم
أنفسهم إلا في الندرة؟!

- كأنما هم لا يؤمنون بيوم الحساب ، فيرتكبون كل هذا الغش والتزوير مع الله
المحاسب!

ويوبخ القرآن الكريم بشدة الأشخاص الذين يدعون الناس إلى التحلي
بالفضائل ، وهم لا يتحلون بها . قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ
أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(٢).

ولعن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مثل هؤلاء القادة الأخلاقيين بقوله :
«لَعَنَ اللَّهُ الْأَمْرِينَ بِالْمَعْرُوفِ الْتَارِكِينَ لَهُ ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ»^(٣).

وروي عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه قال :

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٧٢ .

(٢) الصف : ٢ و ٣ .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٢٩ .

«أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تَقْرُضُ شِفَاهَهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ، كُلَّمَا قَرَضْتُ وَفَتَ (أَي: تَمَّتْ وَطَالَتْ) فَقُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَقْرَأُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ»^(١).

في ضوء ذلك، تبدأ درجات القيادة الأخلاقية من القيادة القولية والعملية، وفي أعلى درجاتها يسبق عمل الإنسان قوله، ويصبح باطنه أفضل من ظاهره، أي: يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وهكذا يحظى بأجمل الفضائل الأخلاقية. يقول سيّدنا أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا المجال:

«زِيَادَةُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ أَحْسَنُ فَضِيلَةٍ، وَنَقْصُ الْفِعْلِ عَنِ الْقَوْلِ أَقْبَحُ رَذِيلَةٍ»^(٢).

ولاية القادة الأخلاقيين

يرى القرآن الكريم أنّ جميع المؤمنين يتسمون بالقدرة على القيادة الأخلاقية، وما عليهم إلّا أن يهيئوا أنفسهم لهذه القيادة. قال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^(٣).

إنّ هذه الولاية التي منحها الله كافّة المسلمين ليست قيادة سياسية، بل هي قيادة وولاية أخلاقية، إذ من حقّ المسلم - بل من واجبه - في نشر القيم الأخلاقية في المجتمع الإسلاميّ وتطهيره من الرذائل، أن يخطو هو في هذا السبيل، وأن يأمر به الآخرين.

(١) شعب الإيمان: ٢/ ٢٨٣/ ١٧٧٣؛ كنز العمال: ١١/ ٣٩٨/ ٣١٨٥٦.

(٢) غرر الحكم: ٥٤٥٩.

(٣) التوبة: ٧١.

نموذج القيادة الأخلاقية

يمكننا أن نجد أبرز نموذج للقيادة الأخلاقية في نهج البلاغة. حيث يصف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أحد إخوانه في الله، بدون أن يصريح باسمه، لما نال من أرفع درجات القيادة الأخلاقية، ويؤكد في آخر كلامه أن التحلي بهذه الصفات ضروري للجميع، وإذا تعدّر على أحد أن يبلغ تلك الدرجة الرفيعة من الفضائل الأخلاقية فعليه أن يسعى بمقدار جهده ليحظى بقسم منها. قال عليه السلام:

«كان لي فيما مضى أخ في الله، وكان يُعْظِمُهُ في عيني صِغَرُ الدُّنْيَا في عَيْنِهِ. وكانَ خارجاً من سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فلا يشتهي ما لا يجدُ، ولا يُكثِرُ إذا وَجَدَ. وكانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتاً، فإن قال بَدْءُ^(١) القائلين، وَتَفَعَّ غَلِيلُ^(٢) السائلين. وكانَ ضَعِيفاً مُسْتَضْعِفاً، فإن جاء الجِدُّ فهو لَيْثٌ غَابٍ وَصِلٌ^(٣) وادٍ، لا يُدْلي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قاضياً. وكانَ لا يُلومُ أحداً على ما يَجِدُ العُدْرَ في مثله حَتَّى يَسْمَعَ اعتذارَه. وكانَ لا يَشكو وَجَعاً إلَّا عند بُرْثِهِ. وكانَ يقولُ ما يَقَعْلُ ولا يقولُ ما لا يَقَعْلُ. وكانَ إذا غَلِبَ على الكلام لم يُغْلَبْ على السكوت. وكانَ على ما يَسْمَعُ أَحْرَصَ منه على أن يتكلَّم. وكانَ إذا بَدَّهَ أمران ينظر أيُّهما أَقْرَبُ إلى الهَوَى فيُخَالِفُهُ. فعليكم بهذه الخلائق فالزموها وتنافسوا فيها، فإن لم تستطيعوها فاعلموا أن أخذَ القليلِ خَيْرٌ من تركِ الكثيرِ^(٤)».

(١) أي سيفهم وغلبهم. (لسان العرب).

(٢) أي أزال العطش.

(٣) الصِّل - بالكسر -: الحية التي تقتل إذا نهشت من ساعتها. (لسان العرب).

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٢٨٩. وروي هذا الكلام باختلاف يسير عن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام كما في بحار

الخلاصة

- ☐ الأخلاق أساس السلوك الإنساني، والغاية النهائية من الوحي، والنبوة إحياء القيم الأخلاقية، والارتفاع بالإنسان إلى القيادة الأخلاقية.
- ☐ القيادة الأخلاقية أحد شروط القيادة السياسية في الإسلام.
- ☐ القيادة الأخلاقية بلا عمل لا تمثل قيمة معينة، بل هي منافية للقيم.
- ☐ ينبغي أن يكون القائد الأخلاقي قدوة في سلوكه قبل أن يدعو الناس إلى القيم.
- ☐ في أعلى درجات القيادة الأخلاقية يصبح باطن الإنسان أفضل من ظاهره. وهذه الفضيلة من أجمل الفضائل الإنسانية.
- ☐ المؤمنون كافة يتمتعون بالقدرة على الولاية الأخلاقية، وما عليهم إلا أن يعدّوا أنفسهم للقيادة الأخلاقية.
- ☐ القدرة على الولاية الأخلاقية ليست اقتداراً سياسياً، بل هي حق يمارسه الإنسان من أجل اجتثاث الرذائل، وبث الفضائل.
- ☐ أشير في الحكمة ٢٨٩ من حكم نهج البلاغة إلى أبرز نموذج للقيادة الأخلاقيين، وينبغي للجميع أن يستنبروا بها فيجدوا ليقربوا من تلك الدرجة الرفيعة للقيادة الأخلاقية.

الفصل الثالث

القيادة العلميّة

إنّ التعرّف على حقائق الوجود من أهمّ أسس تكامل الإنسان، وكلّما زاد وعي الإنسان زادت كرامته وزاد كماله الإنسانيّ.

ولا ريب أنّنا لا يمكن أن نُلَمّ بالحقائق التي تُعرّف الإنسان على منهاج تكامله بدون قيادة علميّة، فالمجتمع إذن يحتاج إلى القيادة العلميّة لا محالة كحاجته إلى القيادة الأخلاقيّة والسياسيّة.

والنقطة اللافتة للنظر - من منظار عامّ - هي أنّ العلوم التي يحتاج إليها الإنسان تنقسم إلى قسمين:

الأوّل: العلوم التي يحصل عليها الإنسان بمجهوده وتجاربه.

الثاني: العلوم التي لا يمكن الحصول عليها إلّا عن طريق الاتّصال بمبدأ الوحي وبارئ الوجود.

ولا يحتاج المجتمع إلى قيادة إلهيّة من أجل الحصول على القسم الأوّل من العلوم المذكورة، لأنّه يستطيع أن يحصل عليها وحده، وما دور القيادة الإلهيّة هنا إلّا

التخطيط لتسيير هذه العلوم باتجاه سعادة الإنسان الدائمة. أمّا القسم الثاني منها - كالحقائق المتعلقة بالمبدأ والمعاد ممّا لا يتسنى إحرازه بالدراسة والبحث والتجربة - فلا جرم أنّ المجتمع يحتاج إلى قيادة إلهية بغية كسبها. ولا تتحقّق هذه الأمور إلّا عبر القيادة التي ينبغي أن تكون آراؤها مصونة من الخطأ، كي تحول دون بروز خلاف في تحديد الحقائق التي عرضها الوحي.

قيادة القرآن العلمية

بعد رحيل الرسول الأكرم محمد ﷺ زعم البعض أنّ القرآن الكريم وحده يكفي لقيادة العالم علمياً، وطرح هؤلاء شعارهم المعروف «حسبنا كتاب الله» لإلغاء حاجة المجتمع الإسلامي إلى المرجعية العلمية لأهل بيت النبوة ﷺ، بيد أنّ التاريخ الإسلامي أثبت بوضوح أنّ هذا الشعار ليس سديداً، وأنّ القرآن الكريم وحده لا يلبي حاجة المجتمع الإسلامي بدون قيادة إلهية.

وحينما أوفد أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن عباس لمناظرة المتمرّدين في النهروان، قال له:

«لا تُخاصِمهم بالقرآن، فإنّ القرآن حمّالٌ ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكنّ حاجِبهم بالسُنّة، فإنّهم لن يجدُوا عنّها محيِصاً»^(١).

القرآن دستور الإسلام، ولا شكّ أنّه يحتاج إلى مفسّرين مصونين من الخطأ، يستطيعون أن يهدوا المجتمع الإسلامي إلى حقائقه ومفاهيمه، وإلى ما يحتاجون إليه من برامج في حياتهم. من هنا قرن الرسول الأعظم ﷺ أهل بيته بالقرآن بوصفهم هداة الأمة الإسلامية وقادتها، وذلك في حديث الثقلين المتواتر الذي اتّفق عليه الفريقان (الشيعية والسنة). وعلى هذا الأساس أصبحت القيادة السياسيّة والقيادة العلميّة في

المجتمع الإسلاميّ جنباً إلى جنب، لتكون المرجعيّة العلميّة لأهل البيت تمهيداً لقيادة المسلمين السياسيّة، لكن واحسرتاه...!

قيادة المعصوم العلميّة

إنّ قيادة المعصوم العلميّة في علاج المشاكل العلميّة وتشخيص الحقائق التي جاء بها الوحي من المسائل التي استند إليها الأئمّة المعصومون وأصحابهم في مناظراتهم مع مناوئهم لإثبات ضرورة قيادة المعصوم.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) أول من تمسك بهذا البرهان.

فقد انتقد بعض العلماء المعاصرين له الذين كانوا يختلفون في استنباط الأحكام الإلهيّة، وأعلن مستنكراً: لماذا لا يريدون أن يقرّوا بهذه الحقيقة وهي أنّ الله تعالى عين لهم مرجعاً لعلاج الاختلاف في استنباط الأحكام؟! ثمّ قال:

«تَرُدُّ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةَ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِرَأْيِهِ، ثُمَّ تَرُدُّ تِلْكَ الْقَضِيَّةَ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ، ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقَضَاءُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَفْضَاهُمْ فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعاً، وَالْهَيْئَةُ وَاحِدَةٌ، وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ، وَكُتَابُهُمْ وَاحِدٌ».

وواصل الإمام (عليه السلام) كلامه، فطرح أسئلة حول اختلافهم في تعيين الحكم الواقعي للإسلام، وترك جوابها للسامع كي يستنتج بشكل طبيعيّ أن لا سبيل لرفع الاختلاف في استنباط الأحكام إلّا الرجوع إلى المعصوم، وليس لأيّ فقيه وعالم أن يملأ الفراغ الناتج عن غياب القائد المعصوم، قال (عليه السلام):

«أَقَامَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْاِخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ ١٩ أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ ١٩ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ دِيناً نَاقِصاً فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتِمَامِهِ ١٩ أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى ١٩ أَمْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ دِيناً تَاماً فَقَصَرَ الرَّسُولُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ، وَاللَّهُ

سُبْحَانَهُ يَقُولُ: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^(١) وَفِيهِ تَبَيَّنَ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدَّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ^(٢).

في ضوء ذلك، إذا كان محالاً على الله أن يصدر تعاليم متناقضة، وهو كذلك حقاً، وإذا كان دينُ الله كاملاً، وهو كذلك لا محالة، وإذا كان الله تعالى لم يستعِن بأحد لإكمال دينه، وهو كذلك قطعاً، وإذا كان الله لا كفو له فيحق له التشريع، وهو كذلك حتماً، وإذا كان النبي لم يقصُر في إبلاغ دين الله الكامل، وهو كذلك حقاً، وإذا كان الله تعالى قد بيّن كل شيء في القرآن الكريم، وهو كذلك قطعاً، إذا كان ذلك كله فمن أين نشأ الاختلاف؟

محضلة ما ذكرناه هو أنه لا بد أن يخلف النبي ﷺ من له القدرة على استنباط الأحكام الإلهية جميعها من القرآن الكريم، ويكون مصوناً من الخطأ والطيش في تشخيصه، ويمثّل الملاذ الفكري والمرجع العلمي للأمة الإسلامية.

مناظرة عمر بن أذينة مع قاضي الكوفة

على أساس هذا البرهان المتين كانت هناك مناظرة رائعة حول مرجعية المعصوم العلمية في الأحكام الإلهية، جرت بين عمر بن أذينة أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وعبدالرحمن بن أبي ليلى قاضي الكوفة.

يقول عمر: دخلت يوماً على عبدالرحمن بن أبي ليلى بالكوفة وهو قاضٍ، فقلت: أردتُ - أصلحك الله - أن أسألك عن مسائل وكنتُ حديث السن.

فقال: سل، يا بن أخي عما شئت!

قلت: أخبرني عنكم معاشر القضاة، ترد عليكم القضية في المال والفرج والدم،

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ١٨.

فتقضي أنت فيها برأيك، ثمّ ترد تلك القضية بعينها على قاضي مكّة، فيقضي فيها بخلاف قضيتك، ثمّ ترد على قاضي البصرة، وقاضي اليمن، وقاضي المدينة، فيقضون فيها بخلاف ذلك، ثمّ تجتمعون عند خليفتم الذي استقضاكم فتخبرونه باختلاف قضاياكم، فيصوّب رأي كلّ واحد منكم، وإلّهمك واحد، ونبيّكم واحد، ودينكم واحد!

أفأمركم الله عزّ وجلّ بالاختلاف فأطعتموه؟ أم نهاكم عنه فعصيتموه؟ أم كنتم شركاء الله في حكمه فلكم أن تقولوا وعليه أن يرضى؟ أم أنزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بكم في إتمامه؟ أم أنزله الله تامّاً فقصر رسول الله ﷺ عن أدائه؟ أم ماذا تقولون؟

(ولمّا كانت هذه الأسئلة جديدة على عبدالرحمن، فإنّه أراد أن يعرف السائل)، فقال: من أين أنت يا فتى؟
قلتُ: من أهل البصرة.
قال: من أيّها؟
قلت: من عبدالقيس.
قال: من أيّهم؟
قلت: من بني أذينة.
قال: ما قرابتك من عبدالرحمن بن أذينة؟
قلت: هو جدّي.

فرحّب بي وقربني، وقال: أي فتى، لقد سألت فغلّظت، وانهمكت فتعوّصت، وسأخبرك إن شاء الله، أمّا قولك في اختلاف القضايا، فإنّه ما ورد علينا من أمر القضايا ممّا له في كتاب الله أصل أو في سنّة نبيّه ﷺ فليس لنا أن نعدو الكتاب والسنّة، وأمّا ما ورد علينا ممّا ليس في كتاب الله ولا في سنّة نبيّه فإنّا نأخذ فيه برأينا.

قلت: ما صنعت شيئاً! لأنّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ

شَيْءٍ»^(١)، وقال فيه: «تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ»^(٢).

... قال: ... فتقول أنت: إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟

قلت: الله قال ذلك، وما من حلالٍ ولا حرامٍ ولا أمرٍ ولا نهيٍ إلَّا وهو في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله.

ولقد أخبرنا الله فيه بما لا نحتاج إليه، فكيف بما نحتاج إليه؟
قال: كيف قلت؟

قلتُ: قوله: «فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفِّهَ عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا»^(٣).

قال: فعند مَنْ يوجد علم ذلك (أي علم ما في القرآن)؟
قلت: عند مَنْ عرفت!

قال: وددت لو أُنِّي عرفته فأغسل قدميه وآخذ عنه وأتعلَّم منه!
قلت: أناشدك الله، هل تعلم رجلاً كان إذا سأل رسول الله ﷺ شيئاً أعطاه، وإذا سكت عنه ابتدأه؟

قال: نعم، ذلك عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قلت: فهل علمت أن عليّاً سأل أحداً بعد رسول الله ﷺ عن حلالٍ أو حرام؟
قال: لا.

قلتُ: هل علمت أنهم (أي الصحابة) كانوا يحتاجون إليه ويأخذون عنه؟
قال: نعم.

قلت: فذلك عنده.

قال: فقد مضى، فأين لنا به؟!

(١) الأنعام: ٣٨.

(٢) النحل: ٨٩.

(٣) الكهف: ٤٢.

قلت: تسأل في ولده، فإنّ ذلك العلم عندهم.

قال: وكيف لي بهم؟

قلت: أرايت قوماً كانوا بمفازة من الأرض ومعهم أدلاء، فوثبوا عليهم فقتلوا بعضهم وجافوا بعضهم، فهرب واستتر من بقي لحوفهم، فلم يجدوا من يدهم، فتأهوا في تلك المفازة حتّى هلكوا؟ ما تقول فيهم؟

قال: إلى النار. واصفرّ وجهه، وكانت في يده سفرجلة، فضرب بها الأرض فتهشمت، وضرب بين يديه، وقال: «إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»^(١).

مناظرة هشام بن الحكم مع عمرو بن عبيد

إنّ أروع مناظرة حول ضرورة قيادة الإمام المعصوم ومرجعّيّة العلميّة هي المناظرة التي دارت بين هشام بن الحكم وعمرو بن عبيد^(٢) رئيس فرقة من فرق المعتزلة.

وصفوة القول فيها أنّ شاباً من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام البارزين غلب مناظره الذي كان عالماً معروفاً وإماماً لأهل البصرة، وتناقلت الأوساط العلميّة يومئذٍ خبر هذه المناظرة حتّى رغب الإمام الصادق عليه السلام أن يسمعها على لسان تلميذه الفتى، وفيما يأتي نصّ ما جاء فيها:

كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم... هشام بن الحكم وهو شاب، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا هشام، ألا تخبرني كيف صنعت بعمر بن عبيد؟ وكيف سألته؟

(١) البقرة: ١٥٦.

(٢) دعائم الإسلام: ٩٢/١، بحار الأنوار: ١٠٤ / ٢٧٠ وما بين القوسين توضيحٌ منا أضفناه.

(٣) وكان من شيوخ المعتزلة المعروفين بالتقشف والزهد.

فقال هشام: يا بن رسول الله، إني أُجَلِّك وأُستحييك، ولا يعمل لساني بين يديك!

فقال أبو عبد الله ﷺ: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا.

قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة، فعظم ذلك عليّ، فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة.

فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متزربة بها من صوف، وشملة مرتد بها، والناس يسألونه.

فاستفرجت الناس، فأفروا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتيّ.

ثم قلت: أيها العالم، إني رجل غريب، تأذن لي في مسألة؟

فقال لي: نعم.

فقلت له: ألك عين؟

فقال: يا بني، أي شيء هذا من السؤال؟! وشيء تراه كيف تسأل عنه؟!

فقلت: هكذا مسألتي.

فقال: يا بني، سل وإن كانت مسألتك حمقاء.

قلت: أجبني فيها.

قال لي: سل.

قلت: ألك عين؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع بها؟

قال: أرى بها الألوان والأشخاص.

قلت: فلك أنف؟

قال: نعم.

قلت: فما تصنع به؟

قال : أشمّ به الرائحة .

قلت : ألك فم ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أذوق به الطعم .

قلت : فلك أذن ؟

قال : نعم .

قلت : فما تصنع بها ؟

قال : أسمع بها الصوت .

قلت : ألك قلب ؟^(١)

قال : نعم .

قلت : فما تصنع به ؟

قال : أُميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح والحواس .

قلت : أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب ؟

فقال : لا .

قلت : وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة ؟

قال : يا بنيّ، إنّ الجوارح إذا شكّت في شيء شمّته أو رأته أو ذاقته أو سمعته ،

ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشكّ .

قال هشام : فقلت له : فإنّما أقام الله القلب لشكّ الجوارح ؟

قال : نعم .

قلت : لا بدّ من القلب وإلّا لم تستيقن الجوارح ؟

قال : نعم .

(١) المقصود من القلب هنا مركز التعقّل والإدراك .

فقلت له : يا أبا مروان ، فإله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ، ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم ، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم ، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟!!

قال : فسكت ، ولم يقل لي شيئاً ، ثم التفت إليّ ، فقال لي : أنت هشام بن الحكم ؟ فقلت : لا .

قال : أومن جلّسائه ؟

قلت : لا .

قال : فمن أين أنت ؟

قلت : من أهل الكوفة .

قال : فأنت إذاً هو !

ثم ضمّني إليه ، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه^(١) ، وما نطق حتى قمت !

قال : فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال : يا هشام من علّمك هذا ؟

قلت : شيء أخذته منك وألفته .

فقال : هذا والله مكتوبٌ في صحف إبراهيم وموسى^(٢) .

(١) أي : ترحل عن مكانه الذي كان يجلس فيه وأجلس هشاماً تعظيماً له .

(٢) الكافي : ٣ / ١٦٩ / ١ .

الخلاصة

☐ العلم أهمّ دعامة للتكامل، ويتعذّر التعرّف على الحقائق التي تُطلع الإنسان على مناهج التكامل ما لم تكن هناك قيادة علميّة.

☐ يحتاج المجتمع الإسلاميّ إلى قيادة الإمام المعصوم العلميّة في جميع العصور، للحؤول دون بروز الخلاف في تشخيص الحقائق التي جاء بها الوحي. وعلى أساس هذه الحاجة جعل النبيّ الأكرم ﷺ أهل بيته ﷺ عدل القرآن الكريم إلى يوم القيامة.

☐ كان أمير المؤمنين ﷺ أوّل من تمسّك بالبرهان على ضرورة قيادة الإمام المعصوم لعلاج الخلافات الطارئة في تشخيص الحقائق الإسلاميّة.

وتمسّك به أيضاً عمر بن أذينة وهشام بن الحكم - وهما من أصحاب الإمام الصادق ﷺ - بأسلوبٍ جميلٍ دلّت عليه مناظراتهما مع الخصم.

الفصل الرابع

القيادة الباطنية

وهي أحد الأقسام الأربعة للقيادة وأكملها. ولا تعني القيادة الباطنية سلطة سياسية أو هداية أخلاقية أو زعامة علمية، بل تعني نوعاً من الهداية التكوينية بين القائد والمقود في مسار تكامل الإنسان. وفي ضوء ذلك، لا يتهيأ هذا اللون من العبادة إلا لمن له ولاية تكوينية.

تعريف الولاية التكوينية

وهي ضرب من القدرة المعنوية التي يتمتع بها الإنسان بإرادة الله ونتيجة العمل بالتعاليم والأحكام الإلهية.

قال العلامة الطباطبائي رضوان الله عليه في تفسير كلمة «الولاية»، والفارق بينها وبين النبوة:

«النبوة حقيقة حصلت على الأحكام الدينية والنواميس الإلهية المرتبطة بالحياة وأبلغتها الناس، والولاية حقيقة تظهر في الإنسان نتيجة العمل بتعاليم

النبوة والنواميس الإلهية^(١).

بعبارة أوضح: النبوة تعرض منهاجاً لتكامل الإنسان، والتكامل الذي يناله الإنسان بتطبيقه هذا المنهج حقيقة تمنحه طاقة وقدرة معنوية يغدو معها قادراً على التصرف في عالم الوجود، بما يناسب قدرته وطاقته.

من هنا تسمى هذه الحقيقة وهذه القدرة «ولاية تكوينية» أو «ولاية معنوية». وكلما ازدادت فاعلية ثمرات النبوة في حياة الإنسان ازدادت درجات ولايته التكوينية حتى يصل إلى درجة «الولاية الإلهية الكلية» أي: درجة الإنسان الكامل. ويمكننا أن نستنتج إذن أن الولاية كالإمامة لها مراتب ودرجات.

درجات الولاية التكوينية

ذكروا لها خمس درجات هي^(٢):

١- السيطرة على النفس

يكسب الإنسان في هذه الدرجة من التكامل قوةً أمام رغباته النفسانية والحيوانية، فيتغلب على نفسه الأمارة، ويسخر ميوله النفسية، ويمسك بزمام حكومته على نفسه، ويصبح في آخر المطاف قائداً كفوءاً في نطاق وجوده.

وآية الوصول إلى هذه الدرجة من التكامل هي البصيرة. أي: يصبح الإنسان ذا بصيرة نتيجة السيطرة على ميوله ورغباته النفسية، تلك السيطرة التي سمّاها القرآن الكريم: التقوى. وحينئذٍ يستطيع في ضوئها أن يرى الحقائق العقلية كما هي عليه،

(١) خلافت وولايت: مجلّة حسينية الإرشاد، سنة ١٣٩٠ هـ نقلاً عن مجلّة «مكتب تشيع»، العدد ٢ / ١٧٢ - ١٨٠.

بقلم الأستاذ العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه.

(٢) نفسه: مقالة الأستاذ الشهيد مطهری، ص ٣٨٣-٣٩٣.

وأن يميز الحق من الباطل . قال تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(١).

ووعده سبحانه عباده الذين يجاهدون في سبيله بقوله :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٢).

٢- التغلب على الخيال

قوة الوهم والخيال من أعجب القوى البشرية الخارجة عن إرادة الإنسان ، بل المسيطرة عليه من هنا ، قلما يستطيع الإنسان أن يركّز على موضوع معين ، مثلاً عند الصلاة تتقاذفه هذه القوة وتميل به يمينا وشمالاً ، فلا يحضر قلبه فيها حضوراً تاماً .

ويتغلب الإنسان على هذه القوة - في الدرجة الثانية من تكامله - بواسطة الولاية التكوينية . بعد ذلك كلما اشتاقت الروح إلى العروج نحو معشوقها الحقيقي على أساس فطرتها الإلهية تفقد قوة الخيال قدرتها على العمل ، فلا يسعها أن تحول دون عروج العاشق ، قال الشاعر جلال الدين الرومي في شرح الحديث النبوي القائل :

«تنام عيناى ولا ينام قلبي»^(٣) ما ترجمته :

قال النبي ﷺ : «تنام عيناى ولا ينام قلبي عن ربّ الأنام» .

عينك ساهرة وقلبك نائم ، وعيني غافية وقلبي في (مقام) فتح الباب (باب الرحمة) والتقرب إلى الحق) .

أنا لست جليساك بل ظلي هو من يجالسك ، وإنّ مقامي يفوق الأفكار
بل عبرت الأفكار ، وأعرج باحثاً فيما وراء الأفكار
أنا حاكم على الفكر ولست محكوماً ، كما أنّ البناء حاكم على بنائه .

(١) الأنفال : ٢٩ .

(٢) العنكبوت : ٦٩ .

(٣) الصراط المستقيم : ٧ / ٣ ، مناقب آل أبي طالب : ١ / ١٤٣ وفيه : «تنام عيناى ولا ينام قلبي» .

الناس جميعهم مسخرون للأفكار، لذلك تراهم مرهقين مغمومين.
أنا كالطائر المحلّق في أعالي الجوّ والفكر دُبابَة، فتي تستطيع الذبابة أن تدركني؟

٣- القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة ماديّة

يتمتع الإنسان في الدرجة الثالثة من التكامل بقدرة تمكّنه من القيام بأعمال معيّنة دون الحاجة إلى الوسائل والآلات الماديّة. أي: تستغي الروح عن أجهزة الجسم في بعض نشاطاتها. على سبيل المثال، يستطيع الإنسان أن يرى الأشياء من غير استعانة بالعين، ويستطيع أن يسمع من غير استعانة بالأذن، أو من غير أن يكون حاضراً. حضوراً مادّياً، ويتحقّق هذا الاستغناء لعدد من اللحظات حيناً، ولعدد من المرات حيناً آخر، وعلى الدوام حيناً ثالثاً، وهو ما يعرف بالتجرّد.

٤- السيطرة التامة على الجسم

يسيطر الإنسان على جسمه سيطرةً تامّةً في الدرجة الرابعة من تكامله. أي: يخضع الجسم لإرادة الإنسان من كلّ الجهات بحيث يفعل الإنسان الخوارق في حيّز جسمه.

٥- السيطرة على الكون

في أعلى درجة من درجات التكامل وفي خامس مرتبة من مراتب الولاية التكوينيّة يتمتع الإنسان بقدرة تجعله يتصرّف في الكون ويفعل ما يشاء، مضافاً إلى سيطرته التامة على نطاق وجوده الشخصي.

جاء في الحديث النبويّ الشريف أنّ أهل الجنّة عندما يدخلونها يؤمر ملك أن يناولهم كتاباً من عند الله، فيدخل عليهم بعد أن يستأذن ويسلم عليهم، فيناولهم الكتاب، وفيه:

«من الحيّ القيوم الذي لا يموت إلى الحيّ القيوم الذي لا يموت. أما بعد، فإنّي

أقول للشيء: كن فيكون ، وقد جعلتك اليوم تقول للشيء: كن فيكون».

قال ﷺ: فلا يقول أحد من أهل الجنة للشيء: كن إلا ويكون^(١).

والإنسان الكامل يتمتع بتلك القدرة في هذا العالم، كما يتمتع أهل الجنة في جنتهم.

روي أن الله تعالى يخاطب الإنسان قائلاً:

«يا بن آدم ، أنا حي لا أموت ، أطعني فيما أمرتك حتى أجعلك حياً لا تموت.

يا بن آدم ، أنا أقول للشيء: كن فيكون ، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول

للشيء: كن فيكون»^(٢).

ومن هذا السنخ معجزات الأنبياء والأولياء الصالحين وكراماتهم.

فقد وهبهم الله قدرة وإرادة يستطيعون من خلالها التصرف في الكون بإذن الله ، فيقلبون العصا حية تسعى ، ويبرئون الأكمه ، ويحيون الميت ، وهذه القدرة هي نتيجة الاتهار بأمر الله ، وطى صراط التقرب بالحق ، واقتراب الإنسان من مركز القدرة في الكون.

بضع ملاحظات

ونظراً إلى ما عرضناه في مفهوم الولاية التكوينية ودرجاتها ، يبدو أن الاهتمام بعدد من الملاحظات ضروري:

١- من الثابت أن نقطة البداية في الولاية التكوينية هي سيطرة الإنسان على نفسه وتائق بصيرته ، وفي أعلى درجاتها تصبح له قدرة على التصرف في الكون ،

(١) تفسير القرآن الكريم: ٥ / ١٥ للملا صدرا نقلاً عن الفتوحات المكية لابن عربي: ٣ / ٢٩٥ / الباب ٣٦١ دار

صادر-بيروت.

(٢) مستدرک الوسائل: ١١ / ٢٥٨ / ١٢٩٢٨ ، ميزان الحكمة: ٣ / ١٧٩٨ / ١١٦١٨ .

ونيل الولاية المطلقة.

لكن لو سألت عن المسافة بين البداية والنهاية، وهل تنحصر درجات الولاية التكوينية بما ذكرناه؟ فلا يتسنى لنا الجواب بدقة ووضوح. بيد أنّا يمكن أن نقول مجملًا: إنّ عدد درجات الولاية الإلهية يساوي عدد منازل السلوك إلى الله ومراتب تكامل الإنسان.

٢- إنّ مطلق القدرة الروحية للإنسان لا يدلّ على تكامله، لأنّ التمتع بهذه القدرة يمكن أن يحصل عبر الرياضة أيضاً، لكن من الواضح أنّ جميع درجات الولاية التكوينية - في ضوء التعريف المارّ ذكره - تترجم السير التكاملي للإنسان وتقرّبه إلى الله تعالى.

٣- إنّ أعلى درجات الولاية هي أعلى درجات الإمامة والقيادة في الإنسان الكامل، وقد عدّها الكلام الإلهي أعلى من النبوة أيضاً، إذ وصف القرآن الكريم السير التكاملي لإبراهيم عليه السلام، فقال:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا^(١)﴾.

وقد بلغ إبراهيم الخليل عليه السلام مقام الولاية الإلهية المطلقة والإمامة في شيخوخته بعد النبوة واجتياز الاختبارات المصيرية الصعبة، وطوّي درجات التكامل. ووصف الإمام الباقر عليه السلام السير التكاملي لذلك النبي العظيم، مستلهماً من القرآن الكريم، فقال:

«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ نَبِيًّا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ نَبِيًّا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ رَسُولًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ رَسُولًا قَبْلَ أَنْ يَتَّخِذَهُ خَلِيلًا، وَإِنَّ اللَّهَ اتَّخَذَهُ خَلِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْعَلَهُ إِمَامًا. فَلَمَّا جَمَعَ لَهُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ - وَقَبِضَ يَدَهُ - قَالَ لَهُ: يَا

إبراهيم ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾^(١).

فلسفة الولاية التكوينية

ينبغي لنا - بعد تبين مفهوم الولاية التكوينية ودرجاتها - أن نتعرف على فلسفتها، وكيف يحتاج المرء إلى الهداية المعنوية للإنسان الكامل، والقيادة الباطنية للإمام.

إنّ دراسة دقيقة للروايات المأثورة عن أهل البيت عليهم السلام تدلّ على أنّ الإسلام يرى أنّ الإنسان والمجتمع البشريّ بحاجة إلى إشراف الإنسان الكامل وهدايته وقيادته الباطنية والارتباط التكوينيّ به، من أجل نضجها وبلوغها الكمال المطلوب. وليس هذا فحسب، بل إنّ بقاء نظام العالم المادّي رهينٌ بالبقاء العنصريّ للإنسان الكامل في جميع الآباد. وتنقسم الروايات الإسلامية في هذا المجال إلى ثلاثة أقسام:

١- الروايات التي ترى أنّ الإنسان يحتاج إلى القيادة الباطنية للإمام في مسار تكامله المعنويّ.

٢- الروايات التي تذهب إلى أنّ بقاء نظام الأرض بدون بقاء الإمام محال.

٣- الروايات التي تبين دور الإمام الخاصّ في بقاء النظام الكونيّ.

دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً

يرشدنا البحث في القرآن الكريم والروايات الإسلامية في مجال الإمامة والقيادة إلى أنّ دور الإنسان الكامل أو الإمام في هداية الناس يتخطى إراءة الطريق. فالإمام - مضافاً إلى هدايته العامة - يُعين المؤهلين والكفوئين على طيّ الطريق وبلوغ ما يطمحون إليه، وهو الكمال المطلق.

بعبارة أخرى: لا يقتصر دور الإمام في تكامل الإنسان على إراءة طريق التكامل، بل يربي الأرواح المؤهلة تكوينياً - في ظل أنواره الباطنية - ويقتادها نحو الكمال المطلق.

ونقل الشيخ الكليني رضوان الله عليه في كتابه الثمين «الكافي» باب «أن الأئمة عليهم السلام نور الله عز وجل» ست روايات عن أئمة الهدى عليهم السلام فسرت فيها كلمة «النور» الواردة في بعض الآيات القرآنية بالإمام، نكتفي بذكر أولها:

عن أبي خالد الكابلي، قال: سألت أبا جعفر (أي الإمام الباقر عليه السلام) عن قول الله عز وجل:

﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنَّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^(١).

فقال عليه السلام:

يا أبا خالد، النور والله نور الأئمة من آل محمد عليهم السلام إلى يوم القيامة. وهم والله نور الله الذي أنزل. وهم والله نور الله في السماوات وفي الأرض. والله يا أبا خالد، لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار، وهم والله ينورون قلوب المؤمنين، ويحجب الله عز وجل نورهم عن يشاء فتظلم قلوبهم^(٢).

نلاحظ من منظار هذه الرواية أن الإمام في مقام الولاية التكوينية شمس متأقة أسطع من الشمس المحسوسة، تضيء باطن العالم اللاحسوس، وتنير ملكوت السماوات والأرض وضائر المؤمنين الذين لا يشاهدون طريق الوصول إلى الهدف الأعلى للإنسانية في ظل هذا النور فحسب، بل يظفرون بهذا الهدف أيضاً.

بعبارة أخرى: تؤثر الشمس المعنوية للإمام في تكامل الإنسان المعنوي تكوينياً

(١) التغابن: ٨.

(٢) الكافي: ١/١٩٤/١.

- مضافاً إلى إنارتها طريق هذا التكامل - كما تؤثر شمسنا المحسوسة في تكامله المادّي تكوينياً، مضافاً إلى إضاءتها الظاهرية.

قال العلامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه في دور الإمام التكوينيّ في هداية الإنسان - بعد تعريف الولاية التكوينية بالتفصيل الذي ذكرناه - :

«أطلق القرآن الكريم كلمة «الإمام» على مَنْ له درجات القرب، وكان أميراً لقافلة أهل الولاية، وحافظاً لارتباط الإنسانية بهذه الحقيقة. فالإمام هو الذي اصطفاه الله سبحانه للسير بصراط الولاية قدماً، وهو الذي أمسك بزمام الهداية المعنوية، وعندما تشعّ الولاية في قلوب العباد فإنّها أشعة وخطوط ضوئية من منبع النور الذي عنده، والمواهب المتفرقة روافد متصلة ببحره اللامتناهي»^(١).

وقال ﷺ في المفهوم القرآني للإمامة ما نصّه :

«... فالإمام هادٍ يهدي بأمر ملكوتيّ يصاحبه. فالإمامة بحسب الباطن نحو ولاية للناس في أعمالهم، وهدايتها إيصالها إليّهم إلى المطلوب بأمر الله، دون مجرد إراءة الطريق الذي هو شأن النبيّ والرسول وكلّ مؤمن يهدي إلى الله سبحانه بالنصح والموعظة الحسنة»^(٢).

وقال في الفصل السادس من قسم معرفة الإمام، من كتاب «الشيعة في الإسلام»، تحت عنوان: «الإمامة في باطن الأعمال» وهو يثبت كلامه:

«للإمام ملكةٌ قيادية على باطن أعمال الناس، كما له تلك الملكة على ظهرها، وهو رأس القافلة، الذي يسير إلى الله عن طريق الباطن.

ولابدّ أن تلفت الأنظار إلى المقدمتين الآتيتين من أجل تبيان هذه الحقيقة:

الأولى: لا ريب أنّ الوسيلة الوحيدة لسعادة الإنسان أو شقائه الأبديّ - من

(١) خلافت وولايت (الخلافة والولاية): ٣٨٠.

(٢) تفسير الميزان: ١ / ٢٧٢.

منظار الإسلام والأديان السماوية الأخرى - هي أعماله الصالحة أو السيئة، إذ يتكفل الدين السماوي بتعليمه، وهو أيضاً يدرك صلاحها وسوءها عبر الفطرة المودعة فيه...

ولاشك أن خالق الوجود - الذي يفوق تصوّرنا من كلّ الجهات - ليس له تفكير اجتماعي مثلنا: وهذا التنظيم العرفي للرؤية والعبودية وإصدار الأوامر وطاعتها والأمر والنهي والثواب والعقاب لا وجود له خارج حياتنا الاجتماعية. والنظام الإلهي هو النظام الكوني نفسه الذي يرتبط فيه وجود كلّ شيء وظهوره بصنع الله تعالى، حسب العلاقات الحقيقية وكفى...

وينبغي أن نستنتج من هذا أن علاقة حقيقة قائمة بين الأعمال الصالحة والسيئة وبين ما هو موجود في عالم الأبد من الحياة وخصائصها، فسعادة الحياة القادمة وشقاؤها وليداً ذلك بإذن الله.

وبعبارة أبسط: تظهر في باطن الإنسان حقيقة في كلّ عمل من الأعمال الصالحة والسيئة، فتصبح حياته القادمة رهينة بها...

وملخص الكلام أن للإنسان في باطن هذه الحياة الظاهرية حياةً باطنيةً أخرى «حياة معنوية» تنبع من أعماله وتنمو فترتبط بها سعادته وشقاؤه في ذلك العالم ارتباطاً تاماً...

الثانية: يحدث كثيراً أن أحدنا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو لا يعمل بما يأمر به أو ينهى عنه، بيد أن لا نجد ذلك أبداً عند الأنبياء والأئمة الذين تتحقق هدايتهم وقيادتهم بأمر الله. فهم يعملون بالدين الذي يهدون إليه ويضطلعون بقيادته، ويتمتعون بالحياة المعنوية التي يقودون الناس إليها. ذلك أن الله لا يخول أحداً هداية الآخرين ما لم يهد نفسه. وهداية الله الخاصة متحققة لا محالة.

ويمكن أن نحصل من هذا البحث على النتائج الآتية:

١ - النبي أو الإمام في كلّ أمة يحرز المقام الأول في كمال الحياة المعنوية

الدينية التي يدعو ويهدي إليها، لأنه يعمل بدعوته، ويتمتع بحياتها المعنوية كما ينبغي.

٢- النبي أو الإمام هو أفضل من الآخرين لأنه الأول والرائد والقائد.

٣- أن من يتولى قيادة الأمة بأمر الله فهو قائد لها في مرحلة الحياة المعنوية وتجري حقائق الأعمال بقيادته، كما هو قائد لها في مرحلة الأعمال الظاهرية^{(١) (٢)}.

ولسنا هنا في صدد التحليل الموسع لكلام الأستاذ، لكننا نستطيع أن نقول: إن ما جاء في كلامه تبويب للآيات والروايات التي يستنبط منها دور الإمام في هداية الإنسان الباطنية.

أجل، إن الولاية والهداية الباطنية والنورانية التي تحصل للإنسان نتيجة قيامه بالواجبات الإلهية تُفاض عليه عن طريق الإمام، فالإمام واسطة فيض الولاية حقاً، من هنا لا تيسر الولاية المعنوية للإنسان دون الاعتقاد بالإمام والاتصال به.

وهذه هي الحقيقة التي أكدتها الروايات الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام من أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية^(٣). وفيما يأتي نموذج منها:

قال رسول الله ﷺ:

«والذي بعثني بالحق نبياً، لو أن رجلاً لقي الله بعمل سبعين نبياً ثم لم يأت

(١) «وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات» الأنبياء: ٧٣.

«وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا» السجدة: ٢٤.

يستفاد من مثل هاتين الآيتين أن للإمام هداية معنوية من سنخ عالم الأمر والتجرد، كما له هداية ظاهرية، وهو يؤثر في القلوب المؤهلة ويتصرف فيها ويجذبها نحو مرتبة الكمال وغاية الإيجاد، بواسطة حقيقة ذاته ونورانيته وباطنها، (منه ﷺ).

(٢) الشيعة في الإسلام: ٢٦، ٢٥٦.

(٣) انظر بحار الأنوار: ٢٧ / ١٦٦ - ٢٠٧.

بولاية أولي الأمر منا أهل البيت ما قِيلَ الله منه صرفاً ولا عدلاً»^(١).

عرض أعمال الأئمة على الإمام

إذا أنعمنا النظر فيما ذكر حول ولاية الإمام على أعمال الأئمة أمكننا الكشف عن سرّ العرض الملوكوتي لأعمال الأئمة على الإمام، كما جاء في النصوص الإسلامية، وقد أبان القرآن الكريم هذه الحقيقة جلّية أيضاً، فقال عزّ من قائل:

﴿وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

وجاء في الحديث النبوي الشريف:

«... فَإِنْ أَعْمَلَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ. فَمَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ اسْتَزِدْتُ اللَّهَ لَكُمْ،

وَمَا كَانَ مِنْ قَبِيحٍ اسْتَغْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ»^(٣).

وتدلّ دراسة الأحاديث الماثورة في هذا المجال على أنّ أعمال الأئمة الإسلامية تُعرض على النبي الأكرم ﷺ بمقتضى مقام إمامته لا بمقتضى مقام نبوته، ويجري هذا في الأئمة المعصومين أيضاً. من هنا قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير كلمة «المؤمنون» في الآية ١٠٥ من سورة التوبة - وقد مرّت بنا -: «إِيَّانَا عَنِ»^(٤).

بعبارة أخرى: إنّ الإشراف على أعمال الأئمة من شؤون القيادة الباطنية للأئمة المصطفّين. وكان هذا من خصائص الرسول الأكرم ﷺ في عصره، ثمّ اختصّ به أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، ثمّ صار للأئمة المعصومين الذين أعقبوه، وها هي أعمالنا وأعمال الناس جميعهم تُعرض على سيّدنا ومولانا إمام العصر والزمان أرواحنا لتراب

(١) أمالي المفيد: ٨/١١٥.

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ١/١٩١/٥٨٢.

(٤) بصائر الدرجات: ١/٤٢٧، مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٠٠، وسائل الشيعة: ١١/٣٩١/٢٠.

مقدمه الفداء .

ومن هذا المنطلق ، ذكر الشيخ الطوسي عليه السلام في أماليه أن داود الرقيّ - أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام - قال : كنت جالساً عند أبي عبدالله عليه السلام إذ قال لي مبتدئاً من قبل نفسه :

« يا داود ، لقد عُرضت عليّ أعمالكم يوم الخميس ، فرأيت فيما عُرض عليّ من عملك صلتك لابن عمك فلان ، فسرّني ذلك ، إنّي علمت أن صلتك له أسرع لفناء عمره وقطع أجله » .

قال داود : وكان لي ابن عمّ معانداً ناصباً خبيثاً بلغني عنه وعن عياله سوء حاله ، فصككت له بنفقة قبل خروجي إلى مكّة ، فلمّا صرت بالمدينة أخبرني أبو عبدالله عليه السلام بذلك ^(١) .

ونقرأ نموذجاً آخر عن عبدالله بن أبان ، قال : قلت للرضا عليه السلام : إنّ قوماً من مواليك سألوني أن تدعو الله لهم ، فقال :

« والله إنّي لأعرض أعمالهم على الله في كلّ يوم » ^(٢) .

نفهم من هذه الرواية أنّ الإمام - مضافاً إلى إشرافه على أعمال الأئمة - له وساطته المؤثرة في الإفادات التي يئنّ بها الله تعالى على عبده العامل بتكاليفه . وهكذا يمكن القول : إنّ القيادة الباطنية للإمام في الإشراف على أعمال الأئمة أمر يتيسّر استيعابه بوضوح في ضوء الرواية المذكورة .

(١) أمالي الطوسي : ٤٣١ / ٩٢٩ ، الخرائج والجرائح : ٢ / ٦١٢ ، بحار الأنوار : ٢٣ / ٣٣٩ .

(٢) بحار الأنوار : ٢٣ / ٣٤٩ ، ٥٦ نقلاً عن بصائر الدرجات : ٤٣٠ / ١١ وفيه : « فقال عليه السلام : والله إنّي لتمرض عليّ

في كلّ يوم أعمالهم » ، وسائل الشيعة : ١١ / ٣٩٢ / ٢٥ .

دور الإمام في نظام الأرض

ترى الروايات الإسلامية أنَّ الولاية التكوينية للإنسان الكامل لا تقتصر على القيادة الباطنية لأعمال الإنسان، بل إنَّ بقاء النظام الطبيعي للأرض رهينٌ بوجود الإنسان الكامل، بحيث إنَّ الأرض إذا خلت منه لحظةً واحدةً فإنَّ نظمها الطبيعي يتخلخل. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا»^(١).

وقال عليه السلام أيضاً:

«لَوْ أَنَّ الْإِمَامَ رُفِعَ مِنَ الْأَرْضِ سَاعَةً لَمَاتَتْ بِأَهْلِهَا كَمَا يَمُوجُ الْبَحْرُ بِأَهْلِهِ»^(٢).

وقال الحسن بن عليٍّ الوشاء: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام: هل تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا، قلت: إنَّا نروي أنَّها لا تبقى إلَّا أن يسخط الله عزَّ وجلَّ على العباد، قال: لا تبقى، إذًا لساخت^(٣).

دور الإمام في النظام الكوني

تدلُّ روايات متعدّدة على أنَّ دور الولاية التكوينية للإمام أكبر من دوره في القيادة الباطنية لأعمال الإنسان، كما تدلُّ على تأثيره في إقرار النظم الطبيعي للأرض، وتشير بصراحة إلى أنَّ النظام الكونيَّ رهينٌ بوجود الإمام وحياته على الأرض، ونحن نخاطب الأئمة المعصومين عليهم السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة المروية عن الإمام الهادي عليه السلام ونقول:

«بِكُمْ يُنْزَلُ الْغَيْثُ، وَبِكُمْ يُمَسِكَ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ»^(٤).

(١) الكافي: ٣/١٩٨/١.

(٢) الكافي: ١٢/١٧٩/١.

(٣) نفسه: ج ١٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه: ٣٢١٣/٦١٥/٢، تهذيب الأحكام: ١٧٧/٩٩/٦، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٧٦/٢.

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل :

«... لو لم يكن من خلقى في الأرض فيما بين المشرق والمغرب إلا مؤمن واحد مع إمام عادل لاستغنيتُ بعبادتهما عن جميع ما خلقتُ في أرضي ولقامت سبع سماوات وأرضين بهما...»^(١).

وهكذا يستبين أنّ فلسفة الإمامة من منظور أهل البيت عليهم السلام لا تنحصر بزمان حضور الإمام وقيادته العلمية والأخلاقية والسياسية، بل لها غايتان أخريان أيضاً، الأولى : القيادة الباطنية، والثانية : حفظ النظام الكوني. من هنا يعتقد أتباع أهل البيت عليهم السلام أنّ النظام الكوني في عصرنا هذا رهينٌ بحياة الإمام الثاني عشر من أهل بيت رسول الله ﷺ.

وهو الآن حيٌّ يُرزَق، ويستمتع الناس المؤهلون ببركات قيادته الباطنية، عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أعوانه وأنصاره.

﴿ كمال الدين : ٢٠٧ / ٢٢ ، والرواية فيه عن الإمام الصادق عن الإمام زين العابدين عليه السلام أنه قال : «...نحن الذين بنا يمسك الله السماء أن تقع على الأرض...وبنا ينزل الغيث...» .

(١) الكافي : ٢ / ٣٥٠ ، بحار الأنوار : ٧٥ / ١٥٢ ، ٢٢ ، و : ٦٧ / ١٤٩ / ٩ .

الخلاصة

☐ القيادة الباطنية أكمل أنواع القيادة، وهي لا تعني سلطة سياسية أو هداية أخلاقية وعلمية، بل تعني نوعاً من العلاقة التكوينية بين القائد والمقود باتجاه تكامل الإنسان.

☐ لا تنهياً القيادة الباطنية لأحد إلا إذا كانت له ولاية تكوينية.

☐ الولاية التكوينية قدرة معنوية ينالها الإنسان نتيجة عمل بالفرائض الإلهية.

☐ للولاية التكوينية خمس درجات:

١- السيطرة على النفس.

٢- التغلب على الخيال.

٣- القدرة على القيام بعمل دون الاستعانة بوسيلة مادية.

٤- السيطرة التامة على الجسم.

٥- السيطرة على النظام الكوني.

☐ لم نجد دليلاً على حصر درجات الولاية التكوينية بهذه الدرجات الخمس المذكورة. بيد أن الثابت هو أن الولاية التكوينية تبدأ من السيطرة على النفس الأمارة وتنتهي بالولاية المطلقة.

☐ يتكافأ عدد درجات الولاية التكوينية مع عدد منازل سلوك الإنسان الكامل ومراتبه.

☐ مطلق القدرة الروحية للإنسان لا تكشف عن تكامله، لأن التمتع بهذه القدرة يتيسر عبر الرياضة أيضاً.

☐ أعلى درجات الولاية هي أعلى درجات الإمامة والقيادة للإنسان الكامل . وقد عدّها القرآن الكريم أعلى من درجة النبوة .

☐ للإمام أو الإنسان الكامل دوران أساسيان آخران في باطن النظام الكوني ، مضافاً إلى قيادته السياسية والأخلاقية والعلمية للمجتمع :

الأول : قيادته الباطنية للناس الموهلين .

☐ الإمام في موقع الولاية التكوينية شمسٌ أسطع من الشمس المحسوسة في سمائها ، وهي تشعّ على باطن العالم اللامحسوس ، وتُضيء ملكوت السماوات والأرض وضمائر المؤمنين ، والمؤمنون الأبرار لا يشاهدون طريق الوصول إلى الهدف الأعلى للإنسانية في ظلّ نور الإمام فحسب ، بل يبلغون هذا الهدف أيضاً .

☐ إنّ الولاية والهداية الباطنية والنورانية التي تنهياً للإنسان بفعل قيامه بالفرائض الإلهية تُفاض عليه عن طريق الإمام ، فالإمام واسطة فيض الولاية .

ولا يمكن أن تؤدّي الأعمال الصالحة دورها في تكامل الإنسان دون الارتباط المعنويّ به ، وما عرض أعمال الأمة على إمام كلّ زمان إلّا من هذا القبيل .

الثاني : الركن المعنويّ للنظام الكونيّ .

☐ الإمام في موضع الولاية التكوينية هو الركن الباطنيّ للنظام الكونيّ . وبقاء نظام الطبيعة رهينٌ بالوجود الماديّ للإنسان الكامل ، وبدونه ينهار نظام السماء والأرض .

☐ للإمامة - من منظار أهل البيت (عليه السلام) - أربع غايات :

١- القيادة السياسية .

٢- القيادة الأخلاقية .

٣- القيادة العلمية .

٤- الولاية التكوينية (المتضمنة للقيادة الباطنية وحفظ نظام الطبيعة) . والغاية

الرابعة هي وحدها الباقية في عصر الغيبة .

القسم الثاني

موقع القيادة

تمهيد

سنتوفّر على دراسة موقع الإمامة من منظار القرآن الكريم، والنبيّ الأعظم ﷺ وأهل بيته عليه السلام في ثلاثة فصول، من أجل أن ندلّ على مكانة الإمامة والقيادة في الإسلام.

وسنوضّح في الفصل الرابع تحت عنوان «القيادة من منظار أتباع أهل البيت» أنّ الإمامة والقيادة من أصول الدين الإسلاميّ.

الفصل الأول

القيادة من منظار القرآن الكريم

عرّض القرآن الكريم تعبيرين دقيقين حول الإمامة، إذا أنعمنا الفكر فيها عرفنا الدور الحساس الذي تقوم به القيادة في تطبيق الأهداف الإسلامية، وأدركنا مكانتها من منظور قرآني.

١: عهد الله

عبّر القرآن الكريم عن هداية الإنسان الكامل للأمة وقيادته لها بعهد الله، نقرأ ذلك في سورة البقرة، قال تعالى:

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١).

نلاحظ في هذه الآية الشريفة أنّ الله تعالى جعل الإمامة أعلى من النبوة، وعرضها على أنّها عهد الله، وأكد أنّ من لم يتدنّس طول حياته بأيّ لونٍ من ألوان

الظلم هو وحده من يمكن أن يكون أميناً على هذا العهد^(١).

وعلينا أن نعرف: ما هو الهدف من تسمية قيادة الإنسان الكامل في القرآن الكريم بـ «العهد»؟ وكيف يتحقق عهد الله الذي جعل الإنسان الكامل إماماً؟ ومع من؟

يمكن أن يكون طرف العهد الإمام أو الأمة أو كلاهما، ولعلّ الاحتمال الثالث هو الأنسب، فالإمامة من جانب هي عهد الله مع الإمام، إذ يحقق غاية النبوة في المجتمع، وهي عهد الله مع الأمة من جانب آخر، للاستمداد من غير الوحي أكثر، وإنّ تكامل الإنسان مادياً ومعنوياً - وهو يمثل فلسفة النبوة أيضاً - رهين بوفاء الأمة بهذا العهد الإلهي. أي: إذا أوفى الناس بالعهد الإلهي وسلّموا للإمام المؤيّد إمامته من الله فإنّ الله تعالى يوفي بعهده أيضاً، ويتفضّل عليهم بنعمة السعادة والهناء، والرفاهية والرخاء دنياً وآخرة^(٢).

ب: سبيل الله

لم يسأل الأنبياء أجراً على ما كانوا يقومون به من أعمال لهداية المجتمع البشريّ وصلاحه وانعاقه. إنهم خدمة بلا أجر ولا مئة، وهذه نقطة شديدة الأهمية في قيادة القادة الربّانيين، وطالما أكّدها القرآن الكريم في آيه.

نقرأ فيه أنّ أوّل الأنبياء من أولي العزم - وهو نوح عليه السلام - كان يقول بصراحة إنّه يقدّم خدماته للمجتمع بلا عوض ولا أجر، وهكذا اقتدى به من جاء بعده منهم كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم عليهم السلام جميعاً^(٣).

(١) انظر الفصل الثاني من القسم الرابع في هذا الكتاب: «العدالة والقيادة».

(٢) «اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم». البقرة: ٤٠.

(٣) انظر سورة الشعراء: الآيات ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

والنقطة الأهمّ اللافتة للنظر هي أنّ نبينا الكريم محمداً ﷺ تفرّد عن غيره من الأنبياء بأنّه طلب من الناس مودّة قرباه ومحبتهم أجراً على رسالته بأمر الله تعالى، مع ترفّعه عن أيّ مطلب مادّيّ في مقابل خدماته. قال جلّ اسمه:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١).

ويثار هنا عدد من الأسئلة، من بينها:

- ١- لماذا طلب نبينا الكريم ﷺ المودّة في القربى أجراً على رسالته؟
- ٢- كيف تكون هذه المودّة أجراً على خدماته ﷺ في نبوّته ورسالته؟
- ٣- من هم هؤلاء القربى الذين جعل الله سبحانه مودّتهم أجراً على رسالة نبيّه العظيم ﷺ؟

ويجب القرآن الكريم عن هذه الأسئلة قائلاً:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^(٢).

يوضّح نبينا المصطفى ﷺ للناس بأمر الله أنّه لم يُرد ولن يريد منهم شيئاً لمصلحته الخاصّة، فهو كغيره من الأنبياء لا يسأل أجراً ولا يطلب عوضاً، فما أَرادَه لم يُردَه لنفسه، وهو ليس شيئاً يضمن مصالحه الخاصّة، بل يضمن مصالح الناس الفرديّة والاجتماعيّة، وهذا التعبير تأكيد على أهميّة الموضوع.

وجاء في سورة الفرقان توضيح أكثر لهذا الموضوع. قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٣).

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) سبأ: ٤٧.

(٣) الفرقان: ٥٧.

وإذا ضمنا هذه الآيات الثلاث النازلة في أجر الرسالة النبوية بعضها إلى بعض فإننا نستنتج بسهولة أن القرآن الكريم عزف أفراداً معيّنين من قرابة النبي ﷺ بوصفهم الأدلاء على طريق الله الذي هو طريق تكامل الإنسان، وأوصى المسلمين مؤكداً أن يعقدوا معهم عهد المودة، حفظاً لمصالحهم الفردية والاجتماعية.

وهذا الموضوع يشبه أن يقال لأحد: إذا أردت أن تصل إلى مقصودك سالماً فاعرف أدلة الطريق وأحبهم، فإن ذلك في مصلحتك، لأن هذه المعرفة سبب يجعلك لا تضلّ الطريق، فتتخلف عن مقصدك.

نلاحظ في ضوء ذلك أن قصد القرآن الكريم ممن أوجب مودّتهم هم قرابة النبي ﷺ، أوكل الله تعالى إليهم هداية المجتمع الإسلامي وتوجيهه وقيادته. وينبغي أن لا تغفل عن هذه الحقيقة وهي أن القيادة الربانية وحدها هي التي تعرف صراط الله كما هو، وتستطيع أن تهدي المجتمع إليه، وهؤلاء الأدلاء الهادون هم أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ، كما يُستشفّ من الأحاديث المتواترة الماثورة عن رسول الله ﷺ.

روى المحدثون من أهل السنة^(١) عن ابن عباس أن آية «مودّة القربى» حين نزلت قال الصحابة:

«يا رسول الله، من قرأبتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟»

قال ﷺ:

«عليّ وفاطمة وأبناهما»^(٢).

(١) انظر أهل البيت ﷺ في الكتاب والسنة: ٣٦٣ الفصل الثالث من فصول القسم الثامن «المودة» من منشورات دار الحديث.

(٢) فضائل الصحابة: ١١٤١/٦٦٩/٢، تفسير ابن كثير: ١٣٦/٤ و١٣٧، صحيح البخاري: ٣/١٢٨٩/٣٣٠٦، ومثله سنن الترمذي: ٥/٣٧٧/٣٢٥١، ومثله مسند أحمد بن حنبل: ١/٤٩٣/٢٠٢٤، ومثله المعجم

وجاءت هذه الحقائق كلّها بصراحة في تعبير موجز من تعابير دعاء الندبة، إذ نتاجي ربّنا جلّ شأنه متضرّعين إليه ونحن نقول:

«ثُمَّ جَعَلْتَ أَجْرَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوْدَتِهِمْ فِي كِتَابِكَ فَقُلْتَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ وَقُلْتَ: ﴿مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ﴾ وَقُلْتَ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ فَكَانُوا هُمُ السَّبِيلُ إِلَيْكَ وَالْمَسْلَكُ إِلَىٰ رِضْوَانِكَ»^(١).

إنّ النقطة الجديرة بالاهتمام هي أنّ القرآن الكريم لا يعدّ الأئمة من أهل بيت الرسالة أدلّة على سبيل الله فحسب، بل يعدّهم سبيل الله نفسه، فهو لا يقول: الإمام دليل موجّه فقط، بل يقول: الإمام هو السبيل نفسه، ويؤكد أن لا طريق لتكامل الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً وبلوغه الغاية من خلقته إلّا طريق إمامة القادة الربّانيين وقيادتهم.

﴿الكبير: ٣/٤٧/٢٦٤١؛ و: ١١/٣٥١/١٢٢٥٩، تفسير الكشاف: ٣/٤٠٢، و: ٤/١٤٥/٣٥٠، المناقب

لابن المغازلي: ٣٠٩/٣٥٢، الدرّ المنثور: ٧/٣٤٨، سعد السعود: ١٤٠، كفاية الطالب: ٩١، مجمع الزوائد:

٧/٢٢٩/١١٣٢٦، و: ٩/٢٦٦/١٤٩٨٢، كشف الغمّة: ١/٥٤ و ١٠٦ و ٣٢٤، الطرائف: ١١٢/١٦٧،

الصرّاط المستقيم: ١/١٨٩، دلائل الصدق: ٢/٧٥، بحار الأنوار: ٢٣/٢٣٣.

(١) بحار الأنوار: ١٠٢/١٠٥.

الخلاصة

☐ يرى القرآن الكريم أنّ الإمامة عهد لا يبلغ الإنسان - بدون الوفاء به - غاية التوحيد والنبوة، ومن ثمّ غاية خلقتة التي تمثّل تكامله. وهي طريق لا يتسنى للإنسان أن يبلغ هذا الهدف إلّا بعد طيّه.

☐ إنّ الشخص الوحيد الذي يمكن أن يكون أميناً على عهد القيادة الربّانية هو المصون من دنس الظلم طول حياته.

☐ لم يطلب الأنبياء من الناس أجراً على خدماتهم لهم. وطلب نبينا الكريم ﷺ من أمته مودةً قرباه أجراً على رسالته بأمر الله تعالى، مع ترفعه عن كلّ طلب ماديّ.

☐ إنّ الآيات النازلة في أجر رسالة نبينا ﷺ تدلّ بوضوح على أنّ القرآن الكريم لا يرى القادة من بيت الرسالة أدلة على طريق الله فحسب، بل يراهم عين الطريق، وفي الحقيقة جعل نبينا ﷺ اختيار هذا الطريق واستمرار القيادة الربّانية أجراً على رسالته.

الفصل الثاني

القيادة من منظار النبي ﷺ

أثر عن النبي الكريم ﷺ كلام نفيس كثير حول القيادة، نشير فيما يأتي الى قسمين منه في مجال موقع القيادة:

١- القيادة الربانية محور النورة الإسلامية:

إنّ الأحاديث التي ترى أنّ الحياة المقرونة بالالتزام باتباع القيادة وأنّ الموت بدون هذا الالتزام هو موت الجاهليّة... تعرض القيادة الربانيّة على أنّها محور ثورة الإسلام العالميّة، وننقل فيما يأتي عدداً من تلك الأحاديث لإثبات هذه الرؤية:

١- قال الفضيل بن يسار: ابتدأنا أبو عبدالله (الإمام الصادق) عليه السلام يوماً وقال:

«قال رسول الله ﷺ: من مات وليس عليه إمام فميتته ميتة جاهليّة».

- هذه الكلمات التي وردت حول المكانة الرفيعة للإمامة في الإسلام قد أثارت دهشة الفضيل، لذلك سأل الإمام مستغرباً -: قال ذلك رسول الله ﷺ؟! - فأجابه الإمام عليه السلام -: إي والله قد قال، - فأعاد الفضيل سؤاله بشكل آخر وقال -: فكلّ من

مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهلية؟ قال ﷺ: نعم^(١).

٢- قال بشير الدهان: قال أبو عبد الله ﷺ:

«قال رسول الله ﷺ: من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية».

ثم قال ﷺ في توضيح هذا الكلام والهدف من نقل هذا الحديث:

«فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب علي، وأنتم تأتمون بمن لا يعذر الناس

بجهالته»^(٢).

٣- قال عبد الله بن عمر: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»^(٣).

ويتفق المسلمون على مضمون هذه الأحاديث، ولم يتردد أيّ محدّث في صدورهما عن النبيّ الأعظم ﷺ، بيد أنّ هناك رؤى متنوّعة حيال القصد منها. واستغلّها الأمراء الذين تسلّطوا على رقاب المسلمين باسم الإسلام استغلالاً سياسياً سيئاً من خلال تحريفها.

قال العلامة الأميني رحمه الله - بعد نقل هذا الحديث من كتب أهل السنّة بألفاظ مختلفة -:

«هذه حقيقة راهنة أثبتها الصحاح والمسانيد، فلا ندحة عن البخوع لمفادها.

ولا يتمّ إسلام مسلم إلّا بالنزول لمؤدّاها. ولم يختلف في ذلك اثنان، ولا أنّ أحداً

خالجه في ذلك شك. وهذا التعبير ينم عن سوء عاقبة من يموت بلا إمام وأنّه في

منتأى بعيد عن أيّ نجاح وفلاح؛ فإنّ ميتة الجاهلية إنّما هي شرّ ميتة، ميتة كفر

والحاد»^(٤).

(١) الكافي: ١/٣٧٦.

(٢) المحاسن: ١/٢٥١/٤٧٤.

(٣) مسند الطيالسي: ٢٥٩/١٩١٣، حلية الأولياء: ٣/٢٢٤.

(٤) الفدير: ١٠/٣٦٠.

ومن المناسب أن نتحدث قليلاً عن العصر الجاهليّ والقصد من الجاهليّة، من أجل تفسير هذا الحديث الشريف وتبيين المقام الرفيع للإمامة والقيادة في الإسلام.

عصر العلم وعصر الجاهلية

يرى القرآن الكريم والأحاديث النبويّة أنّ عصر الرسالة هو عصر العلم، والعصر الذي سبق البعثة النبويّة الشريفة هو عصر الجاهليّة.

وهذا يعني أنّ الناس - قبل المبعث النبويّ - لم يجدوا سبيلاً لمعرفة حقائق الوجود بسبب التحريف الذي نال الأديان السماويّة.

وإنّ ما كان يحكم المجتمعات البشريّة المختلفة باسم الدين لم يكن غير خرافات وأوهام. والواقع أنّ الأديان المحرّفة والعقائد الوهميّة قد أمست وسيلةً للتسلّط على الإنسان. وهذه حقيقة أيّدها تاريخ ما قبل الإسلام أيضاً.

وكان المبعث النبويّ المبارك بدايةً لعصر العلم. وكانت المسؤوليّة الأساسيّة التي اضطلع بها الرسول الأعظم ﷺ هي مكافحة الخرافات وضروب التحريف وكشف الحقائق للناس، وهو ﷺ كان يرى نفسه كالأب للناس يرّبّهم ويعلمهم. قال ﷺ:

«إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أَعْلَمُكُمْ»^(١).

وكان ﷺ يعرض نبوّته على أنّها ظاهرة منطبقة مع الموازين العقليّة والعلميّة، ولو حاول العلماء معرفتها لأدركوا بسهولة صدقها في اتّصالها بمبدأ الوجود. قال تعالى:

﴿وَيَذَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾^(٢).

وكان يحذّر الناس أيضاً من اتّباع كلّ ما لا يقرّه العلم، ويتلو عليهم قوله

(١) مسند ابن حنبل: ٣/ ٥٣/ ٧٤١٣، سنن النسائي: ١/ ٣٨، سنن ابن ماجة: ١/ ١١٤/ ٣١٣، الجامع الصغير:

٢٥٨٠/ ٣٩٤/ ١.

(٢) سبأ: ٦.

سبحانه :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾^(١).

الكلام في هذا الموضوع كثير، ولا مجال لدينا للحديث أكثر^(٢)، ونهدف من وراء هذه الإشارة المقتضبة إلى أن نعرض المغزى من تسمية عصر ما قبل الإسلام بالعصر الجاهلي، وعصر البعثة النبوية بعصر العلم، ليتسنى لنا أن ندرك عمق هذه الكلمة: «الموت بلا اعتقادٍ وتمسكٍ بالإمام موت جاهلي»

يستبين من هذه المقدمة أنّ المقصود من ضرورة معرفة الإمام في كلّ عصر هو أكثر من مسألة فردية خاصة. وهي لا تعني فقط أنّ المسلم إذا لم يعرف إمامه فهو ليس مسلماً حقيقياً، ومن ثمّ يكون إسلامه مساوياً للكفر.

بل المسألة الأهمّ التي ينبّه عليها الحديث هي أنّ عصر العلم الذي بدأ مع البعثة النبوية يمكن أن يستمرّ فيما إذا عرف المسلمون في كلّ عصر إمام زمانهم واتّبعوه.

وبعبارة واحدة: الإمامة رصيّد لعصر العلم أو عصر الإسلام القويم وضامنة لديمومته، وبدون هذا الرصيّد يعود المجتمع الإسلامي إلى الجاهلية الأولى.

وقد استوحى هذا الحديث مضمونه - في الحقيقة - من استشراف الآية الكريمة الآتية للمستقبل.

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ

انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣)

وبيّن النبي ﷺ في الحديث الذي يؤكّد ضرورة معرفة الإمام، كيف يمكن أن يرجع المجتمع الإسلامي القهقهري ويعود إلى الجاهلية الأولى، ويعبر عن حقيقة

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) سنتحدّث عن هذا الموضوع بعون الله في الكتاب الذي سنصدره عن النبي الأكرم ﷺ.

(٣) آل عمران: ١٤٤.

تتمثل في أنّ هذه الظاهرة الخطرة متوقّعة إذا ألغيت الإمامة والقيادة.

أي إمام يجب معرفته؟

إنّ يسيراً من التأمل في مضمون الحديث - خاصّة مع التوجّه إلى ما تقدّم من شرح - من شأنه أن يغنينا عن الإجابة عن هذا السؤال: من هو الإمام الذي تضمن إمامته استمرار الإسلام الحقيقي؟ ومن هو الإمام الذي إذا ألغيت إمامته عاد الناس إلى جاهليّتهم؟

هل يمكن أن نخال أنّ النبي ﷺ يريد أن معرفة كلّ من وليّ أمر الأُمّة واجبة على جميع المسلمين؟! وإذا لم يعرف أحد هذا القائد فهل يموت ميتة جاهليّة، دون الالتفات إلى أنّه يمكن أن يكون ظالماً أو من «أئمّة النار» على حدّ تعبير القرآن الكريم^(١)؟!

ومن البديهيّ أنّ كافّة الولاة المفسدين في التاريخ الإسلاميّ قد تمسّكوا بهذا الحديث الثابت، بغية البرهنة على أحقيّتهم، ووجوب طاعة الناس لهم، وترسيخ دعائم حكومتهم. من هنا نجد أنّ معاوية بن أبي سفيان كان في عداد رواته أيضاً^(٢)! ومن الطبيعيّ أنّ وعاظ السلاطين انطلقوا من هذا المنطلق نفسه فأولّوه بما يخدم أئمّة الجور، بيد أنّ الواضح هو أنّ هذا استغلال للحديث، لا سوء فهم لمعناه.

ولا يمكن أن نصدّق أبداً أنّ عبد الله بن عمر - على ما نقل ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة - لم يبايع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب اعوجاج فكره وضعف نظره، لكنّه يتمسّك بالحديث المذكور الذي نقله هو نفسه، فيذهب إلى الحجاج بن يوسف ليلاً ليبايع سلطان زمانه عبد الملك بن مروان! لأنّه لم يُرد أن يبيت

(١) إشارة إلى قوله تعالى: «وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينجسون». القصص: ٤١.

(٢) مسند ابن حنبل: ٦ / ٢٢ / ١٦٨٧٦.

ليلتته تلك بلا إمام! قال ابن أبي الحديد:

... فإنه (عبدالله بن عمر) امتنع من بيعه علي عليه السلام ، وطرق على الحجاج بابه ليلاً ليباع لعبد الملك ، كي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام!! زعم لأنه روى عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهليّة». وحتى بلغ من احتقار الحجاج له واسترداله حاله أن أخرج رجله من الفراش ، فقال: «أصفق بيدك عليها»^(١).

أجل، إنّ من لا يرى أمير المؤمنين علياً عليه السلام إماماً ولا يبايعه فإنه يرى في عبد الملك بن مروان إماماً يوجب ترك بيعته الكفر والعودة إلى الجاهليّة ، وما عليه إلا أن يطرق باب عامله السفّاك ليلاً ليباع رجله صاغراً ذليلاً! وقد بلغ بعبد الله بن عمر الأمر أنه عدّ يزيد بن معاوية مصداقاً للإمام الوارد في الحديث! وأنّ مخالفته كفر وارتداد، وهو الذي ارتكب ما ارتكب من الجرائم بحق الإسلام وأهل البيت النبويّ الكريم.

ذكر المؤرّخون أنّ أهل المدينة ثاروا سنة ٦٣ هـ بعد واقعة الطفّ المفجعة ، فكانت واقعة الحرّة^(٢) . وذهب عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن المطيع الذي تولّى قيادة قريش في تلك الواقعة ، فأمر ابن المطيع أن تطرح له وسادة ليجلس . فقال: إنّني لم آتك لأجلس ، أتيتك لأحدّثك حديثاً سمعت رسول الله ﷺ يقول ، سمعت رسول الله يقول:

«من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس في

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٤٢/١٣.

(٢) تولّى مسلم بن عقبة في تلك الواقعة الرهبة قمع الثورة بأمر يزيد ، وبعد أن تمّ له ما أراد أباح لأهل الشام دماء أهل المدينة وأموالهم وأعراضهم ثلاثة أيّام... قال الطبري ما مضمونه: لقد أفسدوا ثلاثة أيّام بلبايلها فساداً لم يعهد مثله في الجاهليّة والإسلام . (لغت نامه دهخدا «معجم دهخدا» .

قال أنس بن مالك: قُتل يوم الحرّة سبعائة رجل من حملة القرآن ، فيهم ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ .

(إعلام الوري: ٤٥، بحار الأنوار: ١٨/١٢٥/٣٦، و: ٢٨/١٩٣/٢، سقينة البحار: ٢/١٤٦).

عُتِفَ بَيْعَةُ مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً»^(١).

أرأيت كيف يؤوّلون كلام رسول الله ﷺ بما يخالف قصده، بأسلوبٍ ماكر؟! وهذه هي الظاهرة الخطرة التي حذّر منها رسول الله ﷺ في هذا الحديث وعشرات الأحاديث الأخرى، ودعا الأمة إلى طاعة أئمة الحقّ للوقاية منها، وتجنّي أصحاب اللُعب السياسية المتظاهرون بالإسلام وعملاؤهم فحرّفوا ذلك التحذير النبويّ، وهكذا يستغلّ الحديث أداةً ضدّ الحديث، ويستخدم الإسلام وسيلةً ضدّ الإسلام، وأخير أينقضي عصر العلم والإسلام في الأمة الإسلامية، ويتحقّق الرجوع إلى الكفر والجاهليّة، من خلال تجاهل مكانة الإمامة في المجتمع الإسلاميّ وتناسي الوصايا النبويّة الحكيمة.

ب- القيادة الربّانية شرط لقبول الأعمال الصالحة :

القسم الثاني من الأحاديث النبويّة التي تحدّد موقع القيادة - من المنظار النبويّ - هي الأحاديث التي جعلت مودّة أهل البيت ﷺ والالتزام العمليّ بولايتهم وقيادتهم شرطاً في قبول الأعمال الصالحة.

تري هذه الأحاديث أنّ الالتزام بالقيادة الربّانيّة شرط مضمون لقبول الأعمال الصالحة، ولا يقبل الله تعالى عملاً بدونه، أي: إنّ الأعمال الصالحة لا تؤثر قيد أغلّة في تكامل الإنسان والمجتمع البشريّ ما لم يكن هناك تمسك بالقيادة الربّانيّة، وفيما يأتي نأذج من هذه الأحاديث:

١- روى الطبرانيّ في المعجم الأوسط عن الرسول الأكرم ﷺ أنّه قال:

«الزُّمُوا مَوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ وَهُوَ يَوْمَدُنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا عَمَلُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا»^(٢).

(١) صحيح مسلم: ٣/ ١٤٧٨ / ١٨٥١.

(٢) المعجم الأوسط: ٢/ ٣٦٠ / ٢٢٣٠، أمالي الطوسي: ١٨٧ / ٣١٤، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٧٠ / ١٠.

ورواه علماء أهل السنة كالهيثمي في «مجمع الزوائد»، وابن حجر في «الصواعق المحرقة»، ومحمد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت»، والنبهاني في «الشرف المؤبد»، والحضرمي في «رشفة الصادي»^(١).

٢- وروى الخوارزمي في مناقبه عن نبينا ﷺ أنه خاطب أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

«يا علي، لو أن عبداً عبد الله عز وجل مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومد له في عمره حتى حج ألف عام على قدميه ثم قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثم لم يوالك يا علي لم يشم رائحة الجنة ولم يدخلها»^(٢).

٣- ومروى أمير المؤمنين عليه السلام في مسجد الكوفة وقنبر معه، فرأى رجلاً قائماً يصلي فقال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت رجلاً أحسن صلاة من هذا! فقال عليه السلام موضحاً ومؤكداً أن كل عمل لا يقبل وليس له أدنى دور في تكامل الإنسان دون الإقرار بأصل الولاية والقيادة الربانية:

«يا قنبر، فوالله لرجل على يقين من ولايتنا أهل البيت خير من عبادة ألف سنة، ولو أن عبداً عبد الله ألف سنة لا يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت، ولو أن عبداً عبد الله ألف سنة وجاء بعمل اثنتين وسبعين نبياً ما يقبل الله منه حتى يعرف ولايتنا أهل البيت...»^(٣).

٤- وقال أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما بين الركن والمقام ثم ذبح كما يذبح الكبش

(١) لمزيد الاطلاع على أحاديث الفريقين في هذا المجال انظر الغدير: ٢ / ٣٠١ - ٣٠٥، بحار الأنوار:

٢٧ / ١٦٦، باب «أنه لا تقبل الأعمال إلا بالولاية»، أهل البيت في الكتاب والسنة: ٣٦٣ الفصل الثالث من

فصول القسم الثامن «المودة»، من منشورات دار الحديث.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٦٧ / ٤٠، الغدير: ٢ / ٣٠٢.

(٣) جامع الأخبار: ٥٠٤ / ١٣٩٣، بحار الأنوار: ٢٧ / ١٩٦ / ٥٧.

مظلوماً لبعثة الله مع النفر الذين يقتدي بهم ويهتدي بهداهم ويسير بسيرتهم، إن جنة فجنة وإن ناراً فنار»^(١).

هذه الأحاديث وأمثالها هي في الحقيقة بيان آخر لحديث الثقلين المتواتر من جانب، وتبيين وتفسير له من جانب آخر، فالعبرة والقرآن لا يفترقان أبداً. وإنَّ الشرط الأساس للاستهداء بالسديد بالقرآن الكريم وتوجيهاته وهو اتباع إمامة القادة الربّانيّين، وبدون هذا الشرط لا يمكن للعقائد والأخلاق والأعمال الصالحة التي يدعو القرآن الكريم الناس إليها أن تؤدّي دورها في تكامل الإنسان. وعرض القرآن الكريم هذه الحقيقة بنحو جميل وطريف. قال تعالى:

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٢)

قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

«الآ ترى كيف اشترط ولم ينفعه التوبة والإيمان والعمل الصالح حتى اهتدى، والله لو جهد أن يعمل بعمل ما قبل منه حتى يهتدي».

قال المحارث راوي الحديث: إلى من؟ جعلني الله فداك، قال عليه السلام: إلينا^(٣). قال الطبرسي في مجمع البيان: قال أبو جعفر (الإمام الباقر عليه السلام) في تفسير هذه الآية الكريمة:

«ثم اهتدى إلى ولايتنا أهل البيت، فوالله لو أن رجلاً عبد الله عمره ما بين الرض والمقام ثم مات ولم يجئ بولايتنا لأكتبه الله في النار».

وأضاف المرحوم الطبرسي قائلاً: رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده، وأورده العياشي في تفسيره من عدة طرق^(٤).

(١) المحاسن: ١/ ١٣٤/ ١٦٦، بحار الأنوار: ٢٧/ ١٨٠/ ٢٩.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) تفسير القمي: ٢/ ٦١، بحار الأنوار: ٢٧/ ١٦٩/ ٧.

(٤) تفسير مجمع البيان: ٣٩/ ٧.

وقال العلامة الطباطبائي رحمه الله، بعد نقل هذا الرواية من تفسير مجمع البيان:

«ورواه في الكافي بإسناده عن سدير عنه عليه السلام. وفي تفسير القمي بإسناده عن الحارث بن عمر عنه عليه السلام. وفي مناقب ابن شهر آشوب عن أبي الجارود وأبي الصباح الكناسي عن الصادق عليه السلام، وعن أبي حمزة عن السجّاد عليه السلام مثله، ولفظه: إلينا أهل البيت.

والمراد بالولاية في الحديث ولاية أمر الناس في دينهم ودنياهم. وهي المرجعية في أخذ معارف الدين وشرائعه، وفي إدارة أمور المجتمع. وقد كانت للنبي صلى الله عليه وآله كما ينص عليه الكتاب، في أمثال قوله: «النبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم»^(١).

ثم جعلت لعترته أهل بيته بعده في الكتاب بمثل آية الولاية، وبما تواتر عنه صلى الله عليه وآله من حديث الثقلين وحديث المنزلة ونظائرها»^(٢).

ولعلّ هناك من يسأل: ما هو سبب هذا الاشتراط؟ ولماذا تكون الولاية شرطاً أصلياً في تكامل الفرد والمجتمع؟ وكيف يتسنى لنا أن نحلّل عدم فائدة العمل الصالح للإنسان بدون قبول القيادة الربّانية؟

لقد مرّت بنا أجوبة هذه الأسئلة مفصّلاً في بيان فلسفة القيادة^(٣).

ونشير هنا إلى ملاحظتين مقتضيتين:

الأولى: إنّ القيادة الربّانية للإنسان الكامل توجّه الأعمال الصالحة للإنسان، وتجعل أسباب الكمال في مسار تكامل الإنسان.

ومن البديهي أن وسائل التكامل لا تكون عمليّة إلا إذا كانت سليمة. ويفاد منها

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) الميزان: ١٤ / ١٩٩. ينظر هذا المصدر لمزيد الاطلاع.

(٣) انظر ص ٧٩ من هذا الكتاب: «دور الإمام في هداية الإنسان باطنياً».

في مسار التكامل، وإلا فلا تعطي الثمار المطلوبة.

ومن أجل ذلك تصبح قيادة الإنسان الكامل ضرورية لا مناص منها.

ويتعذر التكامل الفردي والاجتماعي للإنسان في ظلّ العمل الصالح بلا قيادة كفوءة حائزة على الشروط المطلوبة لهداية الإنسان، كما أنّ حبة القمح لا تنمو ولا تبلغ نضجها اللازم إلا إذا كانت تتمتع برعاية المزارع الحبير وتوجيهه، مضافاً إلى الإمكانيّات الطبيعيّة، وربما تستغلّ الإمكانيّات الموجودة التي يمكن أن تصبّ في خدمة تكامل الإنسان باتجاه حاكميّة القادة المفسدين، وانحطاط الإنسان، وإقصاء الإسلام والقرآن عن الحياة. قال الإمام الخميني رحمه الله في هذا المجال:

«قامت القوى الشيطانية الكبرى أخيراً بطبع القرآن طبعة جميلة وإرساله إلى شتى أرجاء العالم - بواسطة الحكومات المنحرفة البعيدة عن الإسلام التي لصقت نفسها بالإسلام زوراً - من أجل القضاء على القرآن وتثبيت الأهداف الشيطانية للقوى الكبرى، وهي تنوي إقصاء القرآن عن ميدان الحياة بهذه المكيدة الشيطانية، وكلّنا رأينا القرآن الذي طبعه محمد رضا خان بهلوي فاستغل به بعض الناس، وأثنى عليه عدد من المعمّين غير الواعين»^(١).

وفي ضوء ذلك - كما قلنا - تتعذر الإفادة من الأعمال الصالحة لتضييع قابليّات الإنسان ما لم نستضيء بأنوار هداية القيادة الرّبانيّة.

بعبارة أخرى: إنّ الاستهداء بقبس الوحي والبصيرة - بالتفصيل الذي مرّ في مبحث شروط المعرفة^(٢) - مشروط بالاستضاءة بنور قيادة الإمام، وإلا ظلّ الإنسان في ظلمة الضلال والغيّ والتهيه. قال تعالى:

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ

(١) الوصيّة الإلهيّة السياسيّة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

(٢) مباني شناخت «أسس المعرفة»: ٤٠١ و ٤٢٠.

كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»^(١)

قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة:

«مِثْتُ: لا يعرف شيئاً (ويجهل الحقائق التي يعدّ الاطلاع عليها أرضية لتكامل الإنسان). ونوراً يمشي به في الناس: إماماً يُؤْتَمُّ به (وقائداً ربّانياً يجب على الإنسان اتّباعه). كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها: الذي لا يعرف الإمام»^(٢).

الثانية: تؤثر قيادة الإنسان الكامل تكوينياً في توجيه المواهب الإنسانيّة وتنضيجها وتفتّحها، مضافاً إلى أنّها تجعل الأعمال الصالحة في مسار تكامل الإنسان^(٣). وفي هذا المجال يرى المرحوم العلامة الطباطبائي أنّ فعاليّة الإيمان والعمل الصالح مشروطة بالاستهداء بالولاية، فقد قال في ذيل الحديث الذي نقله عن مجمع البيان والوارد في تفسير الآية ٨٢ من سورة طه^(٤):

«ولولاية أهل البيت عليهم السلام معنى آخر ثالث، وهو أن يلي الله أمر عبده فيكون هو المدبّر لأمره والمتصرّف في شؤونه لإخلاصه في العبودية، وهذه الولاية هي لله بالأصالة، فهو الولي لا ولي غيره، وإنّما تُنسب إلى أهل البيت عليهم السلام لأنّهم السابقون الأوّلون من الأئمة في فتح هذا الباب...

فتلخّص أنّ الولاية في حديث المجمع بمعنى ملك التدبير، وأنّ الآية الكريمة عامة جارية في غير بني إسرائيل كما فيهم، وأنّه عليه السلام إنّما فسّر الاهتداء إلى الولاية من جهة الآية في هذه الأئمة، وهو المعنى المتعين»^(٥).

(١) الأنعام: ١٢٢.

(٢) الكافي: ١ / ١٨٥ / ١٣، ما بين القوسين ليس من الرواية.

(٣) مرّ توضيح هذا الموضوع في الفصل الرابع من القسم الأوّل.

(٤) وهي قوله سبحانه: «وَإِنِّي لَفَقَارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى».

(٥) الميزان: ١٤ / ٢٠٠.

الخلاصة

- ☐ القيادة - من منظار النبي الأكرم ﷺ - محور الثورة الإسلامية، وبدونها يؤول مصير الثورة إلى الرجعية.
- ☐ المبعث النبوي الشريف - من منظور إسلامي - بداية لعصر العلم وخاتمة لعصر الجاهلية.
- ☐ يواصل عصر العلم - الذي بدأ مع المبعث النبوي - مسيرته إذا عرف المجتمع الإسلامي إمام زمانه وأتبعه، من هنا فإن الموت بدون معرفة الإمام هو موت جاهلي.
- ☐ التمسك بالقيادة الربانية - من منظار الرسول الأعظم ﷺ - شرط ثابت لقبول الأعمال الصالحة، ولا يقبل الله تعالى عملاً بدونه.
- ☐ التمسك بالقيادة الربانية يجعل الأعمال الصالحة في مسار تكامل الإنسان، وبدون ذلك لا تؤثر الأعمال الصالحة في تكامل الإنسان والمجتمع البشري قيد أنملة، وربما يسفر عن ذلك انحطاط الإنسان ودمار الإسلام.
- ☐ تؤثر قيادة الإنسان الكامل في توجيه المجتمع وتنميته وتنضيج مواهبه تكوينياً.

الفصل الثالث

القيادة من منظار أهل البيت

لقد عرض أهل البيت النبويّ الكريم ﷺ نقاطاً جديدة مشرقة حول مكانة القيادة القيّميّة، وخطر القادة المناوئين للفضائل والقيّم، مستلهمين ذلك من القرآن الكريم وتعاليم جدّهم المصطفى ﷺ.

١- موقع القيادة القيّميّة

من النقاط المهمّة في كلام أهل البيت ﷺ حول القيادة القيّميّة هي آصرة التوحيد والإمامة، فمن منظارهم ترتبط معرفة الله بالقيادة الربّانيّة ارتباطاً وثيقاً لا يترزعزع، ولا يتسنّى لأحد أن يكون موحّداً حقّاً بدون معرفة إمام الحقّ والعدل.

١- آصرة التوحيد والإمامة

روى سلمة بن عطا عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: خرج الحسين بن عليّ عليه السلام على أصحابه فقال:

«أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ، فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبْدُوهُ،

فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَنْ سِوَاهُ».

فقال له رجل: يابن رسول الله بأبي أنت وأمي، فما معرفة الله (التي هي الغاية من خلق الإنسان)؟ قال:

«مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِيمَانَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ»^(١).

يمكن في هذا الكلام الموجز كنز من المعارف الربّانية الرفيعة. فالإمام عليه السلام يؤكد في مستهلّ كلامه أنّ فلسفة خلق الإنسان ليست إلّا معرفة الله سبحانه، لأنّ الإنسان يستطيع في ظلّ المعرفة المذكورة أن يتحرّر من نير الرقّ والعبوديّة، ويحظى بالحرّيّة الحقيقيّة التي هي عبادة الله، ويضمن حاجاته المادّيّة والمعنويّة من خلال عبادة الله.

ونلاحظ في آخر كلام الإمام أنّ رجلاً يسأله: فما معرفة الله التي تمثّل فلسفة خلق الإنسان؟ فيجيبه الإمام بصراحة تامّة: معرفة الله هي معرفة الإمام. أي: يتعرّف الناس في كلّ زمان على القائد الذي يجب عليهم أن يطيعوه، ليبلغوا معرفة الله الحقيقيّة.

أشار الإمام الحسين عليه السلام في هذا الكلام الموجز إلى عدد من النقاط الجوهريّة السامقة:

أ - استمرار القيادة الربّانية على مرّ التاريخ البشريّ .

بعث الله تعالى في كلّ زمان رجلاً لهداية الناس وقيادتهم، كما خاطب القرآن الكريم نبيّنا الأكرم عليه السلام قائلاً:

﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٢)

(١) علل الشرائع: ١/ ٩، بحار الأنوار: ٢٣/ ٨٣/ ٢٢.

(٢) الرعد: ٧.

قال الإمام الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

«كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِكُلِّ قَوْمٍ فِي زَمَانِهِمْ»^(١).

وقال صلوات الله عليه أيضاً:

«... كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ»^(٢).

وكذلك نُقلت أحاديث نبويّة كثيرة في كتب الشيعة والسنة^(٣) تذهب إلى أنّ الهادي في الآية الكريمة المتقدّمة هو أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ب - وجوب معرفة الإمام في كلّ زمان.

يجب على أتباع الإسلام الحقيقيّين في كلّ زمان أن يعرفوا إمامهم وهاديتهم، ويطيعوه في أعمالهم الدينيّة والدنيويّة، ويعتقدوا أنّه إمامهم وقائدهم، ويستهدوا به في حياتهم، وتستشفّ هذه النقطة من الآية الكريمة المذكورة والأحاديث الماثورة عن النبيّ وأهل بيته صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

إنّ أدقّ نقطة في كلام الإمام عليه السلام هي أنّ الإنسان لا يستطيع أن يدرك فلسفة خلقه -ومن ثمّ توحيد الله- بدون قيادة الإنسان الكامل.

إنّ كلامه عليه السلام في الحقيقة عرض آخر لأوّل تعبير قرآنيّ في تبين مكانة القيادة. فالقرآن يرى أنّ الإمام سبيل الله^(٤).

ذلك السبيل الذي لا يمكن للإنسان أن يبلغ تكامله - الذي هو فلسفة خلقه -

(١) كمال الدين: ٩/٦٦٧، تفسير نور الثقلين: ١٩/٤٨٣/٢.

(٢) الكافي: ١/١٩١/١، بصائر الدرجات: ٦/٣٠، غيبة النعماني: ٣٩/١١٠.

(٣) الكافي: ١/١٩٢/٢-٤، بصائر الدرجات: ١/٢٩-٨، غيبة النعماني: ٤٠/١١١، كمال الدين: ١٠/٦٦٧.

بحار الأنوار: ٣/٢٣ و ٥ و ٥٤، تفسير الطبري: ١٠٨/١٣/٨، المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٤٠/٤٦٤٦.

كنز العمال: ١١/٦٢٠/١٢٣٠، الدر المنثور: ٤/٦٠٨.

(٤) انظر ص ٩٧ من هذا الكتاب.

بدون طيّه .

لقد فسر الإمام عليه السلام معرفة الله بمعرفة الإمام .

أي: إنّ التوحيد والإمامة متلازمان لا يقبلان الانفصال، وتتعدّد معرفة الله معرفة حقيقية بدون معرفة الإمام معرفة دقيقة .

ونقرأ في رواية أخرى أنّ من يجعل لإمام الحقّ شريكاً فكأنما جعل الله تعالى شريكاً . قال الإمام الصادق عليه السلام :

«من أشرك مع إمام إمامته من عند الله من ليست إمامته من الله كان مشركاً بالله»^(١).

أجل ، إنّ التوحيد والإمامة اللّذين كان يروّج لهما الأمويّون والعباسيّون بالأمس ويتحدّث بهما أنصار الإسلام الأميركيّ هذا اليوم هما ليسا التوحيد والإمامة المنقذين اللذين يقودان إلى الكمال . وعلى أساس القيادة الربّانية للإنسان الكامل فحسب تستعيد معرفة الله مفهومها ومكانتها الحقيقيّة في المجتمع، ويؤدّي التوحيد دوره في تكامل الإنسان مادّيّاً ومعنويّاً، ذلك التكامل الذي يمثّل الغاية من خلقته .

٢- مفتاح المبادئ الإسلاميّة

نقرأ للإمام الباقر عليه السلام الوصيّ الخامس لرسول الله ﷺ تعبيراً رائعاً في تبين أهميّة القيادة في الإسلام، إذ عبّر عنها بمفتاح المبادئ والأسس الإسلاميّة .

روى زرارة أحد أصحابه حديثاً عنه ذكر فيه تفصيل الأسس الإسلاميّة، فقال :

«بُني الإسلام على خمسة أشياء: على الصلوة والزكاة والحج والصوم والولاية» .

فقال زرارة: وأي شيء من ذلك أفضل ؟

(١) الكافي: ١ / ٣٧٣ / ٦، غيبة النعماني: ٨ / ١٣٠، الإمامة والتبصرة: ٢٣١ / ٨٠ عن الإمام الباقر عليه السلام،

قال عليه السلام:

«الولاية أفضل، لأنها مفتاحهن، والوالي هو الدليل عليهن»^(١).

نلاحظ هنا أنّ الإمام عليه السلام لا ينظر إلى القيادة في الإسلام بوصفها أصلاً وقاعدة فحسب، بل يراها مفتاحاً للأسس الإسلامية، وبدونها لن يطبّق الإسلام الصحيح في أرجاء المعمورة.

وليس بمقدور الصلاة والزكاة والحجّ والصيام أن تبلغ غايتها الحقيقية من غير قيادة إمام الحق، ولا تتخذ الصلاة طابع الذكر الإلهي^(٢) ولا تلغي ما ينافي ذكره تعالى إلّا على أساس ولاية الأولياء الربّانيين^(٣).

وكيف يدّعي عبوديّة الله ويصدق في قوله: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» وهو مطوّق بربقة عبادة الطاغوت؟! وأنّى للمجتمع أن يكون جاداً في قوله: «اهدنا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ» وهو أسير المفاصد والانحرافات المنبثقة عن إمامة الأئمة الظالمين، ولم يبذل جهداً في مواجهة هذا الفساد المتأصل؟! وعلى أساس الولاية أيضاً تصرف عائدات بيت المال في طريقها الصحيح، ويؤدّي الحجّ دوره في إقرار الوحدة بين الإمام والأئمة باعتباره أعظم مؤتمر سنويّ للعالم الإسلامي^(٤)، ويظهر الصوم روح الإنسان والمجتمع البشري^(٥). فالولاية إذن مفتاح الأسس والمباني الإسلامية، والوالي هو الدليل عليهنّ، كما قال سيّدنا الإمام الباقر عليه السلام.

(١) الكافي: ٢/ ١٨/ ٥، المحاسن: ١/ ٤٤٦/ ١٠٣٤.

(٢) «أقم الصلاة لذكرى». طه: ١٤.

(٣) «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر». العنكبوت: ٤٥.

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٦٢/ ٢٩ عن الإمام الباقر عليه السلام: «تمام الحجّ لقاء الإمام»، وانظر ميزان الحكمة:

الباب ٦٩٧: «ما به تمام الحجّ».

(٥) انظر ميزان الحكمة: الباب ٢٣٥٢/ «علّة وجوب الصوم».

٣- أسس الإسلام النامي

نطالع للإمام الرضا عليه السلام تعبيراً رائعاً يدلّ فيه على سياء الإمامة ودورها الحركيّ في تنامي المجتمع الإنسانيّ. قال عليه السلام:

«إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي»^(١).

إنّ وصف الإسلام بالنموّ والسموّ في كلام الإمام عليه السلام معلّم على أنّ الإسلام قد يكون حيّاً حركيّاً في المجتمع الإسلاميّ حيناً، وقد يكون ميتاً جامداً حيناً آخر. وآية حياته وحركيته تأسيس الحكومة الإسلاميّة بإمامة وقيادة إمام الحقّ والعدل، كما أنّ علامة موته وجموده تسلّط حكام الباطل والجور.

الإمامة قاعدة الحركة وأساس حركيّة الإسلام في المجتمع، وبدونها يصبح الإسلام ديناً واهياً جامداً لا أساس له ولا حركة فيه، وهو عندئذٍ لا يناقض الشرك والكفر ومصالح المشركين والمستكبرين، بل يمسي أداةً لتوجيهها وتسويقها. وبكلمة واحدة وبتعبير بليغ أدلى به مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة طاب ثراه: يصبح هذا الإسلام إسلاماً أميركيّاً. من هنا فإنّ الإسلام الذي لا أصل له ولا أساس هو أخطر من الكفر والشرك بكثير.

ولعلّك تتساءل: كيف وصف الإمام الرضا عليه السلام الإمامة بأنّها أسّ الإسلام النامي وفرعه السامي؟

والجواب هو أنّ الإمامة أصل الإسلام وجذره في معنى، وفرعه وغصنه في معنى آخر، ولنا أن نلاحظ كلا المعنيين في القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَضَلُّهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(٢)

(١) الكافي: ١/ ٢٠٠.

(٢) إبراهيم: ٢٤.

وجاء في تفسير العياشي عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام في تفسير هذه الآية الكريمة:

«يعني النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده هم الأصل الثابت، والفرع الولاية، لمن دَخَلَ فيها»^(١).

ويمكن أن تشمل الكلمة الطيبة كل شيء حسن صالح مبارك، سواء كان إنساناً أم عقائد وأخلاقاً وأعمالاً يمارسها^(٢). ونلاحظ أن الرواية المذكورة اعتنت بمصداقٍ هو من أهم مصاديق الكلمة الطيبة.

وفي ضوء هذا التفسير جاءت الإمامة بمعنى قيادة الأمة وهداية الناس إلى الكمال المطلوب، وأصل شجرة التوحيد الطيبة والإسلام المحمدي الأصيل الذي يمثل قادته الربانيون تجسيدا للإمامة بهذا المفهوم.

وجاءت أيضاً بمعنى الولاية التي هي نتيجة لاتباع قيادة أئمة الحق، وفرع لتلك الشجرة الطيبة، وأطلق القرآن الكريم على هذا الفهم مصطلح الإمامة أيضاً. قال تعالى واصفاً «عباد الرحمن»:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣)

وهكذا فإن الأمة الكائنة في حصن الولاية والقيادة الربانية تصبح إماماً وأسوّة لقيادة الأمم الأخرى، وتبلغ درجة قال عنها القرآن الكريم:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٤)

(١) تفسير العياشي: ٢ / ٢٢٤، ١٠، بحار الأنوار: ٢٤ / ١٤١، ٨.

(٢) انظر كتب التفسير.

(٣) الفرقان: ٧٤.

(٤) البقرة: ١٤٣.

ب- خطر القادة المناوئين للفضائل والقيم

إنَّ الإمامة - في مفهومها الرفيع - أَسَّ الإسلام النامي وسرَّ تألق المواهب الإنسانية في جميع المجالات، أمَّا في مفهومها المتدنِّي فهي جذر الكفر وبروز ضروب الفساد الفردي والاجتماعي.

١- باطن الأذناس جميعها

يقول محمد بن منصور - أحد أصحاب الإمام الكاظم (عليه السلام) - :
 سألت عبداً صالحاً (يريد الإمام الكاظم (عليه السلام)) عن قول الله عزَّ وجلَّ :
 ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ﴾^(١).
 فقال :

«إنَّ القرآن له ظهْرٌ وبَطْنٌ، فجميع ما حرَّم الله في القرآن هو الظاهر، والباطنُ من ذلك أئمةُ الجور. وجميع ما أحلَّ الله تعالى في الكتاب هو الظاهر، والباطن من ذلك أئمةُ الحقِّ»^(٢).

نلاحظ أنَّ الإمام (عليه السلام) أشار - في تبين الفواحش الظاهرة والباطنة الواردة في الآية الكريمة - إلى مبدأ عامٍّ في تفسير القرآن. وهو أنَّ الآيات القرآنية ذات بُعْدَيْنِ : أحدهما يُفهم من ظاهر القرآن، والثاني يُدرك من باطنه، فتفسير القرآن إذن على نحوين : ظاهري، وباطني.

التفسير الظاهري للآية المذكورة هو أنَّ الله تعالى حرَّم الأعمال القبيحة، سواء ارتكبت علناً أم خفياً.

يؤكد الإمام (عليه السلام) أنَّ هذه الآية - كغيرها من أخواتها، تحمل معنىً يستنبط من

(١) الأعراف: ٣٣.

(٢) الكافي: ١ / ٣٧٤ / ١٠.

ظواهر ألفاظها، وتستبطن مفهوماً آخر يمكن في عمقها أيضاً، وفي تفسيرها الباطن يعرض الإمام عليه السلام بنحوٍ مجمل أساس الفساد الاجتماعي بأنواعه، وطريق الوصول إلى المجتمع الإنساني والإسلامي المطلوب.

إذ أن الأساس في جميع ضروب فساد المجتمع البشري وظلمه وانحرافه وضلاله هو قيادة أئمة الجور والباطل، ولا رجاء في إصلاحه مادامت أم الفساد هذه معشعشة في كيانه. بيد أننا ينبغي أن نلتفت إلى أن اجتثاث شجرة الفساد الخبيثة هو أول خطوة في تحقيق الأهداف الإسلامية لبناء الأمة النموذجية.

والخطوة التالية - على أساس المعايير الإسلامية - هي خلافة القائد الرباني وإمامة العدل، التي تمثل أسس الإسلام النامي ومنهاج تكامل الإنسان.

من هنا فإن أخرج اللحظات في تاريخ ثورة من الثورات هي عندما تريد الأمة أن تستبدل إمام الحق بإمام الباطل، فإذا تلكأت ولم تعمل بدقة تامة فإن مصير الثورة هو الرجوع إلى الماضي بفساده وضياعه.

٢ - أساس الشرور جميعها

يشير الإمام الصادق عليه السلام إلى منزلة القيادة المثالية بوصفها أصل كل خير، ثم يتطرق إلى إمامة أئمة الجور بوصفها أصل كل شر، فيقول:

«نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَمِنْ فُرُوعِنَا كُلِّ يَرٍ، فَمَنْ أَلْبَسَ: التَّوْحِيدَ وَالصَّلَاةَ وَالصَّيَامَ وَكَثَمَ الْغَيْظَ وَالْعَفْوَ عَنِ الْمُسِيءِ وَرَحِمَةَ الْفَقِيرِ وَتَعَهَّدَ الْجَارَ وَالْإِقْرَارُ بِالْفَضْلِ لِأَهْلِهِ.

وَعَذُونَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ، وَمِنْ فُرُوعِهِمْ كُلِّ قَبِيحٍ وَفَاحِشَةٍ فَمِنْهُمْ: الْكِذْبُ وَالْبُخْلُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْقَطِيعَةُ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ...

فَكَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفُرُوعِ غَيْرِنَا»^(١).

نلاحظ في ضوء هذه الرواية أنَّ قيادة إمام الحقِّ أهمُّ الأركان السياسيَّة الاجتماعيَّة في الإسلام، وأعظم البرامج في تكامل الإنسان، وأنَّ قيادة إمام الباطل هي أصل الكفر، وهي الأساس في عوامل الانحطاط والسقوط. ونجد في الرواية المذكورة أنَّ جميع المحاسن والمناقب العقيدية والأخلاقيَّة والعمليَّة هي من فروع قيادة إمام الحقِّ، وأنَّ كافَّة المساوئ والمثالب والشرور وضروب الفساد العقيديِّ والأخلاقيِّ والعمليِّ هي من فروع قيادة إمام الباطل.

وأنَّ الشخص الوحيد الذي يصدق في ادَّعائه اتِّباع قيادة إمام الحقِّ هو الذي لا علاقة له أبداً بفروع قيادة إمام الباطل.

الخلاصة

- ⊞ يرتبط التوحيد والإمامة - من منظار أهل البيت (عليه السلام) - بآصرة لا تقبل الانفصال، ولا يتسنى لأحد أن يكون عارفاً بالله حقاً إلا بمعرفة إمام الحق والعدل.
- ⊞ القيادة الربانية - من منظار أهل البيت (عليه السلام) - مفتاح المبادئ والأسس الإسلامية، وبدونها لن يطبق الإسلام الصحيح في العالم.
- ⊞ الإمامة - من منظور أهل البيت (عليه السلام) - رمز الحياة والحركة الإسلامية، وبغيرها لا نرى الإسلام إلا ميتاً جامداً.
- ⊞ الإسلام الذي لا أساس له ولا أصل لا يناقض الشرك والكفر، بل يصبح أداةً لتوجيههما وتسويةهما، وحينئذ يكون أخطر منهما.
- ⊞ الأصل في ضروب فساد المجتمع البشري - من منظور أهل البيت (عليه السلام) - هو قيادة أئمة الجور، ولا تعالج أدواء المجتمع إلا باستئصال أمّ الفساد هذه. وإن استئصالها يمثل أول خطوة في تحقيق الأهداف الإسلامية. أما الخطوة التالية فهي خلافة القائد الرباني.

الفصل الرابع

القيادة من منظار أتباع أهل البيت عليهم السلام

إذا نظرنا إلى ما مرّ بنا في الفصول المتقدمة حول موقع الإمامة والقيادة عرفنا أنّ أتباع أهل البيت عليهم السلام يعتقدون أنّ الإمامة أصل من أصول الدين، وبدونها يتعذّر تطبيق الإسلام الحقيقيّ في المجتمع، ولمزيد من الاطلاع على أسس هذه العقيدة لابدّ لنا في البداية أن نستعرض المعيار في أصول الدين، والحدّ الفاصل بين أصول الإسلام وفروعه.

المعيار في أصول الدين

الدين منهاج لتكامل الإنسان، وأصوله هي الدعائم الأصلية لذلك المنهاج، وفروعه هي الأغصان المتفرّعة له.

ولم نجد في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة دليلاً خاصاً أو معياراً صريحاً يبيّن لنا أصول الدين ويميّزها عن فروعه، والمعيار الوحيد الذي يمكن أن يُعرض هنا هو المعيار العقليّ، ونريد به أنّ ما عُرف على أنّه إسلام وله دور أساس في تحقيق الأهداف التوحيدية والقيّم الإسلامية في المجتمع الإنسانيّ يمكن أن يكون من أصول

الدين الإسلامي.

وإذا لم يكن له هذا الدور فهو من فروع الدين.

بعبارة أخرى: إذا كان لعقيدة أو عمل دور أساس مهم في بثّ القيم الإسلامية في المجتمع - بحيث إنّ الإسلام يفقد مفهومه الحقيقيّ بدون ذلك - فإنّ تلك العقيدة أو العمل هما من الأصول الأساسية لهذا النظام الربّانيّ، وإذا لم يكن لهما مثل هذا الدور فهما من فروع الدين^(١).

الإمامة من أصول الدين

إذا أخذنا بعين الاعتبار هذا المعيار العقليّ وما عرضناه حول مكانة القيادة من منظار القرآن الكريم والنبيّ العظيم ﷺ وأهل البيت عليه السلام علمنا أنّ الإمامة من أصول الدين الإسلاميّ المقدّس لا من فروعه، وذلك للأسباب الآتية:

١- الإمامة عهد إلهي لا يدرك الإنسان - بدون الوفاء به - غاية التوحيد والنبوة، ومن ثمّ غاية خلقه التي تمثّل تكامله.

٢- الإمامة محور الثورة الإسلامية، فإذا فقدت رجعت الثورة القهقريّ وعادت إلى الجاهليّة.

٣- الإمامة شرط في قبول الأعمال الصالحة، وبدونها لا يتسنّى لأيّ عمل أن يؤدّي دوره في تكامل الإنسان.

٤- الإمامة مفتاح المبادئ الإسلامية وأُسّ الإسلام النامي، وغايتها كفاية التوحيد.

من هنا، إذا كان معيار أصول الدين هو الدور الأساس للاعتقاد أو العمل فإنّ

(١) للوقوف على تفصيل أكثر انظر القسم الأوّل من كتابنا «العدل في الرؤية التوحيدية للوجود».

الإمامة لا تُعدّ من أصول الدين فحسب بل تُعدّ من أهمّ أصول الإسلام السياسيّة الاجتماعيّة .

الإمامة من منظار أهل السنّة

يذهب معظم علماء السنّة إلى أنّ الإمامة ليست من أصول الدين، بل يزعمون أنّها من فروعها، وأنّها مرتبطة بأفعال المكلفين. قال الفضل بن روزبهان في هذا المجال:

«إنّ مبحث الإمامة عند الأشاعرة ليست من أصول الديانات والعقائد بل هي عند الأشاعرة من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين»^(١).

ومن الطبيعي أنّ شريحة من أهل السنّة يعتقدون - كأتباع أهل البيت عليه السلام - أنّ الإمامة من أصول الدين، كما حكى المرحوم الشيخ محمّد حسن المظفر عنهم ذلك قائلاً:

«وقد وافقنا على أنّها أصل من أصول الدين جماعة من مخالفينا كالقاضي البياضاي في مبحث الأخبار وجمع من شارحي كلامه كما حكاه عنهم السيّد السعيد»^(٢).

وحاول ابن أبي الحديد المعتزلي أن يقرب وجهات النظر بين الشيعة والسنّة في ما يخصّ أصل الاعتقاد بالإمامة، فقال بعد كلامٍ لسيدنا أمير المؤمنين عليه السلام هذا نصّه:

«عليكم بطاعة من لا تُعذّرون بجهالته»^(٣).

«يعني نفسه عليه السلام، وهو حقّ على المذهبين جميعاً. أمّا نحن فعندنا أنّه إمامٌ

(١) دلائل الصدق للشيخ محمّد حسن المظفر: ٢ / ٤، انتشارات بصيرتي - قم.

(٢) نفسه: ٨ / ٢.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٥٦.

واجب الطاعة بالاختبار، فلا يُعذر أحدٌ من المكلفين في الجهل بوجوب طاعته. وأما على مذهب الشيعة فلأنه إمامٌ واجب الطاعة بالنص فلا يُعذر أحدٌ من المكلفين في جهالة إمامته، وعندهم أن معرفة إمامته تجري مجرى معرفة محمد ﷺ ومجرى معرفة الباري سبحانه. ويقولون: لا تصح لأحدٍ صلاة ولا صوم ولا عبادة إلا بمعرفة الله والنبي والإمام.

وعلى التحقيق، فلا فرق بيننا وبينهم في هذا المعنى؛ لأن من جهل إمامة عليٍّ ﷺ وأنكر صحتها ولزومها فهو عند أصحابنا مخلدٌ في النار، لا ينفعه صوم ولا صلاة، لأن المعرفة بذلك من الأصول الكلية التي هي أركان الدين. ولكننا لا نسمي منكر إمامته كافراً، بل نسميه فاسقاً وخارجياً ومارقاً ونحو ذلك. والشيعة تسميه كافراً. فهذا هو الفرق بيننا وبينهم، وهو في اللفظ لا في المعنى»^(١).

وعرض كاتب سنيٍّ معاصر في كتاب «الخلافة والإمامة» الاعتقاد بكون الإمامة أصلاً، ثم قدح في ذلك قائلاً:

«إن الشيعة الإمامية يزعمون الإمامة من أصول الدين التي ينبغي الاعتقاد بها. والعمل على تحقيقها. إذ لا يتم الإيمان إلا إذا استقام عليها المسلم معتقداً وعملاً... كالصلاة والصوم والزكاة والحج».

وقال الشيخ محمد رضا المظفر في كتاب «عقائد الإمامية»:

«نعتقد أن الإمامة أصل من أصول الدين، لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها، ولا يجوز فيها تقليد الآباء والأهل والمربين مهما عظموا وكبروا، بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة».

ثم قال صاحب كتاب «الخلافة والإمامة»:

«وأنت ترى أن مكانة الإمامة فوق مقام الصلاة وغيرها من أركان الدين، إذ

الصلاة وغيرها من أمور الدين يجوز التقليد فيها - حسب مذهب أهل السنة - وذلك رفعا للخرج عن العامة الذين ليس في إمكانهم النظر في حقائق الدين نظراً يستدل به على تلك الحقائق ومعرفة الأحكام المتعلقة بها من الكتاب والسنة. يقول صاحب كتاب «الملل والنحل»: (وأما العامي فيجب عليه تقليد المجتهد. وإنما مذهبه فيما يسأله مذهب من يسأل عنه).

والإمامة عند الشيعة لا ينبغي التقليد فيها، بل يجب على كل مسلم حسب هذا المعتقد أن يكون هو الذي ينظر في الإمامة ويطلب الدليل عليها ويقيم الحجج لها، حتى تقع من قلبه وعقله موقع الإيمان...^(١).

نلاحظ أنّ الكاتب المذكور يسجل مؤاخذتين على المذهب الشيعي:

الأولى: لماذا يعتقد الشيعة أنّ الإمامة أصل من أصول الدين؟ والأخرى: لماذا لا يجوز التقليد في الإمامة؟
أمّا الأولى فقد أجبنا عنها.

وأما الثانية، فالدليل عليها واضح، إذ أنّ التقليد يعني الإقرار برأي الآخرين دون طلب الدليل والبرهان، والعقل يأبى أن يجري الإنسان وراء أيّ كان في قضية مهمة كالإمامة والقيادة. وهي القضية التي يرتبط بها تحقيق الأهداف الربانية والقيم الإسلامية ارتباطاً تاماً.

وأثبت التاريخ الإسلامي حرمة التقليد في الإمامة، ويدرك المسلمون الواعون هذا اليوم جيداً أنّ أهمّ عامل يقف وراء ضلال المسلمين وانحطاطهم وتخلّفهم هو التقليد في الإمامة، والخنوع لقيادة المفسدين الجائرين، ولو أراد المسلمون استعادة مجدهم وعظمتهم الحقيقية - التي توسّمها لهم القرآن الكريم، ووعدهم بها نبيهم العظيم ﷺ - لكان عليهم لزماً أن يكونوا من أولي النظر والرأي الحصيف في مسألة

(١) الخلافة والإمامة لعبد الكريم الخطيب: ٤٢٧، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، طبعة دار المعرفة - بيروت.

الإمامة ، ومعرفة إمامهم وقائدهم .

أجل ، لو أخطأ المجتهد في المسائل المتعلقة بالصلاة والصيام وأمثالهما وتبعه المقلد في خطئه فليس لذلك شأن يُذكر ، بيد أنه لو أخطأ في مسألة الإمامة ومواصفات إمام الأمة الإسلامية وقائدها أو أنه أكره الناس على اتباع أئمة الجور بالترغيب والترهيب فسوف تُحنى الأمة الإسلامية بما مُنيت به اليوم من المصير المؤلم المؤسف .

الخلاصة

▣ المعيار في عدّ مسألة ما من أصول الدين هو دورها الأساس في تحقيق الأهداف التوحيدية والقيّم الإسلامية.

▣ إذا أخذنا بعين الاعتبار معيار أصول الدين وما ذكرناه حول مكانة القيادة - من منظار القرآن الكريم والنبّي العظيم ﷺ وأهل بيته الميامين عليه السلام - فإنّ الإمامة هي أصل من أصول الدين لا محالة.

▣ يرى معظم علماء السنّة أنّ الإمامة ليست من أصول الدين ، بل هي من فروعها المتعلقة بأفعال المكلفين .

▣ أثبت التاريخ الإسلاميّ حرمة التقليد في الإمامة ، ويدرك المسلمون الواعون هذا اليوم أنّ العامل الأساس في انحطاط المسلمين هو التقليد في الإمامة والانقياد إلى قيادة غير الصالحين .

القسم الثالث

مؤامرتان خطرتان

الفصل الأول

فصل القيادة

ذكرنا في الفصل الماضي أنَّ الإمامة من أصول الإسلام الجوهريَّة التي لا محيد عنها. وسنجيب في هذا الفصل عن السؤال الآتي: كيف فُصلت الإمامة عن بنية الإسلام؟ ولماذا لم يشعر المجتمع الإسلاميَّ بالمسؤوليَّة حيال ذلك؟

بحقِّ ينبغي أن نقول: إنَّ مؤامرة فصل الإمامة عن بنية الإسلام كانت وما زالت من أمرِّ الظواهر في التاريخ الإسلاميَّ وآلمها وأخطرها.

وفعلت هذه الكارثة الممضَّة فعلتها فزَّقت كيان المجتمع الإسلاميَّ وأفرغت الإسلام من محتواه، وهبطت بالمسلمين إلى حضيض الضياع، حتَّى عادوا غير قادرين على النهوض واستعادة المجد والافتدار الذي كان لهم في صدر الإسلام بعد مضيِّ أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

وهذه الحقيقة من أُمَّهات الموضوعات التي وردت في الوصيَّة السياسيَّة الإلهيَّة التي تركها القائد الكبير للثورة الإسلاميَّة الإمام الخمينيَّ رضوان الله تعالى عليه، إذ تتحرَّى في الأسباب التي تقف وراء انحطاط المسلمين، فهو ﷺ قد بدأ وصيَّته ببيان هذه الكارثة، وأراد أن يطلق صرخة في أذن التاريخ البشريِّ، معلناً أنَّ المسلمين

لا يسعهم أن يسترجعوا هويّتهم الإسلاميّة ما داموا لا يدركون خطر انفصال القيادة الرّبانيّة عن الإسلام. ذلك الخطر الذي كان رسول الله ﷺ قد توقّعه من قبل، وهو كالقرحة المزمنة، أصل جميع الآلام التي عانت منها البشريّة.

والواقع أنّ أساس وصيّة الإمام السياسيّة الإلهيّة هو وصيّة النبيّ السياسيّة الإلهيّة التاريخيّة إذ أنذر بفصل الدين عن الإمامة والسياسة، فقال:

«إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردّ عليّ الحوض».

يؤكد الرسول الأعظم ﷺ في هذا الحديث - المتواتر المعتبر عند كافّة المسلمين - أنّ الإمامة أو القيادة لا تنفصل عن القرآن والإسلام أبداً. وقال الإمام الراحل رحمه الله في تبيان هذه النقطة أيضاً:

«لعلّ قوله: (لن يفترقا حتى يردّ عليّ الحوض) إشارة إلى أنّ كلّ ما يجري بعده ﷺ على أحدهما يجري على الآخر، وأنّ هجر أحدهما هجرٌ للآخر إلى أن يردّ هذان المهجوران على رسول الله الحوض معاً، وهل هذا الحوض هو مقام اتصال الكثرة بالوحدة واضمحلال الفطرات في البحر؟ أو أنّه شيء آخر ليس إلى عقل البشر وعرفانه إليه من سبيل؟».

لقد امتزج القرآن والعترة، والإسلام والإمامة، والدين والسياسة امتزاجاً لا يمكن معه أن ينفصل أحدهما عن الآخر أو يفترق عنه، وإذا انفصل القرآن عن العترة فإنّه يفقد مفهومه الحقيقيّ. وإن افترق الإسلام عن الإمامة فكأنّه قد افترق عن نفسه. وبعبارة أخرى: إنّ الدين بلا سياسة هو الدين بلا دين.

المؤامرة الكبرى

إنّ أكبر مؤامرة حدثت - في تاريخ الإسلام - على الإسلام والمسلمين بل على البشريّة جميعها هي مؤامرة فصل القيادة الرّبانيّة عن الإسلام والقرآن. قال الإمام

الخميني عليه السلام في وصيته:

«لقد جعل الأنانيون والطواغيت القرآن الكريم أداةً للحكومات المعادية للقرآن، وبشتى الذرائع والدسائس المدبرة أقصوا مفسريه الحقيقيين العارفين بكل حقائقه التي كانوا قد تلقوها من النبي الأكرم عليه السلام».

وبالقرآن نفسه أخرجوا القرآن عن الساحة، وهو أعظم دستور للحياة المادية والمعنوية للبشرية حتى ورود الحوض، وشطبوا على حكومة العدل الإلهي - التي كانت وما تزال أحد أهداف هذا الكتاب المقدس - ورسخوا أساس الانحراف عن دين الله والكتاب والسنة، حتى بلغ الأمر مبلغاً يستحي القلم من بيانه^(١).

ومن خلال تلك المؤامرة الخطرة المعقدة أفرغوا الإسلام من محتواه، وأفقدوا الصلاة والصيام والحجّ والجهاد في سبيل الله آثارها وعطاءاتها، بدون أن يدرك المسلمون كنهها. وخلصتها أنهم أعقموا قوانين القرآن جميعها، فحبطت كافة البرامج المرسومة لتكامل الإنسان وتنميته وتنضجيه.

وفعلت هذه المؤامرة المدروسة فعلتها بدون أن يتغيّر ظاهر الإسلام فيعترض المسلمون على المغيّرين، وقدّ الإسلام روحه بسببها وأصبح كيانه الخاوي أفضل وسيلة لتوجيه واستمرار الحكومات الطاغوتية التي مسكت بزمام الأمور باسم التوحيد.

وعلى حدّ تعبير الإمام الراحل رضوان الله عليه:

«بلغ الأمر أن أصبح القرآن الكريم وسيلة بيد الحكومات الجائرة وعلماء الدين الخبيثاء - الذين كانوا أسوأ من الطواغيت - من أجل إقامة الجور ونشر الفساد وتوجيه عمل الظالمين والمعاندين»^(٢).

(١) الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني رضوان الله عليه.

(٢) الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني رضوان الله عليه.

إنَّ قرونًا عديدة قد مرّت على انفصال إمامة إمام الحقّ والعدل عن كيان الإسلام، بيدَ أنَّ الثورة الإسلاميّة الإيرانيّة أفاضت بركاتها على المسلمين الواعين في العالم فأدركوا جيّدًا أنَّ هذا الانفصال هو سبب جميع المفاسد الاجتماعيّة، وهو الباعث على انحطاطهم.

والأمر البالغ الأهميّة في هذه المرحلة الحسّاسة من تاريخ الإسلام هو تقصّي جذور هذا الانفصال والانفصام، أي أن ندرك كيف انفصل مبدأ الإمامة عن الإسلام؟ ومن هم الذين فصلوا الدين عن السياسة، والقرآن عن العترة، والإسلام عن الإمامة؟

كيفية فصل الدين عن السياسة

ينبغي أن نتلمّس جواب ذلك في كتابات القرون الإسلاميّة الأولى، وفي تضاعيف كتب التاريخ والحديث والتفسير المدوّنة آنذاك. وتدلّنا دراسة دقيقة لهذه الكتب على أنَّ فصل الدين عن السياسة قد تحقّق باسم الدين، وانتهى بتدميره وهجر القرآن والعترة. وقام الساسة المحترفون المتسلّطون على العالم الإسلاميّ يومئذٍ باجتثاث جذر الإسلام الأصيل بمعولٍ يسمّى «الإسلام» وأبادوا أنصاره الحقيقيّين. وفي هذا المجال قدّم المتولّون الرسميّون للشؤون الدينيّة ووعاظ السلاطين أكبر خدمة للطواغيت المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة. وليس هناك أفضل من أولئك الجهلة «المتنسّكين» الذين باعوا دينهم بدنياهم من يستطيع أن يُقنع الناس بأنّ السياسة مفصولة عن الإسلام، وأنّ عليهم -بحكم القرآن وأمر النبي ﷺ- أن يطيعوا كلّ مجرمٍ يسك زمام المجتمع الإسلاميّ بأيّ شكلٍ كان.

كتب الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام رسالة إلى أحد وعاظ السلاطين في عصره، وهو محمّد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، قال له فيها:

«فلم يبلغ أخصّ وزرائهم ولا أقوى أعوانهم إلّا دون ما بلغت من إصلاح

فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك»^(١).

وهنا أدعو جميع القراء الكرام من أيّ مذهب كانوا أن يدعوا العناد والتعصّب جانباً ويدرسوا هذه الأمور بنظرة علميّة فاحصة، فهل يحصلون على نتيجة غير التي ذكرناها؟ وأدعوهم أن يحكموا بإنصاف وينظروا هل كان لفصل الدين عن السياسة جذر سياسي أم جذر ديني؟ وماذا فعل الساسة المتسلّطون على البلاد الإسلاميّة باسم الدين؟ ألم يتركوا المسلمين سادرين في غفلتهم إلى الآن؟ ألم يحولوا دون تحكيم الإسلام الأصيل على المجتمعات الإسلاميّة؟ وهل هناك طريق لإحياء القيم الإسلاميّة في كافّة الأبعاد المادّيّة والمعنويّة إلّا إعادة السياسة إلى الدين، والإقرار بقيادة رجل عادل عارف بالإسلام، وتشكيل حكومة صالحة؟

وإذا أردنا أن ندرس - كباحثين - «صحيح مسلم»^(٢)، وهو أحد كتب الحديث المهمّة عند أهل السنّة، فإننا نصل في الجزء الثالث منه إلى «كتاب الإمارة». ويدور هذا الكتاب حول موضوع بحثنا «القيادة من منظار الإسلام». وتمثّل عناوين كلّ باب في هذا الكتاب استنباطات المؤلّف من الأحاديث المطروحة في ذلك الباب. على سبيل المثال، نقل في «باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم» ثلاثة أحاديث منسوبة إلى النبي ﷺ، نقرأ فيها:

«إنكم ستلقون بعدي أثرةً، فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض»^(٣).

وإذا تأملنا هذا الحديث قليلاً وقايسناه بمحدث الثقلين المتواتر - الذي يرى أنّ قيادة إمام الحقّ والعدل لا تقبل الانفصال عن القرآن والإسلام حتّى يوم القيامة -

(١) تحف العقول: ٢٧٦، بحار الأنوار: ٧٨ / ١٣٢ / ٢.

(٢) تأليف محدّد بن مسلم النيسابوري المتوفّى سنة ٢٦١ هـ.

(٣) صحيح مسلم: ٣ / ١٤٧٤ / ١٨٤٥، مسند ابن حنبل: ٧ / ٤٤ / ١٩١١٤ و ١٩١١٦.

أمكننا أن نستنتج بيّسرٍ كيف وضع هذا الحديث بأسلوبٍ مأكّرٍ ليلزم المسلمين بالسكوت والصبر على ظلم حكامهم.

وجاء في «باب طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق» من هذا الكتاب أيضاً:

«إن سلمة بن يزيد سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرايت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه! ثم سألته، فأعرض عنه! ثم سألته في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس وقال: اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم!»^(١).

وقال في حديث بعده:

فجذبه الأشعث، فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم»!

نلاحظ أنّ هذا الحديث الموضوع يحاول أن يُملي على الناس مطلبين:

١- أنّ الجواب عن المسائل السياسيّة ليس من شأن النبي ﷺ! فلا يُسأل إلاّ المسائل الشرعيّة كالصلاة والصيام وأمثالهما. من هنا نجد أنّ السائل حين يكرّر سؤاله يُعرض عنه رسول الله ﷺ، معبراً عن كرهه ل طرح مثل هذه المسائل.

٢- أنّ النبي ﷺ نصّ أو أيّد حرمة النهي عن المنكر ومكافحة الفساد والظلم الذي كان يمارسه الحكّام! ويريد أن يقول -في الحقيقة-: إنّ شأن نزول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الظالم والفساد هو لغير الطبقة الحاكمة على المجتمع! من هنا فإنّ سحق الأمراء حقوق الناس لا ينبغي أن يُقضي إلى معارضتهم، بل عليهم أن يطيعوا هؤلاء المفسدين ويسمعوا كلامهم، لأنّ ذلك الحديث الموضوع جعل الحكّام مسؤولين عن أعمالهم، والناس مسؤولين عن أعمالهم أيضاً!! وهنا يستبين لنا مصدر

(١) صحيح مسلم: ٣/١٤٧٤/١٨٤٦.

الأمثال التي تنزع هذا المنزع، كقولهم: «كلّ شاةٍ برجلها ستناط». وورد أيضاً في كتاب الإمارة «باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج عن الطاعة...» ما مضمونه: روي عن حذيفة أنه قال:

«قلتُ للنبي ﷺ: إنا كنا بشرّاً، فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟

قال: نعم.

قلتُ: هل وراء ذلك الشرّ خيرٌ؟

قال: نعم.

قلتُ: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟

قال: نعم.

قلتُ: كيف؟

قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.

قلتُ: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟

قال: تسمع وتطيع للأمر، وإن ضربَ ظهرك وأخذَ مالك فاسمع وأطع! ^(١).

وروى عوف بن مالك في الباب السابع عشر من هذا الكتاب أن رسول الله ﷺ

قال:

«خيار أئمتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم، ويصلّون عليكم وتصلّون عليهم.

وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم!

قيل: يا رسول الله، أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال:

«لا. ما أقاموا فيكم الصلاة. وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا

عمله، ولا تنزعوا بدأ من طاعة!!^(١).

إنّ هذا الحديث الذي وضع في عصر حكومة الأئمة الظالمين بدهاء خاص - نظراً إلى الحقائق السائدة في البلاد الإسلامية يومئذٍ - يرفض بشدة منطق الكفاح المسلح ضدّ الحكّام المفسدين، ثمّ يؤكّد أنّ الصلاة وحدها تكفي لحكّام المجتمع الإسلاميّ. وبعد ذلك يضع قانوناً عاماً للناس يعلمهم كيف يتعاملون مع الحكّام الظالمين. وفي ضوء القانون المذكور لا يحقّ للمسلمين أن يناهضوا الحكّام المفسدين مهما كانت ظروفهم، بل عليهم أن يعرضوا عن أعمالهم المشينة فحسب! وهكذا يحرم الناس من حقّ التدخل في الشؤون السياسيّة، وينفصل الدين عن السياسة.

ونقرأ في حديث آخر روته عائشة عن النبيّ الأكرم ﷺ:

«لا تكفروا أحداً من أهل قبلتكم بذنبٍ وإن عملوا بالكبائر، وصلّوا مع كلّ إمام وجاهدوا مع كلّ أمير»^(٢).

ومفهوم هذا الحديث هو أنّه ما من ذنبٍ يتنافى مع الإسلام، وأنّ الإنسان يمكن أن يكون مسلماً ويرتكب ضروب الفساد والدنس. وعلى المسلمين أن يصلّوا خلف كلّ إمام ولو كان من أكبر مجرمي التاريخ، وعليهم أن يجاهدوا عدوّ كلّ حاكم حتّى لو كان هذا الحاكم مخالفاً للإسلام!!

نقل عبدالله بن عمر عن النبيّ ﷺ أنّه قال:

«سيليكم أمراء يفسدون، وما يصلح الله بهم أكثر، فمن عمل منهم بطاعة الله فلهم الأجر وعليكم الشكر، ومن عمل منهم بمعصية الله فعليهم الوزر وعليكم الصبر»^(٣).

(١) صحيح مسلم: ١٤٨١/٣، مسند ابن حنبل: ٢٤٠٣٦/٩.

(٢) المعجم الأوسط: ١٧٥/٣، مجمع الزوائد: ٢٩٨/١، كنز العمال: ٢١٥/١.

(٣) مسند ابن حنبل: ٤٢٨/١. ونسب مثل هذا الحديث في تحف العقول: ٤١١ إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وفيه:

يريد هذا الحديث من الناس أن يساوموا الحكّام المفسدين من خلال مغالطتين، الأولى: أنّ صلاحهم أكثر من فسادهم. والثانية: أنّهم سيلاقون جزاء آثامهم، ولا علاقة لذنوبهم بالناس. ومآل هذا أن يتفصل الدين عن السياسة، وما على المسلمين إلّا الصبر والسكوت أمام ظلم الحكّام المفسدين!

ويبدو أنّ هذه الأحاديث الموضوعة كلّها وأمثالها^(١) تمهيد لوضع الحديثين الآتين اللذين نسبوهما إلى صحابيّين كبيرين معروفين:

١- قال عبدالله بن مسعود: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من فارق الجماعة فاقتلوه»^(٢).

٢- قال أبو ذرّ: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«من قاتل على الخلافة فاقتلوه، كأننا من كان»^(٣).

وهكذا يستبين أنّ كلّ من لا يصغي إلى هذه الأحاديث المموّهة بالنصح وينهض لمعارضة الحكّام الجائرين المفسدين فما جزاؤه إلّا الإبادة والإعدام!

وكانت هذه الأحاديث - التي نقلت مشافهة كأحاديث نبويّة - أفضل وسيلة دعائيّة لبقاء الحكومات الجائرة واستمرارها، ولم يتّسم جمهور الأُمّة يومئذٍ بوعي ديني وسياسي كافٍ، كما لم يصدّقوا أنّ صحابياً يفتري على النبي ﷺ، أو أنّ الشخص الذي نسب هذه الأحاديث إلى الصحابي يكذب عليه. وفعلت تلك الدعايات المسمومة فعلتها فلم يجرؤ أحد على معارضة الحكّام الفاسدين، كما لا يجرؤ اليوم

﴿ «إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر وعليك الشكر، وإذا كان جائراً كان عليه الوزر وعليك الصبر». »

(١) انظر مسند ابن حنبل: ٦/ ٢٧٥ و ٢٩٥ و ٢٩٧ و ٣٠٢ و ٣٠٥ و ٣٢١ و ٣٨٤ و ٣٨٧، وصحيح البخاري:

٥/ ١١٣ و ٢٨١، وسنن الدارمي: ٢/ ٤١، سنن أبي داود: ٤/ ٢٤٢ و....

(٢) تاريخ بغداد: ٧/ ١٣١، كنز العمال: ١/ ٢٠٨/ ١٠٤٤.

(٣) كنز العمال: ١/ ٢٠٩/ ١٠٤٦.

أحد على ذلك أيضاً.

الأحاديث الموضوعة والحكومات الفاسدة

تحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن أصل الأحاديث الموضوعة والأخبار المختلقة المتضاربة التي نُقلت عن النبي صلى الله عليه وآله بشأن الأحكام الإلهية والمسائل الإسلامية، وحللها تحليلاً شاملاً، وبين بصرحة تامة دورها في توطيد دعائم الحكومات الفاسدة واستمرارها.

سأله سائل عن أحاديث البدع، وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر. فقال عليه السلام:

«إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومُشابهاً، وحفظاً ووهماً^(١)».

ولقد كُذِبَ على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً، فقال: مَنْ كَذَبَ عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

ويواصل الإمام عليه السلام كلامه - فيصف الذين يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمدين وينسبون إليه ما لم ينطق به - قائلاً:

... رجلٌ منافقٌ مظهرٌ للإيمان، متصنعٌ بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً. فلو عَلِمَ الناسُ أنه منافقٌ كاذبٌ لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قوله، ولكنهم قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، رآه وسمع منه وَلَقِيَ عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك. ووصفهم بما وصفهم

(١) الناسخ هو الحديث الذي يلغي حكم حديث آخر وينسخه. والخاص هو الحديث الذي يحدد حكم العام. والمحكم هو الحديث الواضح مفاده، والمتشابه هو الذي يكتنفه الغموض. والحفظ هو الذي حفظه الراوي بصورة صحيحة، والوهم هو الذي حفظه بصورة غالطة.

به لك^(١)، ثم بقوا بعده - عليه وآله السلام - فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولّوهم الأعمال، وجعلوهم حكّاماً على رقاب الناس، وأكلوا بهم الدنيا، وإنّما الناس مع الملوك والدنيا، إلّا من عصم الله^(٢).

إنّ النقطة اللافتة للنظر هنا هي أنّنا نلاحظ بعد وفاة الرواة المنافيين الذين كانوا قد أدركوا رسول الله ﷺ أنّ أحاديثهم الموضوعة لما كانت لا تلبي حاجة الحكماء الجائرين، فقد أضيف إليها نوعان آخران من الأحاديث المختلقة:

- ١- أحاديث مكذوبة اختلقها الوضّاعون على لسان بعض الصحابة المؤمنين المجاهدين، مثل أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يكافح الأحاديث الموضوعة ويناهضها!
 - ٢- أحاديث مفتراة نُسبت إلى صحابة وهميين مختلقين لا وجود لهم أساساً^(٣).
- وليس هنا موضع الحديث عن هذا الأمر المؤلم الممضّ، بيد أنّ الأمل هو أنّ كثيراً من الفقهاء في العالم الإسلامي قد استندوا في فتواهم إلى الأحاديث المذكورة الواهية، وما يزالون يُفتون، ويمجّزون المسلمين وراءهم إلى جحيم الضلال.
- فأفتى الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل بوجوب الصبر على جور الحاكم وحرمة الخروج عليه^(٤).

قال أحمد بن حنبل:

«لا يخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا»^(٥).

(١) بين القرآن الكريم في آيات كثيرة مواصفات المنافقين المتظاهرين بالإسلام، وحذّر من خطرهم على الدين. ومن هذه الآيات قوله تعالى: «وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُردّون إلى عذابٍ عظيم»، التوبة: ١٠١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٠.

(٣) عُرف منهم لحدّ الآن مائة وخمسون صحابياً. انظر كتاب «خمسون ومائة صحابيٍّ مختلق» للعلامة السيّد مرتضى العسكري.

(٤) المذاهب الإسلامية: ٩٠.

(٥) المذاهب الإسلامية: ٩٠، المناقب لابن الجوزي: ١٤٠٢ / ٢ / ١٧٦ دار الآفاق الجديدة - بيروت.

وجاء في شرح الموطأ بأن رأي مالك وجمهور أهل السنة هو:

«إذا ظلم الإمام فالطاعة أولى من الخروج»^(١).

وأخيراً قال المحدث السنّي المعروف الحافظ محيي الدين النووي الشافعي (المتوفى ٦٧٦ هـ) في شرح صحيح مسلم:

«قال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخفيفه»^(٢).

وكان أحد الأنصار المتحمسين لهذا المنحى الخطر - الذي يُعدّ أهمّ عوامل انحطاط المسلمين وتأخّرهم - هو الحسن البصري.

والحسن هذا كان شاباً يافعاً في أيام حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. ولما افتتح الإمام عليه السلام البصرة بعد حرب الجمل اجتمع الناس عليه، وفيهم الحسن البصري ومعه الألواح. فكان كلما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام كلمة كتبها، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام بأعلى صوته: ما تصنع؟

قال: نكتب آثاركم لنحدّث بها بعدكم.

وكان الإمام عليه السلام بما أوتي من بصيرة إلهية يعرفه جيّداً ويخبر مستقبله، فالتفت إلى الحاضرين، قال كلمته التاريخية بشأنه:

«أما إن لكل قوم سامرياً»^(٣)، وهذا سامريُّ هذه الأمة، أمّا أنّه لا يقول: «لا

(١) المذاهب الإسلامية: ٨٩.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي للإمام النووي: ١٢ / ٤٧٠. انظر الغدير: ١٣٦ / ٧ - ١٥٢.

(٣) دعا السامري أتباع موسى عليه السلام إلى عبادة العجل، فصار سبباً في ضلالهم، ونقل القرآن الكريم قصته في سورة طه: ٩٥-٩٨. وجاء في الروايات أنّه ابتلي بمرض بعد عمله هذا، حتّى أنّ الناس كانوا يفرعون منه. وكان يفرّ من كلّ من يقترب منه ويصيح: «لا مساس» أي لا تقتربوا منّي ولا تمسّوني.

مساس» ولكن يقول: «لا قتال»^(١).

وقد تحقق ما نطق به الإمام عليه السلام، فأفتى هذا المحدث الشهير بوجوب طاعة الملوك الأمويين، وقال في توجيه فتواه:

«لا يستقيم الدين إلا بهم وإن جاروا وإن ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر منا يفسدون»^(٢).

وكانت هذه الفتوى خدمة عظيمة قدّمتها الحسن البصري للحكام الأمويين الفاسدين الجائرين.

وللحسن البصري موقف ينبغي أن نلقي عليه قليلاً من الضوء لخطورة دلالاته. فقد قال الشيخ علي محفوظ: لولا لسان «الحسن» و سيف «الحجاج» لوندت الدولة مروانية في مهدها...

ألم تر إلى الحسن وقد جلس بين يديه صفوف من الناس يصفون إليه وهو يخرج بهم في أساليب الكلام من باب إلى باب ثم يقول لهم فيما يحدثهم به: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا الولاة فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر، وإن أسأوا فعليهم الوزر وعليكم الصبر، وإنما هم نعمة ينتقم الله بهم ممن يشاء فلا تستقبلوا نعمة الله بالحمية والغضب، واستقبلوها بالاستكانة والتضرع».

وفي أزمة مالية اشتدّ كرب الناس لها و ذهبوا يستفتونه في حلّها، فقال لهم: غلا السعر على عهد رسول الله ﷺ، فقال الناس: يا رسول الله ألا تسعر لنا؟ فقال: إن الله هو المسعر، إن الله هو القابض، إن الله هو الباسط، وإني والله ما أعطيكم شيئاً ولا أنعمكموه^(٣).

(١) الاحتجاج: ١/ ٤٠٤ / ٨٧، بحار الأنوار: ٤٢ / ١٤١ / ٢، سفينة البحار: ٢ / ٢١٠، تفسير نمونه (الأمثل في

كتاب الله المنزل): ١٣ / ٢٨٦.

(٢) المذاهب الإسلامية: ٨٩.

(٣) مع الله لمحمد الغزالي: ١٧١.

هذا بيان لمؤامرة خطيرة فصلت العترة عن القرآن، والسياسة عن الدين، والإمامة التي هي أسس الإسلام النامي عن الإسلام، وقطع هذا الجذر يبست شجرة التوحيد الطيبة، وتوقفت عن النمو، وأصبحت أغصانها الذّاوية حطباً للحكّام الأمويين والعبّاسيين الجائرين الفاسدين، ولكلّ الظالمين الذين حكموا المسلمين ويحكمونهم، ليحرقوا بيت الإيماّن وينهبوا أمانة الإمامة! وظلّ القرآن مهجوراً، وأصبح أداة لتسويق جور الظالمين وفسادهم. من هنا أعلن الإمام الراحل ﷺ صرخته فقال:

بلغ الأمر أنّ القرآن الكريم أصبح وسيلةً بيد الحكومات الجائرة وعلماء الدين الخبيثاء الذين كانوا أسوأ من الطواغيت، من أجل إقامة الجور ونشر الفساد وتوجيه عمل الظالمين والمعاندين. ومن المؤسف أنّ الأعداء المتآمرين والأصدقاء الجاهلين أرادوا له أن يتلى في المقابر ومجالس الموتى فحسب. وهو الذي قدّر له أن يكون وسيلةً للّمْ شمل المسلمين والبشرية، ومنهاجاً لحياتهم، بيد أنّه صار وسيلة للترفة والخلاف، أو أنّه أقصي عن ميدان الحياة تماماً، بحيث رأينا أنّه إذا تحدّث أحد عن الحكومة الإسلامية وتكلّم في السياسة التي تمثّل الدور الكبير للإسلام والرسول الأعظم ﷺ ويزخر بها القرآن والسنة فكأنّه قد ارتكب أكبر معصية. وكانت وما زالت كلمة «عالم الدين السياسي» مساوية لكلمة «عالم الدين الذي لا دين له»^(١).

(١) الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

الخلاصة

☐ تُعدّ فاجعة فصل الإمامة عن الإسلام أمرَ الحوادث وأخطرها في التاريخ الإسلامي، فقد مزقت هذه الكارثة أوصال المجتمع الإسلامي، وأفرغت الإسلام من محتواه، ودمّرت المسلمين حتّى أنهم ما زالوا عاجزين عن النهوض بعد مضي أكثر من ثلاثة عشر قرناً.

☐ إنّ أهمّ مسألة نطالعها في الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني طاب ثراه هي تقصي الأسباب التي تقف وراء انحطاط المسلمين، ومسألة فصل الإمامة عن الإسلام. وكأنّها تكرار للوصية النبوية التاريخية التي أكّدت اقتران الإمامة والقيادة بالقرآن والإسلام وعدم افتراقهما أبداً.

☐ يتلازم القرآن والعتره، والإسلام والإمامة، والدين والسياسة تلازماً وثيقاً بحيث يتعذر انفصالهما. ومتى انفصل القرآن عن العتره فقد تجرّد عن مفهومه الحقيقي. ومتى انفصل الإسلام عن الإمامة فكأنّه انفصل عن نفسه، والدين بلا سياسة كالدين بلا دين.

☐ إنّ أخطر مؤامرة في التاريخ الإسلامي استهدفت الإسلام والمسلمين - بل استهدفت البشرية كلّها - هي مؤامرة فصل القيادة الربّانية عن الإسلام والقرآن. وبفعل هذه المؤامرة أفرغ الإسلام من محتواه وأصيب هذا النظام الإلهي الذي يمثّل منهاجاً لتكامل الإنسان بالعقم.

☐ تدلّ دراسة دقيقة لكتب الحديث التي دوّنت في القرون الإسلامية الأولى على أنّ فصل الدين عن السياسة قد تحقّق باسم الدين، وقام الساسة المحترفون باجتثاث

جذر الإسلام الحقيقي بمعول اسمه «الإسلام». يؤازرهم على ذلك وعَاظ السلاطين الذين كانوا أكبر خَدَمهم في هذا المجال.

☐ إنَّ الأحاديث التي تدعو الناس إلى الصبر والسكوت حيال ظلم الحكّام الفاسدين المتسلّطين على البلاد الإسلاميّة، وتوجب طاعتهم حتّى إذا اعتدوا على حقوق الناس، وتحَرَّم الخروج عليهم بالسيف، وتفتي بقتل الخارجين عليهم، كلّها من وضع وعَاظ السلاطين، وتصبّ في مجرى فصل الدين عن السياسة، والقيادة عن الإسلام، والقرآن عن العترة.

☐ تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مفصّلاً - في الخطبة ٢١٠ من نهج البلاغة - عن دور الأحاديث الموضوعة في توطيد حكومة الجائرين الفاسدين المتسلّطين على العالم الإسلاميّ.

☐ تأسيساً على الأحاديث التي أُشير إليها أفتى كثير من علماء العالم الإسلاميّ بأنّ الحاكم لا يُعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، وإنّما يُكتفى بوعظه وتخويفه. وكانت هذه الفتوى تساير مؤامرة فصل الدين عن السياسة. وهي أكبر خدمة للحكّام الجائرين.

الفصل الثاني

تحريف القيادة

لا يقلّ خطر تحريف القيادة على الثورة الإسلاميّة عن خطر فصلها. وهو خطر يهدّد المجتمع الشيعي.

ولم تنفصل الإمامة عن الإسلام في هذا المجتمع، بيد أنّها لم تسلم من التحريف أيضاً. ويعدّ هذا الموضوع من العقبات الكؤودة في طريق إقامة الحكومة الإسلاميّة العالميّة.

أقسام التحريف

تُمنى القيادة في الإسلام بالتحريف عبر طريقين، الأوّل: التفسير الغالط للاعتقاد بالإمامة. الثاني: انضمام عقائد خاطئة تجعل الاعتقاد بالإمامة عقيماً. ونسمي الطريق الأوّل بالتحريف المباشر والجليّ، ونسمي الثاني بالتحريف غير المباشر والخبثيّ.

أ- التحريف الجليّ

ويعني تفسير الاعتقاد بالإمامة على خلاف مفهومها ومحتواها الحقيقيّ، بحيث

يتعذر بيان فلسفة الإمامة.

وقد مرّ بنا سابقاً أنّ أهمّ نقطة في فلسفة الاعتقاد بالإمامة وأوضحها هي إقامة الحكومة الإلهية ووحدة القيادة السياسيّة والدينيّة. فإذا فسّرت هذه العقيدة بنحو لا يفضي إلى مثل هذه الوحدة فقد مُنيت بالتحريف لا محالة.

مثلاً، إذا أهمل موضوع اتّباع الإمام في تفسير الإمامة وفسّرت هذه العقيدة بمعرفة الإمام أو إظهار حبّه فلا شكّ أنّ التحريف قد نال الاعتقاد بالإمامة. إذ لا مرأى في أنّ معرفة الإمام وحبّه ممهّدان لاتباعه، ومن ثمّ تشكيل الحكومة الإسلاميّة بقيادته. فإذا ألغيت تلك المقدّمة فإنّ التحريف قد نال الاعتقاد بالإمامة بكلّ وضوح. وترشد دراسة تاريخ أهل البيت صلوات الله عليهم إلى أنّ هذا التحريف كان شائعاً بين عدد من أدياء التشيع. وكان الأئمّة الأطهار عليهم السلام أنفسهم يناهضون هذا التحريف بشدّة.

وتدلّ الروايات الواردة في بيان صفات الشيعة ونفي تشيع الأدياء الكاذبين على ما نقول بجلاء. ونشير فيما يأتي إلى غاذج منها:

١- روى الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عليه السلام أنّه خاطب جماعة من أصحابه، معبراً عن حبّه لهم ومؤكّداً أنّ شرط الولاية هو الاتّباع العمليّ للإمام، وأنّ الذين يدّعون الاعتقاد بالإمامة لا يصدقون في دعواهم إلّا إذا حازوا على الشرط المذكور، قال عليه السلام:

«اعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلّا بالورع والاجتهاد، من انتمّ منكم بقوم فليعمل بعملهم»^(١).

٢- قال الإمام الصادق عليه السلام في الذين يزعمون الاعتقاد بأصل الإمامة كذباً، وفي

(١) صفات الشيعة: ٥١/ ٨، بحار الأنوار: ٦٨/ ٦٥/ ١١٨.

صفات الأتباع الصادقين:

«ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا، أولئك من شيعتنا»^(١).

٣- يرى الإمام زين العابدين عليه السلام أن الذين يزعمون الاعتقاد بالإمامة كذباً هم من أبغض الناس إلى الله تعالى. ويصفهم قائلاً:

«إن أبغض الناس إلى الله عز وجل من يقتدي بسنة إمام ولا يقتدي بأعماله»^(٢).

٤- قال الإمام الصادق عليه السلام في جماعة من محرّفي أصل الإمامة وكانوا معاصرين له ويزعمون أنه إمامهم:

«قوم يزعمون أتى إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام، لعنهم الله، كلما سترت سترأ هتكوه، أقول: كذا وكذا، فيقولون: إنما يعني كذا وكذا، إنما أنا إمام من أطاعني»^(٣).

٥- خاطب الإمام الرضا عليه السلام جماعة من أذعياء التشيع وأتباع أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً:

«وينحكم! إنما شيعته: الحسن والحسين عليهما السلام وسلمان وأبوذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر، الذين لم يخالفوا شيئاً من أوامره، ولم يركبوا شيئاً من فنون زواجه.

فأما أنتم إذا قلتم إنكم شيعته، وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون مقصرون في كثير من الفرائض، متهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتقون حيث لا يجب التقية، وتركون التقية حيث لابد من التقية. فلو قلتم إنكم موالؤه ومحبيه

(١) مستطرفات السرائر: ٢١/١٤٧، وسائل الشيعة: ١١/١٩٦، بحار الأنوار: ٦٨/١٦٤/١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٧١/١٧٨/٢٥.

(٣) غيبة النعماني: ٨/٣٧، بحار الأنوار: ٢/٨٠/٧٦، مستدرك الوسائل: ١٢/٢٩٣/١٤١٢١.

والموالون لأوليائه والمعادون لأعدائه، لم أنكره من قولكم ...!»^(١).

٦- يرى الإمام الباقر عليه السلام أن الذين يدعون الاعتقاد بالإمامة ثلاثة، قال عليه السلام:

«الشيعة ثلاثة أصناف: صنف يتزيتون بنا، وصنف يستأكلون بنا، وصنف منا وإلينا، يأمنون بأمننا ويخافون بخوفنا...»^(٢).

إذا تأملنا هذه الأحاديث وأمثالها فستستبين لنا عدد من النقاط العقيدية والتاريخية البالغة الأهمية:

١- لا يعني الاعتقاد بالولاية والإمامة معرفة الإمام ذهنياً أو مودته قلبياً فحسب، حتى يتسنى لنا أن نقول: إنَّ كلَّ من تحدَّث أو كتب عن الإمامة والولاية أكثر وأفضل أو كلَّ من أظهر للإمام حباً أكثر ورفع شعاراً يناصر ولايته. فولايته أكثر واعتقاده بالإمام أرسخ، بل يتطلب هذا الاعتقاد مسؤولية كبيرة ثقيلة تتضمَّن فيها جميع المسؤوليات الإسلامية والإنسانية! وهذه تتلخَّص في اتباع القيادة الربانية عملياً، ومراعاة التقوى في الحياة، والعمل لتحقيق القيم الإلهية في المجتمع، والسعي لإقامة الحكومة الإسلامية.

٢- الاعتقاد بالإمامة لم يسلم من التحريف الجليِّ حتى في عصر الأئمة المعصومين عليهم السلام بحيث إنهم عليهم السلام كانوا يشعرون بخطر هذه الكارثة.

٣- لقد بذل الأئمة المعصومون عليهم السلام قصارى جهودهم لمناهضة التحريف الذي طرأ على هذا الاعتقاد، من خلال التبيين الدقيق لمواصفات المعتقدين الصادقين بأصل الإمامة، ونبذ أدعياء التشيع وإدانتهم.

ب - التحريف الخفي

يتم في هذا الضرب من التحريف تفسير أصل الإمامة بمعناه الحقيقي ولكن يُشابُه

(١) بحار الأنوار: ٦٨/١٥٨، الاحتجاج: ٢/٤٥٩/٣١٨.

(٢) مشكاة الأنوار: ٦٣، المحجة البيضاء: ٤/٣٥٦.

بعقائد غير صحيحة ممّا يُفضي إلى تجريد الإنسان المعتقد من مسؤوليّة العمل والتمهيد لإقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة الإمام العادل، بصورة غير مباشرة.

إنّ من يحرف القيادة بنحو غير مباشر لا يحذف موضوع اتّباع الإمام وإقامة الحكومة الإسلاميّة بقيادة الإمام العادل من تفسير أصل الإمامة، بل يقول: الإمام العادل غائب الآن، ومتى ظهر أقام الحكومة الإلهيّة.

وإن سئل: ماذا نفعل الآن؟ ألا يجب على المسلمين في عصر الغيبة تطبيق قوانين القرآن والتمهيد للحكومة الإسلاميّة العالميّة؟

وهل ينبغي أن تظلّ المجتمعات الإسلاميّة تحت نير القادة الجائرين؟!
يجيب قائلاً: إنّنا لا نهتدي إلى عمل، وليس لنا في عصر الغيبة إلّا التقيّة والانتظار والدعاء، والتقيّة لا تميز المقارعة حتّى ظهور إمام العصر والزمان عليه السلام،
وعليّنا أن ندعو ليظهر، وعليّنا أن ننتظر قدومه لكلّ عمل من أعمالنا!!
تلاحظون كيف يؤثّر تحريف المفاهيم البناء المذكورة على أصل الإمامة ويجعله عقيماً؟ وكيف يسلب المجتمع الإسلاميّ شعوره بالمسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة الحكومة الإسلاميّة؟!

إنّ هذا اللون من التحريف أعقد من اللون الأوّل وأخطر، وله دور أكبر في عصر غيبة الإمام المعصوم عليه السلام، إذ أنّه يفقد أصل الإمامة أثره بصورة غير مباشرة وخفيّة.

سرّ حكومة أئمة الجور

إنّ المستكبرين الذين يريدون أن يتسلّطوا على الأُمّة الإسلاميّة بالقوّة والتدليس يتلمّسون طريقاً لتسويغ شرعيّتهم، ولفصل الدين عن السياسة، فهم إمّا ينكرون أصل الإمامة، أو يحرفون مفهومها أو يفيدون من التحريف الخفيّ وغير المباشر.

وتدلّ دراسة التاريخ الإسلاميّ على أنّ سلاطين الجور استخدموا الطرق الثلاثة

بالتناسب، من أجل توجيه الناس والحوؤول دون تحقيق الحكومة الإسلامية. فانتهجوا الطريق الأول في المجتمعات السنيّة، والثاني أو الثالث في المجتمعات الشيعيّة، وذلك من أجل تحقيق أهدافهم السياسيّة.

إنّ النقطة اللافتة للنظر هي أنّ التحريف غير المباشر لأصل الإمامة قد استأثر كثيراً باهتمام الساسة الذين يحكمون الأقطار الإسلاميّة في القرن المعاصر، بسبب ما يتّصف به من تعقيد وما يقوم به من دور مضاعف فعال. وأدّى علماء الدين المزيقيين غير الواعين وعملاء الحكومات دوراً مهماً في هذا المجال.

قال مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة في هذا الشأن:

«عندما ينس الاستكبار العالميّ من إبادة العلماء والحوزات الدينيّة اختار أسلوبين لإزالة ضربته، الأول: أسلوب القوة والترهيب، والآخر: أسلوب الخداع والتغفل.

ولما فقد الأسلوب الأول بريقه في عصرنا هذا نشط الأسلوب الثاني. وإنّ أوّل خطوة خطاها على هذا الطريق وأهمّها هي المناداة بفصل الدين عن السياسة.

ومن المؤسف أنّ هذا التوجّه قد فعل فعله في الوسط العلمانيّ إلى حدّ ما، حتّى خيّل أنّ التدخّل في السياسة دون شأن الفقيه، وأنّ ممارسة النشاط السياسيّ يعني العمالة للأجانب... وكانت وما زالت ضربات العلماء غير الواعين ووعاظ السلاطين أشدّ من ضربات الأعداء أضعافاً مضاعفة.

ونلاحظ في مستهلّ نهضتنا الإسلاميّة أنّ أحداً إذا قال: الشاه خائن، أوجب على الفور: إنّه شيعي! وكم عانينا من قبل! لقد أشاعوا الفكرة القائلة: إنّ الشاه ظلّ الله. وقالوا: نحن لا نستطيع أن نقاوم المدافع والدبابات بجسومنا الضعيفة.

ونحن غير مكثّفين بالجهاد والنضال. ومن هو المسؤول عن دماء القتلى؟

والآنكي من ذلك كلّ آتاهم رفعوا شعارهم المضلّ القائل: إنّ كلّ حكومة قبل

ظهور الإمام المهدي عليه السلام باطلة. وآلاف التفولات والتخرصات. وكانت مشاكل كبيرة مضنية لا يمكن مواجهتها بالنصح والنضال السليبي والإعلام، فالحل الوحيد هو الجهاد والإيثار والدم...» .

وعلى الرغم من أن هذه الأفكار المنحرفة والخطرة قد قفدت شيئاً من بريقها هذا اليوم - بركة الثورة الإسلامية وجهود قائدها الكبير وإيثار المجاهدين ودمائهم الزكية - بيد أنها لم تُجَتَّتْ تماماً. والأهم من ذلك أنها تُعرض اليوم بقوالب جديدة:

«من الطبيعي أن الحوزات العلمية ما زالت مشوبة بلونين من التفكير، وعلينا أن نكون حذرين من تسرب فكرة فصل الدين عن السياسة المنبثقة من أدمغة المتحجرين إلى أذهان طلابنا الشباب...»

كان المتظاهرون بالقداسة الأغبياء يقولون بالأمس: الدين منفصل عن السياسة، والنضال ضدّ الشاه حرام. واليوم يقولون: صار مسؤولو النظام شيوعيين.

بالأمس كانوا يقولون: إن بيع الخمر والفساد والفحشاء والفسق وحكومة الظالمين أشياء مفيدة وممهدة لظهور الإمام المهدي عليه السلام أرواحنا فداء. واليوم إذا رأوا في زاوية ما خلافاً شرعياً لم يُرده المسؤولون قطّ رفعوا عقيرتهم منادين: وإسلاماه!

وكان الحجتون بالأمس يحرمون النضال، وفي حومة المقارعة بذلوا قصارى جهودهم من أجل إنهاء الإضراب عن نصب مصابيح الزينة في النصف من شعبان لمصلحة الشاه. وأصبحوا اليوم أكثر ثورية من الثوريين أنفسهم.

وشوّه المتسحون بالولاية سمعة الإسلام والمسلمين بسكوتهم وتحجرهم بالأمس، لكنهم قصموا ظهر النبي وأهل بيته الأطهار في أعمالهم. ولم يكن عنوان الولاء لهم إلا التكبّس والارتزاق، وجعلوا أنفسهم اليوم بُناة الولاية

ووارثيها، متحسرين على ولاية عصر الشاه»^(١).

والآن ينبغي أن نتعرف على الجذر الثقافي لهذه الأفكار المنحرفة التي أفضت إلى تحريف أهم الأصول الاجتماعية في الإسلام، ووطدت دعائم حكومة الملوك الجبابة على المسلمين وإدامتها.

جذور التحريف

من المثير للعجب أننا - بعد قليل من التأمل - نصل في جذور تحريف القيادة إلى حيث وصلنا في جذور فصلها! إذ تتصل جذور فصل القيادة بالحديث، وتتصل جذور التحريف به أيضاً!

ويمكننا أن نقسم الأحاديث التي استغلّت في تحريف القيادة أو هي قابلة للاستغلال نظرياً إلى أربعة أقسام:

١- الأحاديث التي يدلّ ظاهرها على أنّ كلّ نهضة قبل النهضة العالمية للإمام المهديّ صلوات الله عليه باطلة، كالحديث الآتي:

روى أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت يُعبد من دون الله عز وجل»^(٢).

٢- الأحاديث التي أشارت إلى علامة أو علامات ظهور القائم عجل الله فرجه، وأكدت أنّ المسلمين لا يسعهم النهوض ضدّ الظالمين قبل بروز هذه العلامات.

نقل سدير عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«ياسدير، الزم بيتك وكن حلساً من أحلاسه، واسكن ما سكن الليل والنهار،

(١) صحيفة النور: ٢١ / ٩١ - ٩٣، نداء الإمام الخميني إلى علماء البلاد بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٩٥ / ٤٥٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٤٣ / ٥٨، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٧ / ٦، غيبة النعماني:

٩ / ١١٤ وفيه «عن الإمام الباقر عليه السلام».

فإذا بلغك أن السفيناني قد خرج فارحاً إلينا ولو على رجلك»^(١).

٣- الأحاديث التي تدلّ على أن كلّ ثورةٍ لإقامة الحكومة الإسلامية قبل ظهور الإمام المهديّ ﷺ لا تُثمر شيئاً، وأنّ الثائرين سيُبادون من قِبَل المتجبرين. روي عن الإمام عليّ بن الحسين ﷺ أنّه قال:

«والله لا يخرج واحد منّا قبل خروج القائم ﷺ إلّا كان مثله مثل فرخ طار من وكرة قبل أن يستوي جناحاه، فأخذه الصبيان فعبثوا به»^(٢).

٤- الأحاديث التي ترى أن العمل بالتقيّة ضروريّ حتّى خروج القائم أرواحنا فداه.

روى الحسين بن خالد عن الإمام الرضا ﷺ أنّه قال:

«لا دينَ لمن لا ورعَ له، ولا إيمانَ لمن لا تقيّةَ له، إنّ أكرمكم عند الله أعلمكم بالتقيّة». قيل: يا بن رسول الله، إلى متى؟ قال: «إلى قيام القائم. فمن ترك التقيّة قبل خروج قائمنا فليس منّا»^(٣).

يفيد مفهوم هذا الحديث - كما يبدو - أنّ على المسلمين في عصر غيبة الإمام المهديّ أرواحنا فداه أن يُسالموا كلّ مجرم يُمسك بزمام أمورهم ولا يعارضوه! أي: يصل الحديث المذكور إلى نفس النتيجة التي وصلت إليها الأحاديث الموضوعة في فصل الإمامة تماماً! والفرق الوحيد بينها أنّ تلك الأحاديث تدعو الناس بصراحة إلى مساومة الظالمين دائماً، وهذه الأحاديث توصيهم بمصانعتهم إلى أجلٍ غير مسمى

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٤ / ٣٨٣، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٧٠ / ١٦١، و: ٣٠٣ / ٦٩، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦ / ٣. وانظر أيضاً ٥١ و ٧٥ و ٨ و ١٤ و ١٦.

(٢) الكافي: ٨ / ٢٦٤ / ٣٨٢، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٣ / ٦٨، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦ / ٢.

(٣) وسائل الشيعة: ١١ / ٤٦٦ / ٢٥، كمال الدين: ٣٧١ / ٥، كفاية الأثر: ٢٧٠، إعلام الوري: ٤٠٨، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٢١ / ٢٩، مشكاة الأنوار: ٤٢، كما في وسائل الشيعة مع قليل من الإضافات.

خلال تذكيرهم بعقم المواجهة، بيد أنها يشتركان في شيء واحد، وهو أن الناس غير مكلفين بإقامة الحكومة الإسلامية.

إن الأحاديث الموضوعة في فصل الإمامة عن الإسلام بادية الوضع إلى درجة تستغني فيها عن كل بيان، فالتعرف وحده على مضمونها - لمن له أدنى معرفة بالقرآن وأصول الإسلام - يكفي لإثبات وضعها. أمّا الأحاديث الموضوعة في تحريف أصل الإمامة فهي غير واضحة وضوح التي قبلها، بل يمكن أن نقول جازمين: بعضها غير موضوع.

إن دراسة مفصلة لهذه الأحاديث من حيث صحتها وخطئها، وكذلك توضيح هدفها الحقيقي بالنظر إلى النصوص الإسلامية، يتطلبان مجالاً آخر.

لكننا نستطيع أن نجيب المحرّفين بنحوٍ مجمل مع التوجّه إلى النقاط الآتية:

١- أن أكثر الأحاديث القابلة للاستغلال من أجل التحريف مقدوحة السند، وصدورها عن الأئمة المعصومين عليهم السلام غير ثابت^(١).

٢- عندما نضع كثيراً من هذه الأحاديث - بل جميعها - إلى جانب أحاديث أخرى تدور حول الثورات التي تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام ضدّ الحكومات الجائرة يتبيّن لنا أن الهدف ليس تخطيطاً كافّة الثورات قبل ظهوره، بل تخطيط الثورات التي تنطلق من الهوى فحسب، ككثير من الثورات التي حدثت في عصر الأئمة عليهم السلام وأخفقت.

على سبيل المثال، لو وضعنا الحديث الذي ينصّ على أن «كلّ راية تُرفع قبل قيام القائم عليه السلام فصاحبها طاغوت» إلى جانب الأحاديث التي تدعم خروج زيد^(٢) لعرفنا أن المقصود هو نفس ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث مشابه. قال عليه السلام:

(١) انظر دراسات في ولاية الفقيه: ١/ ٢٥٦، ٢٥٥.

(٢) انظر وسائل الشيعة: ١١/ ٣٥.

«إنه ليس من أحد يدعو إلى أن يخرج الدجال إلا سيجد من يبايعه، ومن رفع راية ضلالة فصاحبها طاغوت»^(١).

يلاحظ في هذا الحديث أن راية الطاغوت وضعت بأنهاراية ضلالة وهذه القرينة يمكن أن تستخدم في تفسير الحديث السابق أيضاً. وهكذا يتضح لنا أن القصد ليس إلا تحذير الناس من الثورات التي تنطلق من حب الجاه والسلطة.

٣- هب أن جميع الأحاديث الواردة في عقم الخروج لإقامة الحكومة الإسلامية قبل ظهور الإمام القائم عليه السلام وإدائته صحيحة السند لا إشكال فيها من حيث الدلالة على هذا الموضوع، بيد أنها لا يمكن أن تكون معياراً للعمل في مسألة إقامة الحكومة الربانية وهداية الأمة الإسلامية وقيادتها، بسبب تعارض مفهومها ومدلولها مع الحكم البديهي القاطع للعقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وأيضاً مع الأحاديث التي أيدت بعض الثورات، وينبغي أن نقول: إنها صدرت من وحي التقيّة ومراعاة أصول العمل السريّ.

مقارعة الظلم واجب عقليّ

إن قُبِحَ الظلم وحُسن العدل من البديهيّات العقلية التي يرضاها كلّ عقل سليم. وفي ضوء ذلك تصبح مقارعة الظلم والتمهيد لتطبيق العدل في المجتمع من واجبات العقل البديهية الثابتة. من هنا لا يمكن النصح بالصبر على الظلم ومساومة الظالمين بأيّ دليلٍ كان.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله في سقم الأحاديث التي توحى بشيء يخالف العقل:

«إذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به، وإذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر

منه أشعاركم وأبشاركم وترون آتة منكم بعيد فأنا أبعدكم منه»^(١).

وقال في حديث آخر:

«ما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت له قلوبكم وعرفتكم فاقبلوه، وما اشمازت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله وإلى الرسول وإلى العالم من آل محمد»^(٢).

ليس في هذين الحديثين إلا الإرشاد إلى حكم العقل البديهي القاطع. بعبارة أخرى: حتى لو لم تكن عندنا هذه الأحاديث فإنّ العقل السليم يحكم برفض الأحاديث السقيمة ويوصي بعدم اتّخاذها ملاكاً للعمل.

إنّ النقطة اللافتة للنظر هي أنّ الحديث الأوّل يؤكّد أنّ الموضوعات التي يدرك العقل بطلانها بجلاء لا يمكن أن تكون من الكلام النبويّ في شيء، بيد أنّ الحديث الثاني - مع تحريره العمل بمثل هذه الأحاديث - يوضّح أنّ السامع يمكن أن لا يدرك القصد الحقيقيّ للحديث في بعض الحالات، فيخاله سقيماً. من هنا، لا يتسنّى لنا أن نقول: كلّ حديث يحسبه الإنسان مخالفاً للعقل مرفوض، بل ينبغي الرجوع إلى أهله لفهم المقصود الحقيقيّ منه.

التعارض مع القرآن الكريم

ما من دينٍ اهتمّ بمقارعة الظلم والظالمين ونادى بالعدالة الاجتماعيّة كالإسلام، ويرى القرآن الكريم أنّ أحد الأهداف المهمّة لرسالة الأنبياء ﷺ هو تطبيق العدالة

(١) مسند ابن حنبل: ٩/١٥٤/٢٣٦٦٧، و: ٥/٤٣٤/١٦٠٥٨، تفسير ابن كثير: ٣/٤٨٦، كنز العمال: ٩٠٢/١٧٩/١.

(٢) الكافي: ١/٤٠١/١، بصائر الدرجات: ٢١/١، الخرائج والجرائح: ٢/٧٩٣/١، مختصر بصائر الدرجات: ١٠٦، بحار الأنوار: ٢/١٨٩/٢١.

الاجتماعية. قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١).

ولا سبيل لتطبيق العدالة الاجتماعية إلا بمقارعة الظلم والظالمين.

من هنا يذكر القرآن الكريم أنّ أحد أهدافه الأخرى إنذار الظالمين:

﴿وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّبَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾^(٢).

وبلغ هذا الكتاب السماوي في مقارعة الظلم مبلغاً أنّه حظر كلّ ركون إلى الظالمين ومنع كلّ عون لهم، وجعل على ذلك عقاباً صارماً:

﴿وَلَا تَزْكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٣).

في ضوء ذلك، نلاحظ أنّ الأحاديث التي تدعو الناس إلى الصبر والسكوت على الظلم ومساومة الظالمين لا يمكن أن تكون ملاكاً للعمل، بسبب تعارضها مع القرآن الكريم.

وكان النبي ﷺ والأئمة المعصومون عليه السلام يوصون دائماً بعرض الأحاديث على القرآن الكريم لمعرفة صوابها واعتبارها، وإذا ورد فيها ما يخالفه فلا يقام له وزن. قال رسول الله ﷺ:

«ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»^(٤).

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) الأحقاف: ١٢.

(٣) هود: ١١٣.

(٤) الكافي: ٥/٦٩/١، المحاسن: ٧٢٧/٣٤٨/١، تفسير العياشي: ١/٨/١، وسائل الشيعة: ١٨/٧٩/١٥.

بحار الأنوار: ٢/٢٤٤/٤٩.

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«مالم يوافق من الحديث القرآن فهو زُخرف»^(١).

التعارض مع سيرة الأئمة

إنَّ أحد المعايير الدقيقة الأخرى التي يمكن الاعتماد عليها في معرفة الأحاديث الموضوعية والمفاهيم الإسلامية المحرّفة هو سيرة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام. فلو نقل كلام عن النبي أو الإمام أو فُسر بنحوٍ يتعارض فيه مع عملهم فإنّه مختلق وتفسيره محرّف.

وتدلّ دراسة حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام على أنّهم لم يداهنوا الحكومات الباطلة أقلّ مدهانة، بل وقفوا أمامها بكلّ وجودهم.

وكانوا يتحتّون الفرص للانقضاء عليها وإقامة الحكومة الإسلامية هداية المجتمع البشري وإن لم تفلح جهودهم في تحكيم العدالة بسبب الظروف الاجتماعية غير المؤاتية.

ومن الشيء العُجاب أنّ قسماً من هذه الأحاديث التي تأمر الناس بالصبر والسكوت روي عن أمير المؤمنين عليه السلام^(٢)، في حين يعلم كلّ من كان له أدنى اطلاع على تاريخ هذا الإمام العظيم أنّه لم يأل جهداً في مقارعة القوى الباطلة وإقامة حكومة الحق، وهو يدرك جيّداً أنّ جهوده سوف لا تثمر شيئاً في تلك الأوضاع القائمة

(١) الكافي: ٤/ ٦٩/ ١، تفسير العيّاشي: ٤/ ٩/ ١، المحاسن: ١/ ٣٤٧/ ٧٢٥، وسائل الشيعة: ١٨/ ٧٨/ ١٢، بحار الأنوار: ٢/ ٢٤٢/ ٣٧.

(٢) كما جاء في الخطبة ١٩٠ من نهج البلاغة: «الزموا الأرض واصبروا على البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم في هوى ألسنتكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجله الله لكم، فإنّه من مات منكم على فراشه وهو على معرفة حقّ ربّه وحقّ رسوله وأهل بيته مات شهيداً، ووقع أجره على الله، واستوجب ثواب ما نوى من صالح عمله، وقامت النية مقام إصلاته لسيفه، وإنّ لكلّ شيء مدّة وأجلاً».

يومئذٍ.

روى السيد ابن طاووس أَنَّ الإمام عليه السلام كان مع أصحابه ذات يومٍ فسمع ضوضاء، فقال: ما هذا؟

قالوا: هلك معاوية.

ومن الطبيعي أَنْ خبراً كهذا لا بدّ أَنْ يحظى بأهميّة فائقة، لأنّ أكبر عدوّ للإسلام والإمام والحكومة الإسلاميّة قد هلك، وتكفي إشاعته وحدها أَنْ تُسرّ كلّ سامع. بيدَ أَنْ القوم اندهشوا إذ لم يلمحوا أيّ سرورٍ على مُحيّا إمامهم فقد نطق بهذه الكلمات المرّة بكلّ هدوء:

«كلّا، والذي نفسي بيده لا يموت حتّى يجتمع هذا الأمر في يده».

وكان هذا الكلام الذي أخبر به الإمام عن المستقبل بعد تلك الإشاعة المفرحة كالماء البارد، إذ أخذ جذوة الأمل التي كانت قد اتّقدت في قلوب أناس حاربوا إلى جانب إمامهم عدد سنين رجاء النصر، فلم يبق مجال للكلام. والمسألة المهمّة الوحيدة التي كانت تدور في خلد من سمع كلامه عليه السلام هي أَنْ من يعلم بعقم جهوده في حرب دمويّة خطيرة ويعرف أَنَّ النصر سيكون لعدوّه كيف يبذل مساعيه كلّها في تلك الحرب ويدعو الناس إلى قتال معاوية؟!

ومزّق الصمت أحد الحاضرين فسأل الإمام عليه السلام عن جدوى القتال إذا كان يعلم أَنَّ النصر سيكون لمعاوية وأنه سيمسك بزمام الأمور وقال: فعلى ما تقاتله؟!

وأجابه الإمام عليه السلام بكلام رائع يعدّ ميثاقاً خالداً لأتباع الإسلام الأصيل. قال عليه السلام:

«ابلى عذراً فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ»^(١).

أي: أنا أعلم أَنَّ معاوية سيقبض على مقاليد الأمور، ولكن هذا لا يدعوني إلى

أَنْ أَتَصَلَّ عَنْ مَسْئُولِيَّتِي فِي مَقَارَعَةِ الظَّالِمِينَ. كَلَّا، فَمَا دَامَ النَّاسُ يَطِيعُونَنِي، وَمَا دُمْتُ قَادِرًا عَلَى الْجِهَادِ، فَإِنَّ عَلَيَّ قِتَالَهُمْ، لَكِي أُعْذِرَ مِنْ نَفْسِي أَمَامَ اللَّهِ تَعَالَى إِذْ أَدَيْتَ مَا عَلَيَّ.

وفي ضوء ذلك، واصل الإمام عليه السلام جهاده في قتال الظالمين حتَّى الأيام الأخيرة من حياته الحافلة بالجهاد والنضال.

قال ابن أبي الحديد:

«خطب أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الخطبة بعد فراغه من أمر الخوارج، وقد كان قام بالنهر وان، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ نَصْرَكُمْ، فَتَوَجَّهُوا مِنْ فُورِكُمْ هَذَا إِلَى عَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، نَفَدْتَ نَبَالَنَا، وَكَلَّتْ سِيوفُنَا، وَانصَلَّتْ أَسْنَتُ رِمَاحِنَا، وَعَادَ أَكْثَرُهَا قِصْدًا. أَرْجِعْ بِنَا إِلَى مِصْرَ نَسْتَعِذُّ بِأَحْسَنِ عِدَّتِنَا. وَلَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَزِيدُ فِي عِدْدِنَا مِثْلَ مَنْ هَلَكَ مِنَّا، فَإِنَّهُ أَقْوَى لَنَا عَلَى عَدُوِّنَا.

فَكَانَ جَوَابُهُ عليه السلام [آيَةُ كَرِيمَةٍ تَتَحَدَّثُ عَنْ إِصْرَارِ مُوسَى عليه السلام عَلَى قَوْمِهِ أَنْ يَحَارِبُوا عَدُوَّ الْحَقِّ وَيَسْخَرُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ وَهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا]: هَيَّا قَوْمَ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ^(١).

فَتَلَكَّأُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: إِنَّ الْبَرْدَ شَدِيدٌ. فَقَالَ: إِنَّهُمْ [عَدُوِّكُمْ] يَجِدُونَ الْبَرْدَ كَمَا تَجِدُونَ.

فَتَلَكَّأُوا وَأَبَوْا، فَقَالَ: أَفْ لَكُمْ، إِنَّهَا سَنَةٌ جَرَتْ. ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى [الَّذِي يَعْزِرُ

عن الجواب السلبي الذي أجاب به قوم موسى عندما دعاهم إلى المسير نحو الأرض المقدسة: «قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدَخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ»^(١).

فقام منهم ناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، الجراح فاشية في الناس، فارجع إلى الكوفة، فأقم بها أياماً ثم اخرج. خار الله لك، فرجع إلى الكوفة عن غير رضا^(٢).

ومع أن الإمام - بعد رجوعه إلى الكوفة - كان في الأيام الأخيرة من عمره الشريف، وكان يكثر من الإخبار عن استشهاد الوشيك، لكنه كان يصبر إصراراً كبيراً على إعداد المسلمين لقتال معاوية ويقول: قاتلوا معاوية بعدي مع كل إمام! وأخيراً، عبأ جيشه للجهاد من خلال خطبة حماسية مهيّجة، قبل استشهاده بأسبوع تقريباً. ومن الذين عقد لهم الألوية في تلك التعبئة العامة: ولده الإمام الحسين عليه السلام، وقيس بن سعد، وأبو أيوب الأنصاري، وأمر كلاً منهم على عشرة آلاف، وهكذا عزم عليه على الرجوع إلى صفين، بيد أنه استشهد بسيف الجهل الذي ضربه به ابن ملجم قبل انتهاء ذلك الأسبوع المصيري^(٣).

أجل، لم يبذل أمير المؤمنين عليه السلام جهوده لمقارعة الظالمين والغاصبين لحكومة الحق والعدل فحسب، بل لم يتردد لحظة واحدة في سبيل إقرار الحكومة الإسلامية العالمية. وانتهج الأئمة عليهم السلام سيرته بعده أيضاً. وأفضل دليل معبر عن ذلك هو أنهم استشهدوا جميعهم على أيدي حكام عصورهم^(٤).

(١) المائدة: ٢٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٩٢/٢.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة: ٩٩/١٠ فما بعدها.

(٤) انظر بحار الأنوار: ٢٧/٢٠٧/الباب ٩ «...إنهم لا يموتون إلا بالشهادة».

ومن البديهي أنهم لو لم يمارسوا نشاطاً سياسياً ولم ينبهوا للمستكبرين المتسلطين فلا داعي لاستشهادهم جميعاً. وبالنظر إلى أن التظاهر بالإسلام كان من أهم الأساليب التي استخدمها حكام الجور يومذاك وأن قتل أولاد رسول الله ﷺ كان يُنزل أكبر ضربة بسياستهم فلا ريب أنهم لولا شعورهم بالخطر على حكوماتهم لما ارتكبوا مثل هذا الخطأ.

التعارض مع أحاديث القيام

أشرنا في بداية هذا الفصل إلى أن إدانة الثورات التي تقوم قبل حكومة الإمام المهدي ﷺ - كما جاء في الأحاديث السابقة - تتعارض مع حكم العقل وتخالف القرآن وسيرة الأئمة ﷺ.

ونضيف إليه الآن أنها تتعارض أيضاً مع الدلالة الصريحة لقسم آخر من الأحاديث.

ويمكن تقسيم هذه الأحاديث إلى ثلاثة أقسام:

الأول: الأحاديث الواردة في وجوب الثورة على الظالمين عند الإمكان، وعدم الانقياد لمطالبهم غير المشروعة. وفيما يأتي نماذج منها:

١- كان رسول الله ﷺ يحدث جماعة من أصحابه عن الحوادث المرة التي ستقع بعده، ويخبرهم أن السلطان سيفترق عن القرآن الكريم في المستقبل. وطلب منهم أن يدوروا مع القرآن حيث دار. وقال: وستكون عليكم أئمة إن أطعتموهم أضلّوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم!

قالوا: فكيف نصنع يا رسول الله؟

قال ﷺ:

«كونوا كأصحاب عيسى نُصبوا على الخشب ونُشروا بالمنشير، موت في

طاعة خير من حياة في معصية»^(١).

٢- روى أبو عطاء أَنَّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أقبل عليهم يوماً وهو محزون يتنفس ، فقال :

« كيف أنتم وزمانٌ قد أظلمكم ؟ تُعطل في الحدود ، ويُتخذ المال فيه دُولاً ، ويُعدى [فيه] أولياء الله ، ويؤالي فيه أعداء الله !! » .

قلنا : [يا أمير المؤمنين] فإن أدركنا ذلك الزمان فكيف نصنع ؟ قال :

« كونوا كأصحاب عيسى عليه السلام ، نُشروا بالمنابر و صُلبوا على الخُشب . موت في طاعة الله عز وجل خير من حياة في معصية الله »^(٢) .

٣- روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قال :

« سيكون أمراء تعرفون وتكفرون^(٣) ، فمن نابذهم نجا ، ومن اعتزلهم سَلِم ، ومن خالطهم هلك »^(٤) .

٤- قال سدير الصيرفي: دخلت على أبي عبدالله (الإمام الصادق) عليه السلام فقلت له : والله ما يسعك القعود !

فقال : ولم يا سدير ؟

قلت : لكثرة مواليك وشيعتك وأنصارك . والله لو كان لأمير المؤمنين عليه السلام ما لك من الشيعة والأنصار والموالي ما طمع فيه تيم ولا عدي .

(١) كنز العمال: ١ / ٢١٦ / ١٠٨١ ، المعجم الكبير: ٢٠ / ٩٠ / ١٧٢ ، المعجم الصغير: ١ / ٢٦٤ ، مجمع الزوائد:

٩١٥٣ / ٤١٠ / ٥ .

(٢) نهج السعادة: ٢ / ٦٣٩ / ٣٤٥ .

(٣) يمكن أن تكون هذه الجملة إشارة إلى ما جاء في أحاديث أخرى: «ستكون عليكم أمراء من بعدي يأمرونكم بما لا تعرفون ويعملون بما تنكرون...» .

(٤) المعجم الكبير: ١١ / ٣٣ / ١٠٩٧٣ ، الجامع الصغير: ٢ / ٦٤ / ٤٧٨١ .

فقال: يا سدير، وكم عسى أن يكونوا؟

قلت: مائة ألف.

قال: مائة ألف؟!

قلت: نعم، ومائتي ألف.

قال: مائتي ألف؟!

قلتُ: نعم، ونصف الدنيا!

قال: فسكت عني، ثم قال: يَخَفُ عليك أن تبلغ معنا إلى ينبع^(١).

قلت: نعم... ونظر إلى غلام يرعى جداء، فقال: والله يا سدير، لو كان لي شيعة

بعدد هذه الجداء ما وسعني القعود!

ونزلنا وصلينا فلما فرغنا من الصلاة، عطفت على الجداء فعددتها، فإذا هي سبعة

عشر^(٢).

٥- روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:

«إذا اجتمع للإمام عدة أهل بدر - ثلاث مائة وثلاثة عشر - وجب عليه القيام

والتغيير»^(٣).

الثاني: الأحاديث المؤيدة لبعض الثورات في عصر الأئمة عليهم السلام، كالأحاديث

التي قدّست ثورة زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام، وثورة الحسين بن عليّ شهيد فتح^(٤)

(١) منطقة في أطراف المدينة.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٤٢ / ٤، بحار الأنوار: ٤٧ / ٣٧٢ / ٩٣، المحجة البيضاء: ٤ / ٣٦٦.

(٣) بحار الأنوار: ١٠٠ / ٤٩ / ١٨، مستدرک الوسائل: ١١ / ٧٨ / ٧، دعائم الإسلام: ١ / ٣٤٢ وفيه «للإسلام»

بدل «للإمام» وهو تصحيف.

(٤) فتح - بفتح الفاء وتشديد الخاء -: بئر بين التعميم وبين مكة، وبينه وبين مكة فرسخ تقريباً. والحسين هو

الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسين بن عليّ عليه السلام، وأمه زينب بنت عبد الله بن الحسن، خرج في

ودَعَمَتَهما.

جاء في حديث نقل عن الإمام الصادق عليه السلام بسند صحيح، أنه أدان بعض الثورات غير الصحيحة في عصره، وأيد ثورات أخرى كثورة زيد، فقال:

«لا تقولوا: خرج زيد، فإن زيدا كان عالماً وكان صدوقاً، ولم يذعكم إلى نفسه، إنما دعاكم إلى الرضا من آل محمد عليه السلام، ولو ظهر لوفى بما دعاكم إليه، إنما خرج إلى سلطان مجتمع لينفضه»^(١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام في شخصيّة زيد:

«إنه كان من علماء آل محمد عليه السلام غضب الله عز وجل فجاهد أعداءه حتى قُتل في سبيله. ولقد حدثني أبي موسى بن جعفر عليه السلام أنه سمع أباه جعفر بن محمد عليه السلام يقول: رحم الله عتي زيدا، إنه دعا إلى الرضا من آل محمد. ولو ظفر لوفى بما دعا إليه»^(٢).

وجاء في خبر آخر أن كلاماً دار عند الإمام الصادق عليه السلام حول الثائرين من أهل بيت الرسالة، فقال:

«لا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد عليه السلام، ولوددت أن الخارجي من آل محمد عليه السلام خرج وعلي نفقة عياله»^(٣).

ثمّة نقطتان مهمّتان نستشقهما من هذه الأحاديث:

١- المقصود من الأحاديث التي تخطئ الثورات القائمة قبل ظهور قائم آل محمد عليه السلام

﴿أيام موسى الهادي بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور، وخرج معه جماعة كثيرة من العلويين، وكان خروجه بالمدينة في ذي القعدة سنة ١٦٩ هـ بعد موت المهدي بمكة وحكومة الهادي ابنه. (مرآة العقول: ٤ / ١٥١)، وانظر: تاريخ الطبري: ٨ / ١٩٢، مقاتل الطالبين: ٣٧٦، قاموس الرجال: ٣ / ٤٩١ / ٢٢٠٧.

(١) الكافي: ٨ / ٢٦٤ / ٣٨١، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٦ / ١، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٠٢ / ٦٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١ / ٢٤٩ / ١، بحار الأنوار: ٤٦ / ١٧٤ / ٢٧.

(٣) مستطرات السرائر: ٤٨ / ٤، بحار الأنوار: ٤٦ / ١٧٢ / ٢١، وسائل الشيعة: ١١ / ٣٩ / ١٢.

هي الثورات التي تنطلق من الهوى .

٢- ليس من الضروري لإثبات شرعية الثورة أن يعلم الناصر علم اليقين أنه سيفلح في تشكيل حكومة الحق، بل يكفي لإثباتها كسر هيبة الحكام الجائرين وأبتهتهم أو إشغال أذهانهم سياسياً وعسكرياً للحؤول دون فرض قيادتهم على المجتمع الإسلامي.

الثالث: الأحاديث التي أخبرت عن قيام ثورة ناجحة قبل ظهور وليّ العصر أرواحنا فداء، وجعلتها ممهدة لظهوره، ولعالمية الثورة الإسلامية.

ونشير فيما يأتي إلى اثنتين منها:

١- روي عن النبي ﷺ أنه قال :

«يخرج ناسٌ من المشرق فيوطنون للمهدي - يعني سلطانه»^(١).

٢- نُقل عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال :

«كأنّي يقوم قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحق فلا يُعطونه، ثم يطلبونه فلا يُعطونه، فإذا رأوا ذلك وضعوا سيوفهم على عواتقهم فيعطون ما سأله فلا يقبلونه حتى يفوموا، ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم، قتلاهم شهداء، أما إني لو أدركتُ ذلك لاستبقيتُ نفسي لصاحب هذا الأمر»^(٢).

نقل العلامة النعمانيّ هذا الحديث في كتاب «الغيبة» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام. وهو أحد علماء القرن الثالث الهجريّ ومحدثيه، وقد تعهّد في مقدّمة كتابه المذكور أن ينقل فيه الأحاديث التي يطمئنّ إلى صحتها، وهو نفسه سمعها من شيوخه الثقات.

(١) سنن ابن ماجه: ٢/ ١٣٦٨ / ٤٠٨٨، المعجم الأوسط: ١ / ٩٤ / ٢٨٥ وفيه «يخرج قوم من قبل المشرق

فيوطنون للمهدي سلطانه»، كنز العمال: ٣٨٦٥٧ نقلاً عن سنن ابن ماجه، مجمع الزوائد: ٧ / ٦١٧ / ١٢٤١٤

نقلاً عن المعجم الأوسط، كشف الغمّة: ٣ / ٢٦٧، بحار الأنوار: ٥١ / ٨٧ وكلاهما كما في سنن ابن ماجه.

(٢) غيبة النعماني: ٢٧٣ / ٥٠، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٤٣ / ١١٦.

وإذا نظرنا إلى الحوادث التي ترتبط بانتصار الثورة الإسلامية في إيران فإنّ الحديث المأثور عن الإمام الباقر عليه السلام يعدّ من معجزاته عليه السلام، ويبدو أنّه قد توسّم الوقائع الآتية:

- ١- انتفاضة الشعب الإيرانيّ البطل في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣ م.
- ٢- ثورة الحادي عشر من شباط سنة ١٩٧٩ م.
- ٣- إعلان النظام الملكيّ في اللحظات الأخيرة من عمره المطلّخ بالعار عن توبته واستسلامه لمطالب الشعب.
- ٤- رفض الشعب كلّ شيء إلّا القضاء على النظام.
- ٥- انتصار ثورة الشعب الإيرانيّ ضدّ الشاه.
- ٦- تشكيل النظام الجمهوريّ الإسلاميّ في إيران.
- ٧- بقاء النظام الجمهوريّ الإسلاميّ حتّى الثورة العالميّة للإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه.
- ٨- عدّ الاشتباكات التي رافقت مسيرة الثورة الإسلاميّة جهاداً في سبيل الله، وعدّ قتلها شهداء.
- ٩- تحقّق انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران قريباً من عصر ظهور الإمام المهديّ عليه السلام.

وفيما يأتي تفصيل النبوءات المذكورة:

قال الإمام عليه السلام في مستهلّ حديثه:

أ- «كَأَنِّي بِقَوْمٍ قَدْ خَرَجُوا بِالشَّرْقِ يَطْلُبُونَ الْحَقَّ»:

تمثّل هذه الجملة نبوءة بقيام ثورة إسلاميّة في الشرق مستقبلاً، لأنّ الإمام عليه السلام يخبر بخروج قوم بالشرق على نظامهم المتسلّط عليهم، وهدفهم هو طلب الحقّ منه.

ومن البديهي أن الحق عند الإمام عليه السلام ليس إلا الإسلام.

وعلى الرغم من أنه عليه السلام قد ذكر أن مكان الخروج هو الشرق، ولم يذكر «إيران» على وجه التحديد بيد أن القرائن الموجودة في سائر الأحاديث^(١) تفيد أن الشرق هو «إيران».

ب - «فلا يُعطونه»:

نلاحظ أن الإمام عليه السلام بعد أن يُنبتى بقيام ثورة إسلامية في الشرق يقول: يستنع حكّام النظام المتسلّط عن إعطاء الحقّ لهؤلاء القوم الذين خرجوا من أجله.

وإذا نظرنا إلى الفقرات التي تلي تلك الفقرة في كلام الإمام عليه السلام فإنّ الفقرة المذكورة تنطبق على انتفاضة الشعب الإيراني المسلم في الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣ م بقيادة الإمام الراحل رضوان الله عليه، ولم يطرح موضوع الإطاحة بالنظام الملكي يومئذٍ، كما أن الأرضية كانت غير ممهّدة لذلك. وإنّما كان الهدف آنذاك هو إجبار النظام على إقامة الحقّ بأبعاده المختلفة، وتحكيم الإسلام بمفهومه الحقيقيّ. وأذكر أن الإمام عليه السلام قال للشاه في أحد خطاباتهِ التي ألّاها في بدء نهضته يومذاك: «أنا لا أقول: دَع الحكم، بل أقول: ابقَ في الحكم، ولكن كن سيّداً ولا تكن عبداً ذليلاً واعمل بالإسلام»^(٢).

لم يدعن النظام لذلك، ولم يستجب لمطالب الجماهير الثائرة بقيادة الإمام، فولدت انتفاضة الخامس من حزيران عام ١٩٦٣ م بعد اعتقال القائد.

وارتكب النظام مذبحه رهيبة استطاع من خلالها أن يكّم الأفواه ويُخرس الألسن لمُدّة، ولو كانت قصيرة.

(١) انظر كتابنا تداوم انقلاب اسلامي ايران (استمرار الثورة الإسلامية في ايران).

(٢) هذه هي سيرة الأنبياء جميعهم، إذ يرشدون مخالفيهم في البداية بأسلوب مرّن ناصح. ولذا خاطب تعالى موسى وهارون عليه السلام أن يدعوا فرعون بنفس الأسلوب فقال: «فقلوا له قولاً ليّنّاً لعلّه يتذكّر أو يخشى» (طه: ٤٤).

ج - «ثُمَّ يَطْلُبُونَهُ فَلَا يُعْطُونَهُ»:

تستعمل «ثُمَّ» في اللغة العربية للتراخي. يقول الإمام عليه السلام: «ثُمَّ يَطْلُبُونَهُ» أي إنّ هؤلاء القوم يثورون مرّة أخرى بعد مضيّ مدّة على ثورتهم الأولى، وفي هذه المرّة لا يستسلم حكام النظام لمطالبهم في بادئ الأمر.

تشير هذه الفقرة إلى ثورة الشعب الإيراني في ١١ شباط، حيث لم يرضخ النظام لمطالب الشعب في البداية، وعزم على قمع الثائرين كما فعل في انتفاضة ٥ حزيران سنة ١٩٦٣ م، فأمر الشعب بوابل من نيران رشاشاته بقسوة وعنفٍ قليل النظر، وقتل عشرات الآلاف وعوّق مثلهم عدداً.

د - «فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ وَضَعُوا سِيوفَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ»:

بيد أنّ الشعب قرّر أن يُسقط النظام هذه المرّة بقيادة الإمام وقيم الجمهورية الإسلامية، مع أنّه كان أعزل والنظام مُدجّج في السلاح، إلّا أنّه عزم على مواجهته برعاية الله تعالى وقيادة الإمام الصلبة. وتشير الفقرة المذكورة إلى هذه المرحلة من مراحل الثورة.

هـ - «فَيُعْطُونَ مَا سَأَلُوا»:

عندما أحسّ النظام الشاهنشاهيّ بعزم الشعب على إسقاطه وشعر بعجزه عن مواجهته لم يَرِ بُدّاً من التسليم، وهنا أعلن الشاه عن توبته في وسائل الإعلام، ووعد بعدم تكرار أخطائه، واستعدّ لتنفيذ ما أَرادَه الشعب من العدالة والحريّة والإسلام. وتومئ الفقرة السابقة إلى هذه المرحلة من حيرة النظام الملكيّ واستسلامه.

و - «فَلَا يَقْبَلُونَهُ حَتَّى يَقُومُوا»:

لا ينخدع الشعب لأنّه يرى الأرضيّة بقيادة الإمام موطّئة تماماً لسقوط النظام، فوجّه حربته الحادّة نحوه هذه المرّة، وأنزل ضربته الأخيرة بكيانه الهشّ المستهزئ وجذوره المتعفّنة المتمدّدة إلى ألفين وخمسمائة سنة، وأقام حكومة مبنية على أسس

إسلاميّة في ١١ شباط سنة ١٩٧٩ م.

ز - «ولا يدفعونها إلّا إلى صاحبكم»:

تشير هذه الفقرة إلى استمرار الثورة الإسلاميّة حتّى ظهور بقيّة الله ﷺ وتأسيسه حكومة إسلاميّة عالميّة ، لأنّ الإمام ﷺ يقول: إنّ الشعب الذي أسقط النظام وأقام الحكومة الإسلاميّة لا يسلم أمر حكومته إلّا لصاحبكم، وهو بقيّة الله الأعظم.

ح - «قتلهم شهداء»:

يتنبأ الإمام ﷺ في هذه الفقرة من كلامه أنّ مصادمات هذا الشعب واشتباكاته مع مخالفيه منذ بداية الثورة حتّى ظهور إمام العصر والزمان ﷺ هي لله وفي سبيل الله ، من هنا فإنّ قتلاه شهداء كشهداء صدر الإسلام.

ط - «أما إني لو أدركت ذلك لاستبقيت نفسي لصاحب هذا الأمر»:

تدلّ هذه الفقرة على أنّ انتصار الثورة المذكورة يتحقّق قريباً من زمان ظهور الإمام المهديّ ﷺ وحكومته العالميّة.

المخلاصة

☐ لا يقلّ خطر تحريف القيادة على استمرار الثورة الإسلامية عن خطر فصل القيادة عن الإسلام.

☐ القيادة في الإسلام قابلة للتحريف عبر طريقين، الأول: مباشر وجليّ، وهو نتيجة التفسير الغالط للاعتقاد بالإمامة، والآخر: غير مباشر وخفيّ، وهو نتيجة إلحاق عقائد خاطئة بأصل الإمامة تجعله عقيماً.

☐ إنّ أوضح نقطة في فلسفة الاعتقاد بالإمامة هي إقامة الحكومة الإلهية ووحدة القيادة السياسيّة والدينيّة، فإذا فسّرت هذه العقيدة بنحو لا يُفضي إلى مثل هذه الغاية فقد مُنيت بالتحريف.

☐ لا يعني الاعتقاد بالإمامة معرفة الإمام معرفة ذهنيّة أو مودّته مودّة قلبيّة فحسب، بل يعني اتّباع القيادة الربانيّة عملياً، ومراعاة التقوى في الحياة، والعمل لتحقيق القيم الإلهيّة في المجتمع وإقامة الحكومة الإسلامية.

فتفسير أصل الإمامة بمعرفة الإمام ذهنيّاً ومودّته قلبيّاً دون اتّباعه عمليّاً تحريف لهذا الاعتقاد.

☐ تدلّ دراسة تاريخ أهل البيت (عليهم السلام) على أنّ تحريف أصل الإمامة كان موجوداً عند أدعياء التشيع أيضاً. وكان الأئمة (عليهم السلام) يشعرون بخطر هذه الكارثة، فبذلوا قصارى جهودهم لمناهضة التحريف الجليّ الذي طرأ على الاعتقاد بالإمامة من خلال التبيين الدقيق لمواصفات المعتقدين الصادقين بأصل الإمامة، ونبذ أدعياء التشيع المفترين.

☐ إنّ تحريف «التقية» و«الانتظار» و«الدعاء» بنحو غير مباشر ترك بصماته على عقيدة الإمامة أيضاً، وسلب المجتمع الإسلاميّ شعوره بالمسؤوليّة حيال التمهيد لإقامة

الحكومة الإسلامية العالمية.

❏ فصل القيادة وتحريفها الجلي والخفي طرق ثلاثة مهمة تعرقل تحكيم الإسلام في الحياة، وقد استغلّها الساسة المتسلطون على المجتمعات الإسلامية طوال التاريخ لمصلحة أهدافهم السياسية والحؤول دون إقامة الحكومة الإسلامية، متناسباً ذلك مع ظروفهم الزمنية.

❏ استُغْلَ الحديث في تحريف القيادة كما استُغْلَ في فصلها.

❏ تقسم الأحاديث التي استُغْلَتْ في تحريف القيادة إلى أربعة أقسام هي:

- أ - الأحاديث التي أبطلت كلّ ثورة تقوم قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام.
- ب - الأحاديث التي حذّرت المسلمين من الثورة على حكام الجور قبل مشاهدة علامات ظهور الإمام عليه السلام.
- ج - الأحاديث التي نصّت على عقم كلّ نهضة لإقامة الحكومة الإسلامية قبل ظهور الإمام عليه السلام.

د - الأحاديث التي أوجبت التقية حتّى ظهوره عليه السلام.

❏ الاستدلال بالأحاديث الواردة في سلب المسؤولية حيال التمهيد لإقامة حكومة الإسلام العالمية بجانب الصواب للأسباب الآتية:

- أ - أكثر هذه الأحاديث غير مقبولة من حيث السند.
- ب - قسم منها يشير إلى انتفاضات حدثت في عصر صدور الحديث ولم يدعمها أئمة أهل البيت عليهم السلام.

ج - لو فرضنا أنّ جميع الأحاديث المذكورة صحيحة سنداً ودلالةً، لما أمكنها أن تكون معياراً للعمل، بخاصة في موضوع كموضوع القيادة وإقامة الحكومة الربانية - وهو من أهم الموضوعات الإسلامية - بسبب تعارض مدلولها مع حكم العقل والقرآن الكريم وسيرة الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام، وكذلك تعارضها مع الأحاديث التي دعمت بعض الثورات قبل ظهور الإمام المهدي عليه السلام. وينبغي أن نقول: إنّها صدرت من وحي التقية ومراعاة أصول العمل السري.

القسم الرابع

خصائص القيادة

تمهيد

توسّع كثير من العلماء والباحثين المسلمين في شتى حقول المعرفة الإسلامية في خصائص القيادة، ودرسوا هذا الموضوع مفصلاً من وجهات نظر متنوعة، ويمكن تلخيص الخصائص المذكورة في العناوين الأربعة الآتية:

أ - الخصائص البدنية: كالبلوغ، والعقل، وسلامة الأعضاء، والصحة.

ب - الخصائص الروحية والأخلاقية: كالعدالة، والشجاعة، والإرادة القويّة، والحزم، والكرم، وسعة الصدر.

ج - الخصائص الفكرية والعلمية: كالأعلميّة، والوعي السياسيّ، والذكاء الحادّ، وحُسن التشخيص وسرعته.

د - الخصائص العائلية: كطهارة المولد، وطيب العنصر، وحُسن السمعة.

وذكرنا في الأقسام المتقدمة أنّ للإمامة والقيادة موقعاً خاصاً من منظار الإسلام. من هنا فإنّ من يتولّى شؤون المجتمع الإسلاميّ إماماً وقائداً ينبغي أن ينطوي على صفات ذاتية ومكتسبة خاصّة. وهذا ما سنستعرضه في القسم القادم إذ نتوفّر على دراسة أربع عشرة خاصيّة بارزة للقائد وفقاً للرؤية الإسلامية.

الفصل الأول

معرفة الإسلام

إنَّ من أوَّل شروط القيادة في الإسلام معرفة الإسلام بالمفهوم الدقيق للكلمة، والاطِّلاع على أصوله ومبادئه وأحكامه في المجالات الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية المختلفة.

القائد يتحمَّل مسؤوليَّة توجيه الأُمَّة الإسلاميَّة وإرشادها في جميع الميادين. من هنا لا يُكتفى بأن يكون القائد والإمام عارفاً بالإسلام، بل إنَّ أَعلمِيَّته وتفوُّقه في المعرفة أهمُّ شرط في إمامته. قال أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«... أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه وضروب أحكامه وأمره ونهيه، وجميع ما يحتاج إليه الناس»^(١).

بيد أنَّ هذه الأَعلمِيَّة - في أرفع درجات القيادة، وفي مواطن الحاجة - تُفاض على الإمام من منبع الفيض الإلهيِّ بلا واسطة، فتجري بنايع الحكمة من قلبه على لسانه، كما قال الإمام الرضا عليه السلام:

«إنَّ العبد إذا اختاره الله عزَّوجلَّ لأُمور عباده شَرَح صدره لذلك، وأودع قلبه

ينابيع الحكمة، وألهمه العلم إلهاماً، فلم يَغَيَّ بعده بجواب، ولا يحير فيه عن الصواب»^(١).

وقال في رواية أخرى:

«إن الأنبياء والأئمة صلوات الله عليهم يوفّقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه ما لا يؤتونه غيرهم، فيكون علمهم فوق كلّ علم أهل زمانهم»^(٢).

إن معرفة الإسلام في هذا المستوى هي مزية القادة الذين يتّصلون بمبدأ الوحي أو الإلهام اتّصلاً مباشراً، كالأنبياء وخواصّ نوابهم، أمّا في الحقبة التي يحظى فيها الناس بمثل هؤلاء القادة فإنّ معرفة الإسلام تتحقّق للقائد عبر الاجتهاد.

تعريف الاجتهاد

الاجتهاد لغةً هو بذل الوسع لتحقيق شيءٍ لا يتيسّر تحصيله^(٣). أمّا الاجتهاد الذي يشترط في القائد الإسلاميّ فهو القدرة على معرفة رأي الإسلام في المسائل الفرعية^(٤) التي يحتاج إليها المجتمع من خلال البحث في المصادر الإسلامية^(٥). ولما كان تحصيل الأحكام الإلهية عن هذا الطريق مقروناً بالجهد ومشقة البحث فقد سُمّي هذا العمل اجتهاداً.

(١) الكافي: ١ / ٢٠٢ / ١، أمالي الصدوق: ٧٧٨، عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٢١ / ١، غيبة النعماني: ٢٢٣، تحف العقول: ٤٤١.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١ / ٢٢١ / ١، غيبة النعماني: ٢٢٢.

(٣) اجتهد في الأمر: جدّ وبذل وسعه. (المنجد). الاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة. (المفردات للراغب الإصفهاني).

(٤) هذا القيد من أجل إخراج المسائل الاعتقادية.

(٥) تحصيل الحجة على الأحكام الشرعية الفرعية عن ملكة واستعداد (اصطلاحات الأصول: ١٦).

معرفة الموضوع والاجتهاد

النقطة المهمة الجديرة بالانتباه هي أنّ معرفة الموضوع أحد العناصر الحاسمة في الاجتهاد. ومن هنا يمكن أن يكون الفقيه أهلاً للتقليد في المسائل الفردية، لكنّه لا يمتلك كفاءة قيادية بسبب عدم اجتهاده في المسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فالمجتهد الجامع هو الذي يقدر على أن يُبدي رأيه في جميع المسائل التي يحتاج إليها الناس، مع الأخذ بعين الاعتبار عنصرَي الزمان والمكان. قال الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في هذا المجال:

«أنا أؤمن بالفقه التقليدي والاجتهاد الجواهري»^(١)، ولا أُجيز خرق ذلك. والاجتهاد على هذا النهج صحيح، بيد أن هذا لا يعني جمود الفقه الإسلامي، فالزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حكم في الماضي ظاهراً ربّما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية لنظام من الأنظمة. أي: إنّ المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تجعل الموضوع الأول - الذي لم يختلف عما كان عليه في الماضي من حيث الظاهر - موضوعاً جديداً يتطلب حكماً جديداً لا محالة...

إنّ التعرّف على أسلوب مواجهة مكائد الثقافة السائدة في العالم، والتحليّ بالبصيرة والرؤية الاقتصادية، والاطّلاع على كيفية التعامل مع الاقتصاد العالمي، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذي يحتلّه النظام الرأسماليّ والشيوعيّ في العالم، والتعرّف على نقاط قوّتهما وضعفهما إذ هما اللذان يحدّدان استراتيجيّة التسلّط على العالم، كلّ ذلك من مزايا المجتهد الجامع»^(٢).

(١) نسبة إلى الموسوعة الفقهية العظيمة «جواهر الكلام» وهي للمرحوم الشيخ محمّد حسن النجفي. ويريد الإمام ﷺ هنا الاجتهاد على منهج صاحب الجواهر. (المترجم).

(٢) صحيفة النور: ٢١: ٩٨، نداء الإمام إلى علماء البلاد ومراجع المسلمين بتاريخ ١٤٠٩ هـ.

الخلاصة

☐ تلخّص شروط القيادة في الإسلام في أربعة عناوين:

- أ - خصائص بدنيّة. ب - خصائص أخلاقيّة. ج - خصائص فكريّة. د - خصائص عائليّة.

ويتناول القسم الرابع من هذا الكتاب أربعة عشر شرطاً من أبرز شروط القائد في الرؤية الإسلاميّة.

☐ أوّل شرط من شروط القيادة: معرفة الإسلام. القائد مسؤول عن هداية الأمة الإسلاميّة في المجالات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة والعسكريّة. من هنا ينبغي أن لا يكون عارفاً برأي الإسلام في هذه المجالات فحسب، بل أن يفوق أهل زمانه في معرفة الإسلام.

☐ في أرفع درجات القيادة يُفاض العلم الذي يحتاج إليه القائد من الله مباشرة، وفي درجاتها التالية يتحقّق ذلك عبر الاجتهاد.

☐ الاجتهاد لغّةً هو بذل الوسع لإنجاز عملٍ لا يتيسّر تحصيله. واصطلاحاً هو القدرة على معرفة أحكام الإسلام عن طريق البحث في المصادر الإسلاميّة.

☐ معرفة الموضوع من العناصر الحاسمة في الاجتهاد، ولعنصرَي الزمان والمكان موقع خاصّ في هذا الميدان.

الفصل الثاني

العدالة

العدل هو رعاية الموضع الحقيقي للأمور. والعاقل هو الذي يراعي الحدود الواقعية لأعماله. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:
«الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا»^(١).

العدل إذاً. أساس القانون في نظام الخليقة. القانون الذي لولاه لانهار النظام المذكور وفقد تماسكه. قال أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير آخر للعدالة:
«الْعَدْلُ أَسَاسٌ بِهِ قَوَامُ الْعَالَمِ»^(٢).

في هذا المضمار طرحت النصوص الدينية عناوين: العدل العقدي، والعدل الفردي، والعدل الاجتماعي، في مقابل الظلم العقدي، والظلم الفردي، والظلم الاجتماعي... وذلك من خلال المواقف التي يتّخذها الإنسان حيال العقائد،

(١) نهج البلاغة: الحكمة ٤٣٧، روضة الواعظين: ٥١١، بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٥٠، و: ٧٢ / ٣٥٧.

(٢) مطالب السؤول: ٦١، بحار الأنوار: ٧٨ / ٨٣، ٨٧.

والأخلاق، والأعمال في موضعها الحقيقي^(١).
العدل العقيدي أسس العدالة الاجتماعية. ومن كانت عقائده غير صحيحة فلا يمكن أن تكون أخلاقه وأعماله صحيحة، ولا يتسنى له أن يطبق العدالة في المجتمع. من هنا نرى أن العدالة بمفهومها المطلق شرط من شروط القيادة في الإسلام.

درجات العدالة

للعدالة درجات، أولها العدل العقيدي، وأرفعها العدل العرفاني.

١- العدل العقيدي

مَنْ بَدَّ الظنون الوهميَّة عن نفسه وأصلح عقائده فهو عادل من الوجهة العقيدية. أي: إنه راعى مواضع الأمور في العقيدة. وكلما ازداد انسجام عقائد الإنسان مع الواقع نال من هذه العدالة درجات أرفع.

٢- العدل الفقهي

إذا تبلور العدل العقيدي في عمل الإنسان ارتقى إلى العدل الفقهي، ويستحق المرء أدنى درجات الإمامة والقيادة من منظار الإسلام، وهي إمامة المصلين. قال رسول الله ﷺ في هذه الدرجة من العدالة:

«من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، كان ممن حُرمت غيبته وكملت مروته وظهر عدله»^(٢).

وسئل الإمام الصادق عليه السلام عن صفات العادل، فقال:

«إذا غَضَّ طرفه من المحارم، ولسانه عن المآثم، وكفَّه عن المظالم»^(٣).

(١) انظر كتابنا مباني شناخت (أسس المعرفة): ٣١٦ و ٣٢٤.

(٢) الكافي: ٢ / ٢٣٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٣٠، بحار الأنوار: ١ / ١ / ٧٠.

(٣) تحف العقول: ٣٦٥، بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٤٨ / ٧٩.

٣- العدل الأخلاقي

إذا أصبح العدل العقيدى والفقهى ملكة عند المرء وكان استمرارها باعثاً على تطبيع أخلاقه بهما فإنه يرتقى إلى العدل الأخلاقى في مسار التكامل، ويصير كما قال رسول الله ﷺ:

«ما كرهته لنفسك فاكره لغيرك، وما أحببته لنفسك فاحببه لأخيك، تكن عادلاً فى حكمك، مقسطاً فى عدلك، محبباً فى أهل السماء، مودوداً فى صدور أهل الأرض»^(١).

٤- العدل العرفاني

في ذروة العدل العقيدى والفقهى والأخلاقي يبلغ الإنسان درجة العدل العرفاني التي هي أرفع الدرجات. وجاءت في نهج البلاغة إشارة إلى هذه الدرجة. قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«عباد الله، إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه على نفسه... قد أبصر طريقه، وسلك سبيله، وعرف مناره، وقطع غماره... فهو من اليقين على مثل ضوء الشمس... فهو من معادن دينه، وأوتاد أرضه، قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه، يصف الحق يعمل به...»^(٢).

للعدل العرفاني كمال أيضاً يدعى مقام العصمة. والمعصوم هو من بلغ في المعرفة واليقين مبلغاً تتحرك فيه عقيدته وأخلاقه وأعماله في حدود العدالة على نحو دقيق، ويصان من كل ظلم وإثم.

(١) تحف العقول: ١٤، بحار الأنوار: ٧٧ / ٦٧ / ٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

العدالة والقيادة

إنّ نظرة عميقة للقرآن الكريم والأحاديث تبين لنا أنّ العصمة -من منظور الإسلام- هي أسمى درجات العدالة، وشرط لأرفع درجات قيادة الأمة. وسيأتي توضيح هذا الموضوع في الفصل الثاني من القسم الخامس، وستثبت هناك أنّ نفي مطلق الظلم عن القيادة لا يتيسّر إلا إذا كان القائد معصوماً.

والنقطة الجديرة بالاهتمام هنا هي أنّ العدالة في أرفع درجاتها - بعد العصمة التي كانت لأنباء الله وأوصيائهم، وخاصّة في عصر غيبة الإمام المعصوم كما في عصرنا الحاضر - إنّما هي شرط للولاية ولقيادة المجتمع الإسلاميّ.

بعبارة أخرى: مع أنّ العصمة في القيادة ليست ضروريّة لغير الأنبياء وأوصيائهم الخاصين بيد أنّ مطلق العدالة لا يكفي أيضاً، لأنّ العدالة التي تعدّ شرطاً لإمامة المجتمع وقيادته هي غير العدالة التي تمثّل شرطاً لإمامة الجماعة في الصلاة أو لقبول الشهادة في المحاكم، بل إنّ القائد غير المعصوم ينبغي أن يتحلّى بأرفع درجات العدالة الأخلاقيّة بعد المعصوم. ونحصل على هذه الرؤية من الإطلاق في كلام الإمام الرضا عليه السلام عن سيّء قيادة المجتمع الإسلاميّ. قال صلوات الله عليه:

«للإمام علامات: أن يكون أعلم الناس، وأحكم الناس، وأنقى الناس...»^(١).

من فاق أهل زمانه جميعهم في تقواه فهو متّصف بأرفع درجات العدالة بعد الإمام المعصوم. وإذا أحرز الشروط الأخرى للقيادة أيضاً فهو قمين^(٢) بحمل أمانة الإمامة والقيادة من منظار الإسلام.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤١٨ / ٥٩١٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ٢١٣ / ١، الاحتجاج: ٢/ ٤٤٨ / ٣١١.

الخصال: ١/ ٥٢٧، معاني الأخبار: ٤/ ١٠٢، بحار الأنوار: ٢٥/ ١١٦.

(٢) القيمين: الجدير.

نظرة على العصمة

نصّت أحاديث كثيرة على أنّ العصمة شرط للإمام. نكتفي بذكر مثال واحد فيما يأتي:

قال أمير المؤمنين عليه السلام في علامات مَنْ يصلح للإمامة والقيادة:

«منها أن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها، لا يزلّ في الفتيا، ولا يخطئ في الجواب، ولا يسهو ولا ينسى، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا»^(١).

ملاحظات تستحق الاهتمام

من الضروريّ الانتباه إلى عدد من الملاحظات الآتية:

١ - لا نريد هنا أن ندرس الأدلّة على وجوب عصمة الأنبياء والقادة الربّانيين بصورة وافية، لنجيب عن الإشكالات المثارة في هذا المجال، إذ تحتاج مثل هذه الدراسة إلى كتاب مستقلّ.

٢ - مقام العصمة شرط لأرفع درجات القيادة الربّانية كقيادة الأنبياء وأوصيائهم، أمّا إذا تعذّر وجود القادة المعصومين لأيّ سبب كان فعدالة القيادة كافية.

٣ - إنّ إثبات ضرورة العصمة للقيادة يحتاج إلى استدلال وإقامة برهان، بسبب اختلاف الاستنباطات من النصوص الإسلامية، والآراء والعقائد المتباينة الموجودة في المذاهب الإسلامية. بيد أنّ ضرورة العدالة على درجة من الوضوح تستغني به عن إقامة البرهان، وهي الغاية من حكومة الأنبياء أساساً. قال تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ^(١).

ومن لا يجد في نفسه ملكة العدالة كيف يتسنى له أن يطبق العدالة في المجتمع؟
قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«كيف يعدل في غيره من يظلم نفسه ١٩»^(٢).

إنَّ السبب الأصلي وراء إخفاق الحكومات الشيوعية في تطبيق العدالة الاجتماعية ومن ثمَّ انهيار مهد الشيوعية نفسها هو حساباتها أنَّها تستطيع تطبيق العدالة الاجتماعية بلا عدالة عقيدية وأخلاقية. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«عجبتُ لمن يظلم نفسه كيف ينصف غيره»^(٣).

وفاقد الشيء لا يُعطيه.

ولا يمكن تطبيق العدالة الاجتماعية بالشعار وحده. ولا سبيل إلى استبدال العمل بالشعار إلاَّ رسوخ ملكة العدالة في نفوس الأشخاص المؤثرين في المجتمع. من هنا إذا لم تتحلَّ القيادة والعناصر الأصلية في الحكومة بملكة العدالة من خلال صياغة أنفسهم فإنَّ انتظار العدالة الاجتماعية ليس إلاَّ خُلماً. وإنَّ من يظلم نفسه التي هي أعزَّ شيء عنده فهو لغيره أظلم، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«من ظلم نفسه كان لغيره أظلم»^(٤).

(١) الحديد: ٢٥.

(٢) غرر الحكم: ٦٩٩٦، ميزان الحكمة: ١١١٩٩.

(٣) غرر الحكم: ٦٢٦٩.

(٤) غرر الحكم: ٨٦٠٦، ميزان الحكمة: ١١٢٠٠.

الخلاصة

☐ العدل رعاية الموضع الحقيقي للأُمور، وقانون نظام الخليقة، ويقابله الظلم الذي يعدّ خرقاً لهذا القانون.

☐ للعدل درجات هي: ١- العدل العقيديّ. ٢- العدل الفقهيّ. ٣- العدل الأخلاقيّ. ٤- العدل العرفانيّ.

☐ العدل العقيديّ هو رعاية موضع الأُمور في العقيدة. وكلّما ازداد انسجام عقائد الإنسان مع الواقع، نال من هذا العدل درجات أرفع.

☐ العدل الفقهيّ هو التبلور العمليّ للعدل العقيديّ ورعاية موضع الأُمور في العمل.

☐ العدل الأخلاقيّ هو التجسيد الأخلاقيّ للعدل العقيديّ الذي يتحقّق نتيجة استمرار العدل العمليّ.

☐ العدل العرفانيّ أرفع درجات العدل. ويطلق عنوان «العصمة» على أتمّ درجات العدل العرفانيّ.

☐ المعصوم هو الذي بلغ في المعرفة واليقين درجةً، من بلغها يتحرّك في حدود العدالة، في عقيدته وأخلاقه وأعماله، ويُصان من مطلق الظلم.

☐ أرفع درجات العدالة-بعد العصمة- شرط للقيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم.

الفصل الثالث

الإدارة

إنَّ أحدَ الشروطِ الأساسيَّةِ الأخرى للقيادة هي القدرة الإداريَّة. والفقيه العادل الجامع لشرائط الإفتاء مؤهَّل لخلافة النبوة في قسم من الأحكام، ويمكن أن يكون مرجعاً للتقليد. أمَّا إذا كان مؤهلاً للإمامة والقيادة فلا بدَّ أن يمتلك قدرة إداريَّة مضافاً إلى اجتهاده. وقد اهتمَّ أئمةُ الإسلام الكبار بهذا المبدأ المهمَّ.

ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى خطبه أنَّ القدرة الإداريَّة أوَّل شرط من شروط القيادة. قال صلوات الله عليه:

«أبها الناس، إنَّ أحقَّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه، وأعلمهم بأمر الله فيه»^(١).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مَنْ لا يمتلك قابليَّة إداريَّة ويمسك بزمام الحكومة:

«الإمام الضعيف ملعون»^(٢).

ويرى مؤسس الجمهوريَّة الإسلاميَّة الإيرانيَّة الإمام الخميني (رحمته الله عليه) أنَّ إحدى

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٣.

(٢) مسند الفردوس: ١/ ١٢١/ ٤١٠، الجامع الصغير: ١/ ٤٧٦/ ٣٠٧٨، كنز العمال: ١٤٦٦٥.

صفات المجتهد الجامع لشرائط القيادة هي أن يكون مديراً ومُدبِّراً. قال ﷺ:

«ينبغي للمجتهد أن يتحلَّى بالفطنة والذكاء والفراسة في هداية المجتمع الإسلامي الكبير، بل غير الإسلامي أيضاً. كما ينبغي أن يكون مديراً ومُدبِّراً مضافاً إلى خلوص التقوى والزهد الذي هو شأن المجتهد»^(١).

وانتقد الأستاذ الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه في كتاباته حول «الإمامة والقيادة» فهم الناس الغالط للمرجعية والقيادة في فترة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية، فقال:

«أما الموضوع الذي يمثل مهزلةً ويعبر عن جهل الناس فهو أن كل من درس الفقه والأصول مدةً وحصل على معلومات محدودة فيهما وأصدر رسالةً عمليةً بادر أتباعه إلى تسميته بالقائد الكبير لمذهب التشيع.

من هنا يعدّ وضع «المرجع» مكان «القائد» من أهم مشاكل الوسط الشيعي... لقد جمدوا الطاقات الشيعية عند هذه النقطة، إذ يحسب مجتمعنا أن المرجع -الذي يُعتبر الحد الأعلى لصلاحه كفاءته في إبلاغ الفقه- قائد، في حين أن إبلاغ الفتوى خلافةً لمقام النبوة والرسالة (في قسم من الأحكام).

أما القيادة فإنها خلافة لمقام الإمامة، وتضطلع بإبلاغ الفتوى وزعامة المسلمين على حدٍّ سواء»^(٢).

الفصل بين القيادة والمرجعية

لقد زالت نقطة الجمود التي كان الأستاذ الشهيد قد أشار إليها قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران بسنين، وذلك ببركة الثورة الإسلامية وتوجيه الإمام الراحل.

(١) صحيفة النور: ٢١ / ٩٨.

(٢) امامت ورهبري (الإمامة والقيادة): ٢٢٨ و ٢٢٩.

وتحقّق الأمر المذكور في مشروع إصلاح الدستور. وفيما يأتي قسم من رسالة الإمام عليه السلام إلى رئيس مجلس الخبراء المسؤول عن تعيين القائد، ورئيس لجنة إعادة النظر في الدستور:

«كنت أعتقد منذ البداية وأصرّ على أنّ المرجعية ليست شرطاً للقائد. إذ يكفي أن يكون مجتهداً عادلاً يحظى بثقة مجلس الخبراء. وإذا صوّت الشعب على الخبراء من أجل أن يعيّنوا مجتهداً عادلاً لقيادة حكومته وقاموا بذلك فإنّ الشعب يرضى به لا محالة، وهو حينئذٍ وليّ الشعب المنتخب، وحكمه نافذ»^(١).

من البديهي أنّ فصل القيادة عن المرجعية يتحقّق عندما يتعذّر اجتماعها، وإلاّ فإنّ كمال القيادة في عصر غيبة الإمام المعصوم خلافة الإمام في إبلاغ الفتوى وزعامة المجتمع الإسلاميّ.

الإدارة فطرية أم اكتسابية ؟

هل الإدارة علم يمكن للجميع أن يتعلّموه كالقراءة والكتابة ؟ أم هي شيء ذاتيّ كحبّ الأولاد الذي يتّصف به كافّة الناس ؟ أم هي شعور كقريحة الشّعري التي يتمتّع بها بعض الناس ؟

بعبارة أخرى: هل هي مكتسبة، أو فطرية عامّة، أو فطرية خاصّة ؟ والجواب هي أنّها كالطبع الشّعريّ الذي يمتلكه البعض ويفتقده البعض الآخر. ومن كان فاقداً لهذا الطبع فإنّه ربّما استطاع تعلّم نظم الشّعري، بيد أنّه لا يكون شاعراً. فالتعليم والتجربة في نظم الشّعري لا ينفعان إلّا من كان له ذوق وفطرة شاعريّة.

وهكذا الإدارة، لذلك قيل: «الإدارة ممتزجة بدم الإنسان» وهذا الكلام تعبير

(١) صحيفة النور: ٢١ / ١٢٩، رسالة جوابيّة إلى آية الله المشكينيّ حول ملحق الدستور، بتاريخ ٢٢ رمضان سنة

آخر عن فطرية الوعي الإداري والقيادي عند بعض الناس .
ومن كان فاقداً للفطرة الإدارية فلا يتسنى له أن يتعلّم في أيّ مدرسة كانت. إنّه
يمكن أن يكون عالماً وفيلسوفاً مقتدرًا، لكنّه - بلا ريب - لن يصير مديراً وقائداً
مقتدرًا.
إنّه ليتعلّم علم الإدارة، إلّا أنّه لن يظفر بـ «فنّ» الإدارة.

دور التعليم والتجربة في الإدارة

إنّ تفتّح الفطرة الإدارية يحتاج إلى عاملين، هما: التعليم، والتجربة.
ولا فرق بين القائد الربانيّ وغير الربانيّ في هذا المجال. حتّى أنّنا نجد أنّ الأنبياء
يتعلّمون ويتمرّسون بهداية ربّانية، كما يُستشفّ من بعض الأحاديث .
وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

«ما بعث الله نبياً قطّ حتّى يسرّعه الغنم، يُعلّمه بذلك رعيّة الناس»^(١).

وقال الأستاذ الشهيد مطهري رضوان الله عليه في الحكمة من عمل الأنبياء في
الرعي قبل بعثتهم:

«يرى البعض أنّ السبب الذي يقف وراء عمل الأنبياء جميعهم أو جلهم في
الرعي هو من أجل أن يتمرّسوا على القيادة ميدانيّاً، ولا يؤيسهم الفارق الفكريّ
بينهم وبين الأئمة من القيادة. بيد أنّ من الطبيعي أن كلّ قيادة فطرية غير معصومة
تحتاج إلى تجربة وتعلّم واكتساب. وإذا كان الأنبياء يتمرّسون على الرعي فكيف
بالآخرين؟»^(٢).

إذا أنعمنا النظر في الرواية الماثورة عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الحكمة من عمل

(١) علل الشرائع: ٢/ ٣٢، قصص الأنبياء: ٢٧٨/ ٣٦٦، بحار الأنوار: ١١/ ٦٥/ ٧.

(٢) امامت و رهبرى (الإمامة والقيادة): ٢٢٨.

الأنبياء في الرعي قبل البعثة فستستبين لنا نقاط رائعة في مجال تعليم القيادة وتجربتها، وكيفية تنمية موهبة الإمامة. فالرعي يعلم طالب الفرع الإداري دروساً متعددة ومتنوعة:

«أليس الرعي نفسه قيادة؟ فالرعي يصون القطيع من الأخطار، ويطرد الذئاب عنه، ويقتاده نحو المراتع المرعة، ويوصله إلى عين الماء.

يضاف إلى ذلك أن الراعي هو الإنسان الوحيد الذي وقف حياته على حياة القطيع، فقد انقطع عن مدينته ودياره وأسرته وقربته وجاء إلى الصحراء، وربط مصيره بمصير قطيعه، وحرم نفسه من مواهب الحياة جميعها. ويمضي وقته في البيداء من أجل القطيع، وبكلمة واحدة: يفدي نفسه للقطيع.

ويتعلم الراعي درساً مؤلماً آخر أيضاً، وهو الدرس الذي إن لم نقل إنه يستحيل على الآخرين فهو صعبٌ عسيرٌ في الأقل.

لِمَ يجب أن نتحمل رِيَّ بستان تنمو فيه أزهار من ورق لا خير منها؟ ولماذا يضحي بنفسه من أجل طائفة لا تفهم شيئاً، ولا تعرفه، ولا تدرك تضحيته؟ ولماذا يفكر بمن لا يفكر إلا ببطنه وسمنته؟ ولماذا يَهَب حياته وسعادته مَنْ لا تهمة إلا حياته هو وسعادته الخاصة؟

إنها أسمى درجات القيادة حقاً.

من هنا، كان الأنبياء جميعهم رعاةً. تعلموا المعاناة في الرعي وتمزّنا عليها من أجل قوم كالأنعام التي طأطأت خطمها في الأرض لا تعرف إلا السوام.

إن مجرد الالتقاء بالحمقى يجلب الهمّ ويأخذ بالخناق، فكيف بالاختلاط بهم والاشتراك معهم في الحياة المعنوية والاجتماعية والعمل؟ وأي عمل؟ إنه العمل الفكري والسياسي، بخاصة «النضال السياسي» في مثل تلك البيئة ومع أولئك الأشخاص...!

الدرس الآخر هو فنّ «العيش منفرداً» وعلى حدّ تعبير كاتب روسيّ: «فنّ الحياة مع الذات» ويعلم الرعي الاستقلال، والاستغناء، وعدم الركون إلى الأنس، والتسليّة، وضروب اللهو، والمجاملة، والتعويل على الآخرين، والتفنج^(١)، والمدح، والاختلاط بالآخرين ومساعدتهم... إنّه يعلم درس الوحدة، والحياة مع الذات، والاستغناء المطلق^(٢).

أجل، التعليم والتجربة عاملان جوهريان لتنضيج فطرة الإمامة والقيادة، وحاجة القائد إليهما ثابتة لا مرأى فيها، سواء كان باتجاه إمامة النور أم باتجاه إمامة النار. ويستطيع كلّ إنسان أن يدرك هذه الحاجة بنظرة سيرة يلقيها على العاملين المذكورين.

والنقطة البالغة الأهميّة في فهم العوامل المساعدة على تنضيج الفطرة الإداريّة هي معرفة عامل ثالث أشار إليه القرآن الكريم، بيد أنّه مجهول في علم الإدارة المعاصر. وهذا العامل هو شرح الصدر (أو سعة الصدر).

دور شرح الصدر في الإدارة

لم يؤدّ شرح الصدر - إلى جانب التعليم والتجربة - دوراً بارزاً في تنضيج الحسّ الإداريّ فحسب، بل يحدّد اتجاه القيادة ومسارها أيضاً.

أي: يأخذ بيد القائد نحو إمامة النور وتكامل الإنسانيّة وحركيّتها، أو يسوقه صوب إمامة النار وانحطاط البشريّة. وقد تناولنا هذا البحث مفصّلاً في كتاب لنا بعنوان: «الأخلاق الإداريّة في الإسلام»، ونكتفي هنا بالإشارة إليه.

(١) التفنج: الدلال.

(٢) إسلام شناسی (معرفة الإسلام): ٤٦٣ و ٤٦٤.

شرح الصدر هو القابلية الفكرية والروحية^(١). ومن منظور القرآن الكريم، عندما تتسع قابلية الإنسان الروحية لقبول الحق، فإنه يحظى بالنورانية والوعي، وفي ظلها تُصحح حركته باتجاه تكامله وتكامل مجتمعه. قال تعالى:

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢)

إنَّ ما يبعث على ظهور هذه النورانية وينضج القابلية القيادية في الإنسان ويجعل الوعي القيادي في مسار إمامة النور وتكامل الإنسان والإنسانية هو الإيمان والتقوى. قال جلَّ شأنه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^(٣).

وفي ظلَّ هذا النور يتسنى للإنسان أن يعرف طريق الحياة الصحيح ويواجه مستجدَّاتها وحوادثها وشتى القضايا السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية كما ينبغي. والحصول على هذا النور ضروري للجميع إلا أنه يعدّ شرطاً للقيادة الربانية، وبدونه يتعدَّر أمر القيادة.

ولعلَّ هذا هو السبب الذي دفع الأنبياء أن يدعوا الله تعالى يوم عرفة - وهو يوم استجابة الدعاء - بشرح الصدر ونور البصيرة.

روي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أكثر دُعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة...: اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، اللَّهُمَّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي»^(٤).

(١) انظر أخلاق مديريت در اسلام: ٢٨.

(٢) الزمر: ٢٢.

(٣) الحديد: ٢٨.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة: ٧/١٠٧/١؛ الدر المنثور: ١/٥٤٨.

شرح الصدر بالكفر

أشرنا إلى أنّ شرح الصدر قد يوجّه المدير نحو القيادة الربّانيّة وتكامل الإنسان، وقد يسوقه شطر القيادة الشيطانيّة وانحطاط الإنسان.

فهو إسلاميّ بالمفهوم الأوّل، وكُفريّ بالمفهوم الثاني.

شرح الصدر بالإسلام ينشّط الوعي السياسيّ الإسلاميّ للمدير، وشرح الصدر بالكفر ينشّط الوعي السياسيّ الشيطانيّ. وستلاحظون توضيح هذا الموضوع في الفصل الرابع «الوعي السياسيّ».

المخلاصة

- ☐ الإدارة أحد الشرائط الأساسية للقائد. ولا يكون الفقيه الجامع لشرائط الإفتاء مؤهلاً للقيادة إلا إذا كان ذا قدرة إدارية.
- ☐ المرجعية خلافة لمقام النبوة في إبلاغ الفتوى، والقيادة خلافة لمقام الإمامة في إبلاغ الفتوى وزعامة المجتمع الإسلامي.
- ☐ إذا لم يتيسر اجتماع المرجعية الفقهية والقيادة السياسية - لأي سبب كان - فإن المرجعية تنفصل عن القيادة.
- ☐ الحس الإداري فطري كالقريحة الشعرية. ومن فقد فطرياً فلن يكون مديراً كفوء أبداً.
- ☐ تفتح الفطرة الإدارية يحتاج إلى عاملين، هما: التعليم، والتجربة.
- ☐ وتفيد بعض الروايات أن الأنبياء كانوا يتعلمون فن الإدارة ويتمرسون عليه بهداية ربانية.
- ☐ أشار القرآن الكريم إلى عنصر ثالث في تفتح الفطرة الإدارية، وهو مجهول في علم الإدارة المعاصر. وهذا العنصر هو شرح الصدر.
- ☐ شرح الصدر يعني القابلية الفكرية والروحية، ويؤدي دوره في تنضيج الحس الإداري إلى جانب التعليم والتجربة، كما يحدد اتجاه القيادة ومسارها صوب تكامل المجتمع أو انحطاطه.
- ☐ شرح الصدر بالإسلام: هو اتساع قابلية الإنسان لقبول الحق. وشرح الصدر

بالكفر: هو اتّساعها لقبول الباطل .

☐ ينشّط شرحُ الصدر بالإسلام الوعي السياسي الإسلامي للمدير . وشرح الصدر
بالكفر ينشّط الوعي السياسي الشيطانيّ .

الفصل الرابع

الوعي السياسي

هو شرط آخر من شروط القيادة، وقد ورد التأكيد عليه في الروايات. قال الإمام الرضا عليه السلام:
«مضطلعٌ بالإمامة، عالمٌ بالسياسة»^(١).

ومن أهم مواصفات القائد: الفهم الدقيق للمسائل، وحسن التشخيص، وسرعة الإدراك، ودقّة النظر في جميع الأمور التي تحتاج إلى تدبير وسياسة. قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:
«يحتاجُ الإمام إلى قلبٍ عقول، ولسانٍ قَوول، وجَنانٍ على إقامة الحقِّ صَوول»^(٢).

وعرض عليه السلام ملاحظاتٍ رائعة حول دور الوعي السياسي في القيادة والرئاسة، حتّى أنّه يرى أنّ الحكومة هي عين السياسة. قال عليه السلام:
«حُسنُ السياسة قوام الرعيّة»^(٣).

(١) الكافي: ١/٢٠٢.

(٢) غرر الحكم: ١١٠١٠.

(٣) غرر الحكم: ٤٨١٨.

«مَنْ حَسُنَتْ سِيَاسَتُهُ دَامَتْ رِيَاسَتُهُ»^(١).

«الْمُلْكُ سِيَاسَةٌ»^(٢).

من هذا المنطلق يمكننا أن نقيس قدرة القائد أو ضعفه بميزان وعيه السياسي. فضعف الوعي السياسي آفة القيادة، وتؤدي هذه الآفة إلى تدمير أساس الحكومة. قال ﷺ:

«آفة الزعماء ضَعْفُ السِّيَاسَةِ»^(٣).

«مَنْ قَصُرَ عَنِ السِّيَاسَةِ صَغُرَ عَنِ الرِّيَاسَةِ»^(٤).

«سوء التدبير سبب التدمير»^(٥).

ولا فرق بين الإسلام وغيره من المناهج الأخرى في اشتراط الوعي السياسي للقائد، بيد أن ما يميزه عنها في هذا المجال هو مفهوم السياسة، لا اشتراطها في القائد، فللسياسة في الإسلام مفهوم يختلف عن المفهوم الذي ذكره الساسة العلمانيون في تفسير السياسة.

السياسة في قاموس الساسة التقليديين

هي عبارة عن «تحديد الهدف والحصول عليه بأي وسيلة كانت».

قال شبنكلر:

«السياسي الفطري لا يهتم حق الأشياء أو باطلها، ولا يرى منطق الحوادث والوقائع ومنطق الأنظمة شيئاً واحداً...».

(١) نفسه: ٨٤٣٨.

(٢) نفسه: ١٧.

(٣) نفسه: ٣٩٣١.

(٤) نفسه: ٨٥٣٦.

(٥) نفسه: ٥٥٧١.

وقال راسل :

«الحوافز الأساسية عند معظم الناس هي حبّ المنفعة والعُجب والتنافس وحبّ السلطة، على سبيل المثال نجد في السياسة أنّ الحوافز المذكورة هي مصدر الأعمال والممارسات البشرية كلّها.

فالقائد السياسي الذي يمكنه إقناع الناس بقدرته على تلبية هذه المطالب يستطيع إخضاعهم لسلطته بحيث يوقنون أنّ $2 + 2 = 5$ ، أو أنّ صلاحيّاته مفوّضة إليه من الله!

والقائد السياسي الذي لا يعتني بالحوافز المذكورة يُحرم من دعم الجماهير عادةً. وإنّ معرفة نفسيّات القوى المحرّضة للجماهير من أهمّ فروع التربية والتعليم للقادة السياسيين الناجحين...^(١).

وقال أيضاً :

ويحصل جلّ القادة السياسيين على المناصب من خلال إقناع شريحة كبيرة من الشعب بإنسانية مطالبهم.

وعُرف جيداً أنّ مثل هذا الرأي يُقبل بأسرع ما يكون، نتيجة لوجود الحماس. وإنّ تقييد الأشخاص وتصفيدهم والخطب العامة والعقوبات غير القانونيّة والحرب مراحل في إيجاد الحماس وامتداده. وأعتقد أنّ أنصار الفكر غير المنطقيّ إذا تركوا الناس في حماسهم توقّرت لهم فرصة أفضل لخداعهم واستغلالهم»^(٢).

وفي ضوء هذا الفهم لا يكون للسياسة من تفسير إلاّ الخداع والحيلة وتضليل الناس من أجل التسلّط عليهم. من هنا ، فإنّ كلّ من كان أشدّ احتيالاً كان أسوس من غيره، وكان وعيه السياسيّ أكثر.

(١) برگزيده افكار راسل (مختارات من أفكار راسل): ٢ و ٣.

(٢) برگزيده افكار راسل (مختارات من أفكار راسل): ٢٢٢.

أنت أسوس أم أنا؟؟

قال عدي بن أرطاة: قال معاوية يوماً لعمر بن العاص: يا أبا عبدالله أينما أدهى؟
قال عمرو:

«أنا للبديهة، وأنت للروية!»

(أي: أنا أسرع منك فهماً وإدراكاً، ولكنك إن تأملت ودققت استطعت وضع خطط سياسية أعمق، فأنا أدهى منك في الحوادث التي تحتاج إلى خطط سياسية فورية، وأنت أدهى مني في الأمور التي فيها مجال للتفكير والدراسة).
قال معاوية: قضيت لي على نفسك، وأنا أدهى منك في البديهة!
قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رُفعت المصاحف؟
قال: بها غلبتني يا أبا عبدالله. أفلا أسألك عن شيء تصدقني فيه؟
قال: والله إن الكذب لقيح، فسل عما بدا لك أصدقك!
فقال: هل غششتني منذ نصحتني؟!
قال: لا.

قال: بلى والله، لقد غششتني. أما إنني لا أقول في كل المواطن، ولكن في موطن واحد!

قال: وأي موطن هذا؟

قال: يوم دعاني علي بن أبي طالب للمبارزة فاستشرتك فقلت: ما ترى يا أبا عبدالله؟ فقلت: كفؤ كريم، فأشرت علي بمبارزته وأنت تعلم من هو، فعلمت أنك غششتني!

قال: دعاك رجل إلى مبارزته، عظيم الشرف جليل الخطر، فكنت من مبارزته

على إحدى الحسينين^(١). إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران، وتزداد به شرفاً إلى شرفك وتخلو بملكك. وإمّا أن تعجل إلى مرافقة الشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً!

قال: هذه شرٌّ من الأولى! والله، إنّي لأعلم أنّي لو قتلته دخلتُ النار، ولو قتلتني دخلتُ النار!

قال عمرو: فما حملك على قتاله؟

قال: المُلْكُ عقيم! [الرئاسة لا تعرف جنّة ولا ناراً!] ولن يسمعها مني أحدٌ بعدك!^(٢).

السياسة من منظور الإسلام

«المُلْكُ عقيم» سياسة جميع الساسة الماضين والمعاصرين، وسياسة الإسلام ليست كذلك، فالحكومة في السياسة الإسلامية في خدمة العدالة، كما فعل رسول الله ﷺ، واقتدى به أمير المؤمنين عليه السلام من بعده.

ومع أنّ الإسلام يرى أنّ السياسة من الأدوات التي لا مناص منها للإدارة والقيادة، بيد أنّه يُدين السياسة بمفهومها التقليديّ بشدّة. ومن الفوارق الجوهرية بين الحكومة الإسلامية وغير الإسلامية هو التباين في النهج السياسيّ. وقد بين القائد الكبير للثورة الإسلامية رضوان الله تعالى عليه مفهوم السياسة في درسٍ له ألقاه على طلابه في المنفى قبل انتصار الثورة الإسلامية بسنين، فقال:

«لا تياسوا، ولا تحسبوا أنّ هذا الأمر إقامة الحكومة الإسلامية» مُحال. والله

(١) إشارة إلى الآية ٥٢ من سورة التوبة: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ...﴾.

(٢) أمالي الصدوق: ٥/٦٩.

يعلم أن أهليّكم وجدارتكم لتولي أمور الناس لا تقلّ عن الآخرين! سوى أننا
لنملك الإقدام على القتل بغير حقّ، وعلى الجور والخسف؛ لأنّ ذلك ليس من
شأننا.

أحد رجال الدولة في إيران خاطبني في السجن... قائلاً: «السياسة خبث
وكذب ونفاق... اتركوا ذلك لنا»!

هذا صحيح. ولئن كانت السياسة لا تعني إلّا هذه الأمور فهي بهذا المعنى من
شؤونهم. ولكن السياسة في الإسلام والسياسة لدى الأئمة عليهم السلام، الذين هم «ساسة
العباد» لا تعني ما قاله لي ذلك الرجل الذي أراد خداعنا والتصويه علينا. ثمّ
ذهب، وفي اليوم التالي ظهرت الصحف لتعلن: «إنّه تمّ الاتفاق على أن لا يتدخل
علماء الدين في السياسة بعد اليوم». وبعد الإفراج عني رقيت المنبر وكذبت
تلك الأنباء الصحفية التي نُشرت في حينها، وقلت: إنّ الرجل ليكذب. ولو أنّ
الخميني أو غيره قال ذلك فينبغي نفيه من البلاد.

وهؤلاء - كما ترون - قد ألقوا في روعكم أنّ السياسة خبث ومكر وكذب
ليصرفوكم عنها، وليعبثوا بأمور الأمة ما شاءت لهم أنفسهم...»^(١).

نلاحظ أنّ السياسة في قاموس السياسيّ التقليديّ هي في الحقيقة أداة للتحكّم
والتسلّط، بيد أنّها في قاموس السياسيّ الإسلاميّ أداة لإقامة القسط والعدل في
المجتمع. من هنا نقول في تعريفٍ جامعٍ موجز: السياسة في الإسلام فنّ إدارة الحكم
لتحقيق القيم الرّبانيّة.

السياسيّ التقليديّ يريد التسلّط، فكلّ ما يقربه من هذا الهدف يُعدّ سياسة،
سواءً كان صدقاً أم كذباً، استبداداً أم ديمقراطيّةً، عدلاً أم ظلماً، إسلاماً أم كفراً،
وسواءً ساق في آخر المطاف إلى الجنّة أم إلى النار. أمّا السياسيّ الإسلاميّ فإنّه يريد

تحكيم العدالة في العالم بمفهومها العامّ الواسع .

من هذا المنطلق، السياسة الوحيدة التي يستطيع أن ينتهجها هي السياسة التي تُفضي إلى العدالة .

السياسة والشيطنة!

أطلقت الروايات الإسلامية على الوعي السياسي بمفهومه الرسمي اسم «النكراء» و«الشيطنة» و«شبه العقل» .

سأل رجل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: ما العقل؟
قال:

«ما عُبدَ به الرحمن، واكتسب به الجنان» .

(فكّر ذلك الشخص مع نفسه، فظنّ أنّ الأشخاص الذين لا يسخّرون عقولهم في طاعة الله تعالى والحصول على الحياة الخالدة - وهم عيّنات ماثلة لقادة الباطل - لا عقل لهم حسب التعريف، في حين أنّ الدهاء السياسي لكثير منهم لا يُنكر. فسأل الإمام عليه السلام مرّة أخرى قائلاً):
فالذي كان في معاوية؟
فقال عليه السلام:

«تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل»^(١) .

قال العلامة المجلسي رضوان الله تعالى عليه في توضيح كلام الإمام:

«النكراء» الدهاء والفتنة وجودة الرأي، وإذا استعمل في مشتهيات جنود الجهل يقال له: الشيطنة^(٢) .

(١) الكافي: ١/ ١١/ ٢، المحاسن: ١/ ٣١٠/ ٦١٣ .

(٢) بحار الأنوار: ١/ ١١٦/ ٨ .

إنَّ طريق طاعة الله والوصول إلى الجنة هو طريق الحق والعدل وتكامل الإنسان والمجتمع البشري. وفي ضوء التعريف الذي عرضه الإمام الصادق عليه السلام للعقل في الرواية المتقدمة يتبيّن لنا أنَّ العقل وعي يدعو الإنسان إلى هذا الطريق، والعقل هو من يطوي الطريق المذكور.

الطريق الآخر هو طريق الشيطان وجهنم، وطريق الانحطاط وتردي الإنسان والمجتمع، وطريق الباطل والظلم. لذا فالوعي الذي يدعو الإنسان إلى هذا الطريق المنحرف هو وعي شيطاني حسب كلام الإمام عليه السلام.

وسمى القرآن الكريم أيضاً الأشخاص الذين يسيرون على هذا الطريق: «شياطين الإنس»^(١).

انتقاد سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

يخال السياسة التقليديون -الذين يزّون أنَّ السياسة أداة للسلطة لا وسيلة لتطبيق العدالة- أنَّ المواقف السياسيّة لأئمة المؤمنين عليهم السلام معلم على عدم معرفته بالسياسة، ويسمحون لأنفسهم أن يقولوا: كان عليّ رجل شجاعة لا رجل سياسة!

أجل، لم يكن الإمام عليه السلام سياسياً بالمفهوم التقليدي للسياسة، ولكن هذا لا يعني أنّه لم يمتلك وعياً سياسياً إسلامياً، بل أنّه لم يُرد -أو بتعبير أدقّ: لم يستطع- أن يستغلّ وعيه السياسيّ، لتمسّكه بالأصول الإسلاميّة.

ويذكر الإمام عليه السلام السبب الذي يجعله غير سياسيّ بالمفهوم المنحرف للسياسة، فيقول:

«لولا أنَّ المكر والخديعة في النار لكنْتُ أُمكر الناس»^(٢).

(١) قال تعالى: «وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجن». الأنعام: ١١٢.

(٢) الكافي: ١/٢٣٦/٢.

ويقول في كلام آخر:

«هيهات، لولا التقي لكنت أدهى العرب»^(١).

ويقول في موطن آخر:

«والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى الناس ولكن كل غدره فجرة وكل فجرة كفر، ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة»^(٢).

قال ابن أبي الحديد في هذا الكلام:

«واعلم أن قوماً ممن لم يعرف حقيقة فضل أمير المؤمنين عليه السلام زعموا أن عمر كان أسوس منه، وإن كان هو أعلم من عمر. وصرح الرئيس أبو علي بن سينا بذلك في «الشفاء» في الحكمة. وكان شيخنا أبو الحسين يميل إلى هذا وقد عرض به في كتاب «الغرر».

ثم زعم أعداؤه ومباغضوه أن معاوية كان أسوس منه وأصح تديراً».

ودافع ابن أبي الحديد عن سياسة الإمام عليه السلام بالتفصيل بعد نقل هذه المطالب، وذكر مانصه:

«وأمير المؤمنين عليه السلام كان مقتداً بقيود الشريعة مدفوعاً إلى اتباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب والكيد والتدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً».

ثم أثبت أن النهج السياسي للإمام عليه السلام هو نفسه النهج السياسي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وأجاب عن الموارد التي ذكرت كنقاط ضعف سياسية عند الإمام عليه السلام^(٣).

وقال الأستاذ الكبير العلامة الطباطبائي رضوان الله تعالى عليه في جواب من قدح في

(١) غرر الحكم: ١٠٠٤١.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٠.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة: ١٠/٢١٢ - ٢٦٠.

سياسة الإمام عليه السلام:

قال مناوئو علي عليه السلام: كان علي رجلاً شجاعاً ولكن لا علم له بالسياسة، لأنه كان يستطيع في أول خلافته أن يوادع العناصر المعارضة مؤقتاً ويرضيها بالمداينة، فيوطد بذلك أركان خلافته، ثم يتفرغ لقمعها.

بيد أن هؤلاء غفلوا عن أن خلافة علي عليه السلام كانت نهضة ثورية، والنهضات الثورية ينبغي أن تبتعد عن المداينة والتزوير والتزييف.

وجرى مثل ذلك في عصر البعثة النبوية الشريفة حيث عرض الكفار والمشركون مراراً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يساموه، على أن لا يتعرض لألتهتهم بسوءٍ وهم أيضاً يكفون عن التعرض لدعوته. إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم رفض عرضهم مع أنه كان بمقدوره أن يدهن ويساوم في تلك الأيام العسيرة، فيعزز موقعه ثم ينبري لأعدائه.

إن الدعوة الإسلامية لا نسمح لنفسها أن تضحي بحق من أجل إحياء حق آخر، أو أن ترفع باطلاً يبطل آخر.

ونقرأ في القرآن الكريم آيات كثيرة حول هذا الموضوع.

يضاف إلى ذلك أن مناوئي علي عليه السلام لم يرفعوا عن ارتكاب أي جريمة وعن أي نقض صريح للإسلام - بلا استثناء - من أجل بلوغ أهدافهم، وكانوا يغسلون كل وصمة عار من خلال زعمهم أنهم صحابة ومجتهدون، بيد أن علياً عليه السلام كان متمسكاً بقوانين الإسلام^(١).

ويمكن أن نلخص كلام العلامة عليه السلام بما يأتي:

١ - كانت حكومة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام نهضة ثورية، ومن أهم أسس

(١) شيعة در اسلام (الشيعة في الإسلام): ٥٥ - ٥٧.

الحكومة الثورية أنها لا تهادن الانحرافات.

٢ - الغاية لا تسوّغ الوساطة في الإسلام، والإمام عليه السلام لم يستعمل الأساليب غير الشرعية لتحقيق أهدافه السياسية، بسبب تمسّكه بالمبادئ الإسلامية.

أجل، إنّ النقطة الجوهرية في الدفاع عن سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كلمة واحدة لا أكثر. وهي أنّ السياسة بمفهومها التقليدي ليست إلّا التزوير والخيانة، فلا يليق بالإمام عليه السلام أن يكون سياسياً في ضوء هذا المفهوم. وهذه مفخرة من أعظم المفاخر في حياته المباركة وسيرته العملية.

وكان القائد الكبير للثورة الإسلامية الإيرانية عليه السلام قد جعل سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قاعدة لتحركه السياسي.

واتّهمه الأعداء بعدم معرفته بالسياسة نتيجةً لمفردات سياسية مبدئية كثيرة نادى بها، مثل سياسة «لا شرقية ولا غربية»، وسياسة «دعم المحرومين»، وسياسة «الوقوف أمام الاستكبار العالمي وعلى رأسه أميركا». وهذه من المفاخر العظيمة للثورة، وهي آية على أصالتها وصواب تحركها.

الخلاصة

☐ الوعي السياسي أحد شروط القائد. ويمكن أن نقيس قوة القائد وضعفه تبعاً لمقدار وعيه السياسي.

☐ يرى الإسلام-كغيره من المبادئ- أنَّ الوعي السياسي شرط للقيادة، بيد أنَّ مفهوم السياسة في الإسلام يختلف عن مفهومها في سائر المبادئ.

☐ السياسة في التفسير التقليدي تحديد الهدف والوصول إليه بأية وسيلة كانت، والسياسي التقليدي لا يهمه حقَّ الأمور أو باطلها، من هنا، كلَّ من كان أشدَّ مكرًا كان أكثر سياسةً.

☐ السياسة في الإسلام فنُّ إدارة الحكومة من أجل تطبيق العدالة والقيم الربانية. فالحكومة فيه ليست هدفاً، بل هي وسيلة لخدمة القيم. من هذا المنطلق لا تباح كلُّ وسيلة تُفضي إلى الحكومة.

☐ أطلقت الروايات الإسلامية على الوعي السياسي التقليدي مفردات «النكراء» و «الشيطنة» و «شبه العقل». وسمَّى القرآن الكريم أصحاب هذا الوعي «شياطين الإنس».

☐ الذين يزّون أنَّ السياسة أداة للسلطة لا لخدمة العدالة انتقدوا المواقف السياسية للإمام أمير المؤمنين (عليه السلام). والنقطة الجوهرية في الدفاع عن سياسة الإمام (عليه السلام) هي أنَّ السياسة بمفهومها التقليدي ليست إلّا التزوير والخيانة. ولا يجدر بالإمام أن يكون سياسياً بالمفهوم المذكور.

الفصل الخامس

معرفة الزمان

لا نريد بالزمان هنا مفهومه الفلسفيّ أو اللغويّ، فيقال: إنّ الزمان وجوديّ أو عدميّ، أو تُثار سائر المباحث المطروحة في تعريفه. بل نريد هنا الظروف التاريخية للمجتمع ومتطلّبات العصر الذي يهيمن عليه.

إنّ لفترات التاريخ المختلفة مواصفات وقوانين خاصّة إذا أخذتها القيادة بعين الاعتبار وراعتها كانت ناجحة. وإذا أهملتها فلا تجني إلاّ الخيبة والخسران.

لنسمع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له دقيق لافت للنظر. قال:

«من عتب على الزمان طالعت معتبه»^(١).

«من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسلم»^(٢).

وقال عليه السلام في وصاياه لابنه المجتبي عليه السلام الذي يتولّى الأمر بعده:

«من أمن الزمان خانه، ومن تعظّم عليه أهانه، ومن ترعّم عليه أرغمه، ومن لجأ

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٥٣/ ٢٠٤، غرر الحكم: ٨٥٧٠، بحار الأنوار: ٧١/ ١٥٥/ ٦٩.

(٢) غرر الحكم: ٩٠٥٤.

إليه أسلمه»^(١).

ونُقلت عنه ﷺ روايات أخرى^(٢) بهذا المضمون، وهي تدلّ على أنّ الزمان من منظاره حقيقة في عالم الوجود لا يصحّ أمنه والغضب عليه وإعظامه^(٣)، واستصغاره ومخالفته واللجوء إليه.

عبارة أخرى: للزمان والتاريخ قانون كقانون جاذبيّة الأرض، إذا لم نتعامل معه تعاملًا علميًا فلا نواجه إلّا العناء والمشقة. ولا ينبغي أن نتصوّر قانون الجاذبيّة أكثر ممّا هو عليه أو أقلّ من ذلك. كما لا ينبغي أن نخالفه أو نستسلم له. ولا يتسنّى لنا أن نغفل عن الأخطار الناجمة عنه أو نفضب عليه بسبب المشاكل التي يولّدها، بل ينبغي أن نكتشفه ونفهد الأرضيّة السليمة لاستثماره من خلال المعرفة الصحيحة له. وهكذا قانون الزمان والتاريخ أو ستّهما.

ويمكننا عبر هذه المقدّمة أن ندرك - إلى حدّ ما - سرّ الاهتمام الذي توليه الروايات بضرورة معرفة الزمان.

قال أمير المؤمنين ﷺ:

«حسب المرء... من عرفانه علمه بزمانه»^(٤).

وكلّما كان الإنسان عارفاً بزمانه استطاع أن يتنبأ بالحوادث القادمة أفضل، ولا يندهش لأيّ حادثة لأنّه تنبأ بها من قبل. قال الإمام أمير المؤمنين ﷺ:

«أعرف الناس بالزمان من لم يتعجّب من أحداثه»^(٥).

(١) تحف العقول: ٨٥، بحار الأنوار: ٧٧/٢١٣.

(٢) انظر ميزان الحكمة: الباب ١٥٩٣ «من أمن الزمان خانه» والباب ١٥٩٤ «من عاند الزمان أرغمه».

(٣) كما في قوله ﷺ: «مَنْ أَمِنَ الزَّمانَ خَانَهُ وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ». نهج البلاغة: الكتاب ٣١.

(٤) بحار الأنوار: ٧٨ / ٨٠ / ٦٦.

(٥) غرر الحكم: ٣٢٥٢، ميزان الحكمة: ٧٦٢٦.

من هنا فإنَّ القائد العارف بزمانه الواعي لمتطلّبات عصره يفهم واجبه في الهداية والإمامة عندما تطرأ الشبهات السياسيّة وغير السياسيّة، ولا تهجم عليه اللوابس، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) :

«العالم بزمانه لا تهجم عليه اللوابس»^(١).

معرفة القادة الربّانيّين بالزمان

في ضوء أصولنا العقديّة يقسم القادة الربّانيّون - في ما يرتبط بمعرفة الزمان وجميع المعارف التي تحتاجها القيادة - إلى قسمين :

١ - القادة المنصوبون من الله تعالى مباشرة وبالأصالة.

٢ - القادة المتصدّون لأمر الإمامة نيابةً عن قادة القسم الأوّل.

يعرف القادة الربّانيّون - من القسم الأوّل - الزمان عن طريق الوحي أو الإلهام، وكان الأنبياء جميعهم يدركون متطلّبات عصورهم عن هذا الطريق نفسه، فيقودون مجتمعاتهم على أساسه. وإنّ نسخ الأديان الماضية من قبل الأنبياء من أولي العزم أفضل دليل لإثبات دور الزمان في القيادة، حسب رؤية الأديان الساهويّة كلّها.

وتدلّ دراسة لسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) - من منظار معرفته بزمانه وإدراكه لمتطلّبات عصره - على أنّه نموذج بارز للقائد العارف بزمانه، يتلوّه أمير المؤمنين (عليه السلام). ونشير فيما يأتي إلى مثال رائع حول معرفة الإمام (عليه السلام) بزمانه :

معرفة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بزمانه

عندما انعقدت الخلافة لأبي بكر في السقيفة انطلق أبو سفيان من وحي حقه الدفين على الإسلام، فرأى أنّ أفضل أسلوب لإثارة الفتنة والفوضى الداخليّة - من

(١) الكافي: ٢٩/٢٧/١، تحف العقول: ٣٥٦، بحار الأنوار: ٧٨/٢٦٩/١٠٩.

أجل كسر شوكة الدين - هو إقحام أهل البيت النبوي وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام في صراع مع قادة الحكومة.

فذهب عند العباس عم النبي لتنفيذ خطته المشؤومة، وأبدى أسفه للظروف السياسية السائدة، وعبر عن قلقه لخروج الخلافة من بني هاشم واستقرارها في بني تميم. وإذا استمر الوضع على هذا المنوال فستكون في بني عدي «عمر بن الخطاب» مستقبلاً. واقترح عليه الذهاب عند الإمام عليه السلام ومبايعته خليفة لرسول الله. وقال له: إن البيعة ستمّ لأنك عم النبي، وأنا شخصية وجيهة بين قريش. ومن أبي فسنقاتله ونقضي عليه.

واستطاع بهذه المكيدة أن يقنع العباس، فذهبا مع جماعة^(١) من بني هاشم إلى الإمام عليه السلام، وعرضوا عليه البيعة، فخاطبه أبو سفيان مثيراً مشاعره قائلاً:

«يا أبا الحسن، لا تغافل عن هذا الأمر، متى كنّا تبعاً لتيمة الأراذل؟»^(٢).

مع أنّ الإمام عليه السلام كان يرى أنّ الخلافة حقّه الشرعيّ، وكان متبرّماً من الوضع السياسيّ السائد، بيد أنّه لما كان عارفاً بزمانه ومجتمعه لم ير الأرضيّة مساعدةً لتسلّم مقاليد الأمور. وكلّ محاولة لعزل أبي بكر تستتبع تشتيت المجتمع الإسلاميّ، وكسر شوكة الدين، والرجوع إلى الجاهليّة. وما اقترح أبو سفيان إلّا سياسة خطرة من أجل تحقيق هذه الأهداف. من هنا قال عليه السلام في جوابه:

«أيّها الناس، شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة، وعرجوا عن طريق المنافرة، وضعوا تيجان المفاخرة. أفلح من نهض بجناح، أو استسلم فأراح. هذا ماء آجن، ولقمة يقص بها آكلها، ومجنتي الثمرة لغير وقت إيناعها كالزراع بغير أرضه، فإن أقل يقولوا: حرّص على الملك، وإن أسكت يقولوا: جزع من

(١) انظر مصادر نهج البلاغة وأسانيده: ١ / ٢٣٠.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن ميشم: ١ / ٢٧٦.

الموت، هيهات بعد اللّيتنا والتي، والله لابنُ أبي طالب آتس بالموت من الطفل
بثدي أمه، بل اندمجتُ على مكنون علمٍ لو بُحثُ به لاضطربتم اضطراب الأريثية
في الطويّ البعيدة»^(١).

لقد صوّر الإمام عليه السلام في هذا الكلام الجوّ السياسي والاجتماعي للمجتمع الإسلامي
بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبان عن الصعوبة البالغة في صنع القرار المناسب من قبل
القائد الواقعي في وسطٍ يتعدّر فيه الكلام والصمت. وفي مثل ذلك الوضع لو انتقد
الإمام عليه السلام حكّام عصره وأعرب عن قلقه للقرار المتخذ في السقيفة فهذا لا يعني أنّه
كان طالبَ رئاسة. ولو أثر الصمت على النهوض والإطاحة بالحكم القائم فهذا
لا يعني أنّه يخشى الموت والقتل، وأنّه لم يعمل بواجبه خوفاً على نفسه.

إنّ ماضي أمير المؤمنين عليه السلام يدحض هذه التّهم. وسبب صمته هو أنّ زمانه لم
يساعد على الثورة. وكلّ تحرّك متطرّف غير مدرّوس في ظروف لا يدعم الناس فيها
الثورة يشنّت المجتمع الإسلاميّ الفتيّ ويفضي إلى تسلّط أعداء الإسلام. وينبغي أن
تتنامي الثورة بالدعم الشعبيّ العامّ وحلول الوقت المناسب، عندئذٍ سيستبين للجميع
أكثر من أيّ وقت مضى أنّ عليّاً عليه السلام لم يفكر إلاّ بصلحة الإسلام والمسلمين، وأنّه لو
رأى الثورة واجباً عليه فلا حاجة به إلى عرض أبي سفيان الماكر.

وقد كشف مستقبل التاريخ الإسلاميّ للجميع صحّة هذه المزاعم بوضوح. عندما
تقلّد الإمام عليه السلام الأمر ببيعة الناس إياه ودعمهم له بعد خمس وعشرين سنة أمضاها
صامتاً صابراً، قال - بعد واقعة النهروان - في خصائصه حين قام بالأمر:

«فمضتُ بالأمر حين فشلوا، وتطلّعتُ حين تقيّعوا، ونطقْتُ حين تعتصروا،
ومضيتُ بنور الله حين وقفوا، وكنْتُ أخفضهم صوتاً، وأعلاهم قوّة، فطُرتُ

بعانها، واستبددت برهانها، كالجبل لا تحركه القواصف، ولا تزيله العواصف»^(١).
أجل، كان أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافته مثلاً بارزاً للقائد العارف بزمانه.
وكذلك كان الأئمة عليهم السلام جميعهم من بعده. إذ كان صمتهم وكلامهم وحربهم وسلمهم
تبعاً لما تتطلبه عصورهم.

من هنا نحن نعتقد أن الإمام الحسن عليه السلام لو كان يقود الأمة في عصر الإمام
الحسين عليه السلام لمحارب يزيد. ولو كان الإمام الحسين عليه السلام متصدياً للإمامة في عهد الإمام
الحسن عليه السلام لصالح معاوية. وهكذا قاد الأئمة الآخرون عليهم السلام المجتمع الإسلامي حسبما
تتطلبه عصورهم.

ويكمن سر غيبة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه في ما تتطلبه عصره يومئذ.
فهو بقیة الله وذخيرته لإنقاذ البشرية وإقامة الحكومة الصالحة على الأرض، وتقضي
الحكمة الإلهية غيبته إلى أن تهياً الأرضية المناسبة لإقامة تلك الحكومة.

معرفة الفقهاء بالزمان

عندما يتولى الفقهاء هداية الناس وقيادتهم في عصر الغيبة، فإن معرفتهم
بالزمان ضرورة حتمية، فالفقيه الذي لا يعرف متطلبات عصره فاقداً لأحد الشروط
الأصلية المهمة للاجتهد، ولا يصلح لمقام الإفتاء والقيادة.

قال القائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في دور
معرفة الزمان في هداية الناس وقيادتهم، وفي ضرورة الاطلاع على متطلبات العصر
بوصفه شرطاً للاجتهد:

«الزمان والمكان عنصران حاسمان في الاجتهاد. والمسألة التي كان لها حكم
في الماضي ربما يكون لها حكم جديد في العلاقات التي تحكم الشؤون

السياسية والاجتماعية والاقتصادية لنظام من الأنظمة. أي : أن المعرفة الدقيقة للعلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تجعل الموضوع الأول الذي لم يختلف عما كان عليه في الماضي من حيث الظاهر موضوعاً جديداً يتطلب حكماً جديداً لا محالة.

وينبغي للمجتهد أن يلمّ بقضايا عصره. ولا يستسيغ الناس والشباب بل حتى العوام أن يقول المرجع والمجتهد: لا رأي لي في القضايا السياسية، فالاطلاع على كيفية التعامل مع الاقتصاد العالمي، ومعرفة ضروب السياسة والسياسيين ومعادلاتهم المفروضة، وإدراك الموقع الذي يحتله النظام الرأسمالي والشيوعي في العالم، والتعرف على نقاط قوتها وضعفها إذ هما اللذان يحددان استراتيجية التسلط على العالم، كل ذلك من صفات المجتهد الجامع^(١).

وكان الإمام الراحل رحمه الله نموذجاً بارزاً للفقيه العارف بزمانه في عصر الغيبة. وحسبنا نظرة مجملة على سيرته السياسية وفتاواه الحاسمة قبل انتفاضة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣م وبعدها حتى انتصار الثورة الإسلامية، وإلى آخر لحظة من حياته المباركة.

وكان قبل إعداد المقدمات لانتفاضة الخامس من حزيران - كسائر الفقهاء - مشغولاً بالدرس والبحث. أما بعد إعداد المقدمات فقد بدأ تحرّكاً لا هوادة فيه ضدّ حكومة الشاه، وتصدّى لقيادة النضال. وبعد نفيه إلى النجف الأشرف اختار السكوت تقريباً، وعكف على التدريس حتى تهديد الأرضية لهضة شعبية عامة. ثمّ استأنف تحرّكه ضدّ حكومة الطاغوت في أفضل الظروف الزمنية، وعاد إلى إيران قادماً من فرنسا في أكثر لحظات الثورة حساسية على عكس ما أراده جميع الناصحين المشفقين. وشكّل حكومة في مقابل حكومة بختيار، وأفتى بوجوب خرق

(١) صحيفة النور: ٩٨ / ٢١، نداء الإمام إلى علماء البلاد ومراجع المسلمين بتاريخ ١٥ رجب ١٤٠٩ هـ.

الأحكام العرفية في لحظة مصيرية، فتكللت الثورة الإسلامية بالنصر المؤزر. وقاد الإمام عليه السلام الأمة الإسلامية منذ انتصار الثورة الإسلامية حتى وفاته، في كل فترة من تاريخ الثورة من خلال معرفته الدقيقة بمتطلبات العصر كما ينبغي. وإن قراره الحاسم في الحرب والسلام، والتعامل مع الفئات المضادة للثورة، وكر التجسس الأميركي، ورسائله إلى غورباتشوف، وفتواه بهدر دم سلمان رشدي، وآراءه وفتاواه في شتى القضايا السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وخطواته لاستمرار القيادة بعده في الأيام الأخيرة من حياته المباركة، كل ذلك برهان ساطع على معرفته بالزمان، وعلى ضرورة وجود هذه الصفة في المجتهد الجامع. وإن تفصيل هذا المجل يحتاج إلى رسالة مستقلة تدور حول المعرفة المذكورة، أرجو من الكتاب الملتزمين الاهتمام بتدوينها.

الخلاصة

- ☐ معرفة الزمان تعني معرفة الظروف التاريخية للمجتمع ومتطلبات العصر.
- ☐ نجاح القائد رهينٌ بمعرفته الصحيحة بالقوانين التي تحكم الزمن واستثمارها بنحوٍ سليم.
- ☐ العالم العارف بزمانه يتنبأ بالحوادث التاريخية قبل وقوعها، فلا يندهش لأيّ حادثة.
- ☐ القائد العارف بزمانه لا يُفاجأ، ويدرك واجبه جيّداً في الشبهات.
- ☐ نسخ الأديان السابقة من قبل الأنبياء أولي العزم، أفضل دليل على اثبات دور الزمان في القيادة من منظار جميع الأديان السماوية.
- ☐ تدلّ دراسة لتاريخ النبي ﷺ في حقل معرفة الزمان على أنه كان نموذجاً بارزاً للقائد العارف بزمانه.
- ☐ موقف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام السديد ممّا جرى في السقيفة مثال واضح لقرار مصنوع من قبل قائد عارف بزمانه في مرحلة حسّاسة من مراحل التاريخ الإسلامي.
- ☐ أوصياء نبينا ﷺ جميعهم كانوا عارفين بعصورهم. فصمتهم وكلامهم وسلمهم وحرّهم مفردات تتناسب مع عصورهم.
- ☐ جاءت غيبة الإمام المهدي عليه السلام وفقاً لما يتطلّبه عصره. وتقتضي الحكمة الإلهية غيبته إلى أن تتهيأ الأرضية المناسبة لحكومته الإسلامية العالمية.
- ☐ الإمام الخميني عليه السلام نموذج بارز للفقهاء العارفين بزمانه في عصر الغيبة. وحسبنا نظرة مجملة على سيرته السياسية وفتاواه المصيرية لإثبات ما نقول.

الفصل السادس

معرفة الناس

معرفة الناس من الضرورات الأولى للقائد في جميع الحكومات، بخاصة الحكومات القائمة على التصويت الشعبي. وهذه قاعدة لا يُستثنى منها حتى القادة الذين يمارسون العنف والإرهاب لاستمرار حكوماتهم.

إنّ معرفة الناس في الحقيقة أحد العناصر الأصلية للوعي السياسي. وكلما إزدادت معرفة القائد بشعبه وأدرك مطالبه وحاجاته المادّية والمعنويّة بنحو أدقّ وأحاط بنقاط قوّته وضعفه كان أنجح.

النبي ﷺ ومعرفة الناس

إحدى النقاط المشرقة في سيرة النبي ﷺ معرفته بالناس. وهي نقطة قلما اهتمّ بها كتاب السير أو أنها لم تنل اهتماماً قطّ. وإذا جمعنا ما جاء في تضاعيف كتب الحديث والتاريخ حول هذا الموضوع صار رسالة مفيدة ذات جانب تعليمي.

من الطبيعي أنّ المسلمين الذين يزّون أنّ معرفة القادة الرّبّاتيين - في أمر القيادة - مرتبطة باتّصالهم بمبدأ الوحي والإلهام لا يثير عجبهم كثيراً معرفتهم بالناس، ولكن

من الضروري الالتفات إلى هذه النقطة للتعرف على أسس القيادة في الإسلام. وتدل دراسة لتاريخ النبي ﷺ في مجال معرفة الناس على أنه كان أعرف الأمة بالخصائص الروحية والأخلاقية والثقافية والسياسية والاجتماعية لأفرادها. فأسلوب الدعوة في بدايتها، والنضال ومرحلته، وتعامله الخاص والعام مع الناس، كل ذلك يبين حقيقة معرفته بالناس.

إن أفضل دليل على ما نقول قدرته ﷺ الفائقة العجبية على إحداث التبدل السريع الشامل في ثقافة مجتمع إبان عصر البعثة.

فالثورة التي قادها ﷺ في المجتمع المتخلف يومئذٍ وأثمرت سريعاً لا يمكن أن تتحقق بلا معرفة سديدة ودقيقة بالناس.

ولما كان يعرف الناس جيداً ويخبر قابلياتهم الفكرية والروحية والأخلاقية والعاطفية جيداً فقد كان قادراً على أن يكلم كل أحد ويتعامل معه بمقدار ما يستوعبه فكرياً وروحياً، وهكذا مارس دوراً قيادياً شعبياً قوياً فائقاً. ولا جرم أن الأنبياء ﷺ جميعاً كانوا يتسمون بهذه الصفة.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«ما كلم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله قط. قال رسول الله ﷺ: إنا معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(١).

وروي أن قوماً أسارى جيء بهم إلى رسول الله ﷺ، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بضرب أعناقهم. ثم أمره بإفراد واحد منهم وأن لا يقتله، فقال الرجل: لم أفردني من أصحابي والجناية واحدة؟! فقال:

«إن الله عز وجل أوحى إلي أنك سخي قومك وأن لا أقتلك».

(١) الكافي: ١٥/٢٣/١، و: ٣٩٤/٢٦٨/٨، بحار الأنوار: ٧/٨٥/١، و: ١٦/١٢٢/٢٨٠، ميزان الحكمة:

فقال الرجل : فَإِنِّي أشهد أن لا إله إلا الله وأَنَّك رسول الله ، قال : فقاده سخاؤه إلى الجنة^(١).

إنَّ النقطة المهمة التي يمكن أن نتعلَّمها من هذا الموقف في مجال القيادة هي أننا يتسنى لنا أن نهدي كثيراً من المنحرفين وغير الصالحين المستعدين للهداية إلى الصراط المستقيم من خلال المعرفة الدقيقة بالناس ، التي تتيسر عن طريق غير الوحي أيضاً.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومعرفة الناس

تدلُّ دراسة لتاريخ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أنه برَّ أهل زمانه في معرفته بالناس ، كرَسُول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يعمل عملاً بغير حساب .

كان عليه السلام يتَّصف بصفات عجيبة لا يتيسر الاتِّصاف بها عبر الطرق الطبيعيَّة لمعرفة الناس ، مضافاً إلى ما كان يتمتع به من ذكاء فطريٍّ حادٍّ وتجربة كسبها خلال السنين المتواترة للنضال . فكان إذا نظر في وجه أحد تفرَّس ما في أعماق قلبه ، وكان يعرف الصديق من العدوِّ بسهولة . من هنا لم يستطع أن يخدعه الأعداء المتظاهرون بالولاء . ذكر عليه السلام أن الله تعالى منَّ عليه بهذه الصفة ببركة دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم له يوم خيبر ، فقال :

«... وَإِنِّي لَأَعْرِفُهُمْ حِينَما أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ، لَأَنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم لَمَّا ثَقُلَ في عَيْنِي وَأَنَا

أَرْمُدُ قال : أَذْهَبَ عَنْهُ الحِرُّ والقَرُّ والبَرْدُ ، وبَصُرُهُ صديقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ . فلم يُصْبِنِي

رَمَدٌ بَعْدَ وَلَا حَرٍّ وَلَا بَرَدٍ ، ولَأَتِي أَعْرِفُ صديقِي مِنْ عَدُوِّي»^(٢).

قال الإمام الباقر عليه السلام : بينا أمير المؤمنين عليه السلام يوماً جالساً في المسجد وأصحابه حوله ،

(١) الاختصاص : ٢٥٣ : بحار الأنوار : ١٦ / ٣٥٤ / ٧١ .

(٢) بصائر الدرجات : ١ / ٣٩٠ .

فأتاه رجل من شيعته فقال له : يا أمير المؤمنين ، إن الله يعلم أنني أدينه بحبك في السر كما أدينه بحبك في العلانية ، وأتولأك في السر كما أتولأك في العلانية . فقال له أمير المؤمنين :

« صدقت . أما فاتخذ للنفر جلباباً ... »

قال : فولى الرجل وهو يبكي فرحاً لقول أمير المؤمنين عليه السلام : « صدقت » .

وقال الإمام الباقر عليه السلام أيضاً : كان هناك رجل من الخوارج وصاحباً له قريباً من أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال أحدهما : تالله إن رأيت كالיום قط ! إنه أتاه رجل فقال له : إنني أحبك ، فقال له : صدقت ، فقال له الآخر : ما أنكرت ذلك ، أتجد بُدّاً من أن إذا قيل له إنني أحبك أن يقول صدقت ؟! أتعلم أنني أحبه ؟ فقال : لا ، قال : فأنا أقوم فأقول له مثل ما قال له الرجل ، فردد عليّ مثل ما ردّ عليه ، قال : نعم .

فقام الرجل ، فقال له مثل مقالة الرجل الأول . فنظر إليه ملياً ، ثم قال له :

« كذبت ، لا والله ما تُحبني ولا أُحبك » .

فبكى الخارجي ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، تستقبلني بهذا وقد علم الله خلافه ! ... فلم يلبث أن خرج عليه أهل النهروان وأن خرج الرجل معهم فقتل ^(١) .

الأئمة ومعرفة الناس

عبّرت الروايات المأثورة عن معرفة الناس بمفهومها العميق بالمعرفة عن طريق «التوسّم» و «التفرّس» . وتدلّ دراسة دقيقة لهذه الروايات على أن الإنسان يبلغ النورانية والبصيرة في مراحل الإيمان الرفيعة ، فيستطيع أن يرى باطن الناس وضميرهم ، ويكشف أسرارهم بنظرة إلى وجوههم .

قال رسول الله ﷺ :

«اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور الله . ثم قرأ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾^(١) قال : المتفرسين»^(٢) .

وروي في حديث آخر عنه أنه قال :

«إِنَّ لله عز وجلّ عباداً يعرفون الناس بالتوسم»^(٣) .

إنّ إحدى خصائص الأئمة المعصومين عليه السلام المؤكّد عليها في الروايات هي معرفتهم الناس بالمفهوم العميق الكامل للكلمة . قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في تفسير الآية المتقدّمة :

«كان رسول الله ﷺ المتوسم ، وأنا من بعده ، والأئمة من ذريتي المتوسمون»^(٤) .

قال محمّد بن حرب الهلاليّ أمير المدينة في عصر الإمام الصادق عليه السلام : قلت لجعفر بن محمّد عليه السلام : في نفسي مسألة أريد أن أسألك عنها .

قال الإمام عليه السلام : إن شئت أخبرتك بمسألتك قبل أن تسألني .

قال : يا بن رسول الله ، وبأيّ شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالي عنه ؟
قال :

بالتوسم والتفرس ، أما سمعت قول الله عز وجلّ : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ ؟ وقول رسول الله ﷺ : «اتقوا فراسة المؤمن ، فإنه ينظر بنور

(١) الحجر : ٧٥ .

(٢) نقله البخاريّ في تاريخه ، والترمذيّ وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السنيّ وأبو نعيم في كتاب الطبّ ، وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدريّ . انظر الدرّ المنثور : ٩١ / ٥ ، سنن الترمذيّ : ٣١٢٧ / ٥ / ٢٩٨ . تفسير ابن كثير : ٣٩٩ / ١ و ٦٧٦ / ٢ ، المعجم الأوسط : ٧٨٤٣ / ٢٣ / ٨ .

(٣) المعجم الأوسط : ٢٠٧ / ٣ ، ٢٩٣٥ ، كنز العمال : ٣٠٧٣٢ . ورواه الترمذيّ والبيّزاريّ وابن السنيّ وأبو نعيم عن أنس . انظر الدرّ المنثور : ٩١ / ٥ .

(٤) الكافي : ٥ / ٢١٨ .

الله عز وجل» ١٩٦.

ويستبين من هذه الروايات وأحاديث كثيرة غيرها^(١) - مما لا يسعه هذا المجال - أن معرفة الناس حسب الرؤية الإسلامية شرط للإمامة والقيادة، وأن قائد الأمة ينبغي أن يحرز هذا الشرط بالتناسب مع درجات الإمامة.

(١) معاني الأخبار: ١/٣٥٠.

(٢) انظر أصول الكافي: ١/٢١٨ باب أن المتوسمين الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه هم الأئمة عليهم السلام... وبصائر

الدرجات: ١٧/٣٥٤.

الخلاصة

☐ معرفة الناس من الضرورات الأولى للقيادة، بخاصة في الحكومات القائمة على التصويت الشعبي. وكلما ازدادت معرفة القائد بشعبه كان أنجح في قيادته.

☐ تدلّ دراسة لتاريخ النبي ﷺ على أنه كان أعرف الأمة بالخصائص الروحية والأخلاقية والثقافية والسياسية والاجتماعية لأفرادها. فأسلوب الدعوة والنضال في بادئ الأمر، ومرحلة النضال، والتعامل مع الناس، والأهم من ذلك كله: إحداث التبدل السريع الشامل في ثقافة المجتمع إبان عصر البعثة، كل ذلك أدلة قاطعة على معرفة النبي الفائقة بالناس.

☐ ترشدنا دراسة لتاريخ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام السياسي بعد النبي ﷺ إلى أنه برز أهل زمانه في معرفته بالناس.

☐ إحدى خصائص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يستطيع أن يعرف الموالي من المعادي بنظرة واحدة، وذلك بفضل دعاء النبي ﷺ له.

☐ عبّرت الروايات عن معرفة الناس بمفهومها العميق بالتوسّم والتفرّس، ويحصل الإنسان عليهما في مراحل الإيمان الرفيعة. وكانت هذه الخاصية للأئمة المعصومين عليه السلام جميعاً.

الفصل السابع

مدارة الناس

إنَّ ضرورة اتّصاف القيادة بمدارة الناس أمر منطقيّ وبديهيّ تماماً في نظر الأمم والشعوب كافة، ذلك أنَّ القيادة لا تتيسّر بدونه مبدئياً. أمّا في نظر الذين يفكّرون برضا الناس في مقابل رضا الله فإنّه يبدو سقيماً في أوّل نظرة، بل يبدو مشيناً للقادة الرّبانيّين. من هنا تحتاج ضرورة هذه الصفة للقائد في الإسلام إلى توضيح أكثر.

وفي دراسة دقيقة للنصوص الإسلاميّة وسيرة النبيّ ﷺ والإمام عليّ عليه السلام، في مدارة الناس تستوقفنا نقطتان جديرتان بالاهتمام:

١- أنَّ تلبية مطالب الناس الشرعيّة وإرضاءهم ليسا في مقابل رضا الله تعالى بل هما يطّردان في مرضاته. وهذا مبدأ سياسيّ مهمّ في الحكومة الإسلاميّة، كما خاطب أمير المؤمنين عليه السلام مالك الأشتر رضوان الله عليه قائلاً:

«وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعْمُهَا فِي الْعَدْلِ، وَأَجْمَعُهَا لِرِضَا الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سَخَطَ الْعَامَةِ يُجْهِفُ بِرِضَا الْخَاصَّةِ، وَإِنْ سَخَطَ الْخَاصَّةُ يَغْتَفِرَ مَعَ رِضَا الْعَامَةِ»^(١).

٢ - قد تتأصل الثقافة الغالطة المسيطرة على المجتمع بنحوٍ يستتبع الاصطدام بها سخطاً عاماً، ويحدث هزّة في أركان الحكومة الإسلامية.

وحينئذٍ يجوز العدول عن سياسة مدارة الناس إذا لم تتهدّد أصول الإسلام وأهدافه.

من هنا فإنّ القادة الربّانيين - مع أنّ تلبية المطالب الشرعيّة للناس تتصدّر برامجهم الحكوميّة - يعملون عن رويّة في مواجهتهم للمطالب غير الشرعيّة. ويتحامون من الأعمال التي تستتبع سخطاً عاماً، إلّا في الحالات التي تتهدّد بها أصول دعوتهم.

النبي ﷺ ومداراة الناس

من النقاط البارزة واللافتة للنظر في الحياة السياسيّة للنبي ﷺ سياسته في مداراة الناس بلا عدول عن مبادئ الإسلام. بيد أنّه عندما طُلب منه أن يتنازل عن المبادئ رفض ذلك بصراحة مهما كلف الثمن. ونلاحظ ذلك حين نقل إليه عمّه أبو طالب عرضاً من زعماء قريش في تمليكهم عليهم بشرط أن يترك الدعوة إلى التوحيد، فقال:

«يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه، ما تركته»^(١).

ولكن عندما لا يتعلّق الأمر بترك الهدف والتنازل عن المبادئ نرى أنّه ﷺ يبذل قصارى جهده ليُرْضي العامة. من أجل ذلك كان يتجنّب القيام ببعض الأعمال الحسنة غير الضروريّة للحؤول دون جرح مشاعر الناس. وكذلك كان يدفع مبالغ معيّنة من بيت المال لوقاية الأشخاص الحديثي عهد بالإسلام من الانحراف، أو لتأليف قلوب

الأعداء المتظاهرين بالولاء وجعلهم موالين حقيقيين، أو لتقليل حقد الأعداء اللد. وقد يعفو عن أشخاص يستحقون القتل للوقوف بوجه الإشاعات التي تُبَثُّ ضد الحكومة الإسلامية.

وقاية الأتباع من الانحراف

إنَّ الخطوات التي كان يتخذها رسول الله ﷺ لوقاية أتباعه الجدد من الانحراف أو الانفصال يمكن أن تُعدَّ من مصاديق سياسته في مداراة الناس.

روى عامر بن سعد عن أبيه قال: إنَّ رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وأنا جالس فيهم. قال: فترك رسول الله ﷺ رجلاً لم يعطه، وهو أعجبهم إليَّ. فقمتم إلى رسول الله ﷺ فساررته، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ والله إنِّي لأراه مؤمناً!...

فسكت قليلاً، ثمَّ غلبنى ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان؟ فوالله إنِّي لأراه مؤمناً! فسكت... فقلت: يا رسول الله، ما لك...؟ قال:

«إني لأعطي الرجل وغيره أحبَّ إليَّ منه، خشية أن يكبَّ في النار على وجهه»^(١).

هذا الكلام الحكيم يعبر عن حقيقة، وهي أنَّ على القيادة في النظام الإسلامي أن تُعنى عنايةً بالغة ببعض الأشخاص في المجتمع. خاصّة حديثي العهد بالمفاهيم الإسلامية للحوول دون انحرافهم، وإلا فإنَّهم يمتدحون بالانحطاط والانحراف، ويتبعون سبيل غير المؤمنين، ويضيعون حياتهم الخالدة بسبب ضعف نفوسهم وضيق نظرهم. فعناية القيادة البالغة برفاهية هؤلاء سياسة سديدة، لكنَّها لا تدلُّ على أنَّ لهم قيمة حقيقية، وأنَّ غيرهم لا قيمة لهم.

(١) صحيح مسلم: ٢/٧٣٢/١٣١، تفسير ابن كثير: ٢/٤٤٥، سنن الترمذي: ٣/٥٣/٦٦٦.

تأليف قلوب الأعداء

كان رسول الله ﷺ يهب قسماً من غنائم الحرب لعدد من ألد أعداء الإسلام الذين كانوا قد أسلموا ظاهراً، حتى اعترض عليه طائفة من أصحابه، وقالوا:

«يغفر الله لرسول الله، يعطي قريشاً ويدعنا، وسيوفنا تقطر من دمانهم»^(١).

قال ذلك أناس من الأنصار يوم حُنين حين أفاء الله على رسوله من أموال هوازن ما أفاء، فظفّق رسول الله ﷺ يعطي رجالاً من قريش المائة من الإبل.

فحدّث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم، فأرسل إلى الأنصار... فلما اجتمعوا جاءهم... فقال: ما حديثٌ بلغني عنكم؟

فقال له فقهاء الأنصار: أمّا ذوو رأينا، يا رسول الله فلم يقولوا شيئاً. وأمّا أناسٌ منّا حديثه أسنانهم... فقال رسول الله ﷺ:

«إني أعطي رجالاً حديثي عهدٍ بكفر أتألفهم أفلا ترضون أن يذهب الناس بالأموال وترجعون إلى رجالكم برسول الله؟ فوالله لما تنقلبون به خيرٌ منّا ينقلبون به».

فقالوا: بلى يا رسول الله، قد رضينا^(٢).

نلاحظ هنا أنّ رسول الله ﷺ مارس أبلغ الفطنة والسياسة في مداراة الناس. فمن جهة عمل - بإعطاء الهدية - على تليين المتظاهرين بالإسلام الذين كانوا يشكّلون خطراً عليه. ومن جهة أخرى كسب قلوب الموالين الذين لم يُعطهم شيئاً من الغنائم، عبر تعامله المفعم بالعاطفة معهم.

(١) صحيح البخاري: ٢٩٧٨/١١٤٧/٣، صحيح مسلم: ١٠٥٩/٧٣٣/٢، مسند ابن حنبل: ٤/٣٣١/١٢٦٩٦.

السنن الكبرى: ١٢٩٣٤/٥٤٨/٦، و: ١٣١٨١/٢٨/٧.

(٢) صحيح البخاري: ٤٠٧٦/٥٧٥/٤، صحيح مسلم: ١٠٥٩/٧٣٢/٢، مسند ابن حنبل: ٤/٣٣٢/١٢٦٩٦.

وقاية القيادة من الأراجيف المناثرة ضدها

لم يصطدم النبي ﷺ بأشدّ أصحابه نفاقاً في حالات كثيرة، وذلك من أجل الوقوف بوجه الأراجيف التي تُبثُّ ضدّ القيادة، وتستتبع تشكيك الناس بها في آخر المطاف، ومع أنّ قتلهم كان يبدو ضرورياً للحوّل دون تخريبهم وإثارتهم للفتن، إلّا أنّه كان يتغاضى عن ذلك لمصالح أهمّ.

وكان عبدالله بن أبي أحد المنافقين الذين حدّثنا القرآن الكريم بتآمرهم ونفاقهم في سورة «المنافقون». وعندما عُرِضَ على النبي ﷺ قتله قال :
«لا يتحدث الناس أنّ محمداً يقتل أصحابه»^(١).

إنّ الإشاعة التي تُضعف القاعدة الشعبيّة للحكومة الإسلاميّة أخطر على المجتمع الإسلاميّ من وجود منافق في صفوفه بمزات كثيرة.
من هنا كان رسول الله ﷺ يحظر عقوبة بعض المجرمين من الصحابة.

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ومداراة الناس

كانت سيرة الإمام عليّ عليه السلام في مداراة الناس وإرضائهم ودعمهم كسيرة النبي ﷺ تماماً، فقد كان يتفادى كلّ عملٍ يُسخط الناس. لذلك تعذّر عليه الوقوف بوجه كثير من الانحرافات في بداية خلافته.

وظهرت انحرافات كثيرة في المجتمع الإسلاميّ، وتطّبع الناس عليها خلال المدة التي كان الإمام قد أقصّي فيها عن الساحة السياسيّة، وأخطر من ذلك أنّ هذه الانحرافات قد رسخت في المجتمع وأقوّت باسم الإسلام الأصيل حين عاد الإمام عليه السلام إلى الساحة السياسيّة، فمن الطبيعيّ أنّ الموقف المتعجّل منها يُفضي إلى سخط الناس. ويولّد مشاكل مختلفة.

(١) صحيح البخاريّ: ٤ / ١٨٦٢ / ٤٦٢٢، الدر المنثور: ٨ / ١٧٧.

وقد صوّر الإمام عليه السلام الواقع المرّ بعد مقتل عثمان وإقبال الناس عليه لمبايعته ، فقال :

«دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العنول. وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنكرت، واعلموا أنني إن أجبتكم ركبّت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب. وإن تركتموني فانا كأحدكم ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خيراً لكم مني أميراً»^(١).

يا عجباً! إن من يرى نفسه خليفة النبي بلا فصل، ومن كان يعبر عن ظلامته -بل ظلامته الإسلام- بكلام يحرق القلب حيناً اقتضى ذلك خلال السنين الخمس والعشرين التي أمضاها بعيداً عن الخلافة، يرفض بيعة الناس ويقول لهم: «دعوني والتمسوا غيري»، في حين قد أقبلوا عليه بأرواحهم وقلوبهم وقلدوه أمرهم وأصروا عليه أن يتولّى قيادتهم! وهو يطلب منهم أن يتركوه وحاله، ويباعوا غيره، ويعمل هو كأحد الناس، ولعله أطوعهم لوليّ أمرهم! وأخيراً يخبرهم أنّه لهم وزيراً خيراً لهم منه أميراً! لماذا؟!

لقد عرض عليه السلام نفسه السبب الذي دعاه إلى رفض قيادة الأمة الإسلامية، وهو الحالة التي كان عليها المجتمع يومئذٍ.

فقد ظهرت تحريفات كثيرة في المجتمع الإسلامي بعد ربع قرن على وفاة رسول الله ﷺ، وعَلِقَتْ بالإسلام الأصيل شوائب جمّة كالغائم السوداء التي تحجب شمس الإسلام الحقيقي وتُظْلِمُ مسير معرفة الحقيقة، وكان الناس ينتظرون منه أن يقودهم في نفس الطريق الذي ألفوه عدد سنين، أمّا الطريق الجديد فلا ينسجم مع طبيعتهم، وهو كما قال عليه السلام: «لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول».

يريد الإمام عليه السلام من كلامه وموقفه أن يحقق الأهداف الآتية :

١ - يُشعر الناس أنه غير متعلق بالرئاسة، وأن ما قاله إلى الآن حول إمامته وقيادته هو من أجل توضيح الحقائق وتأمين مصالح المجتمع. وإذا قبل أن يقود الناس فلا هدف له إلا إقامة الحق. لذا لا يحق لأي فردٍ أو جماعة أن يتخذ من بيعته إياه ذريعةً لفرض إرادته عليه ومطالبته بشيء.

٢ - ينذر المسلمين أن الإسلام قد مُني بالتحريف والتغيير خلال السنين الخالية، وأن ما يُطرح الآن باسم الإسلام في المجتمعات الإسلامية بعيدٌ كل البعد عن الإسلام الأصيل، وأن مكافحة هذه التحريفات تستتبع توتراً سياسياً واجتماعياً بالغاً.

٣ - ينبّه الناس على أن يتأهبوا لإزالة التحريفات، وإعادة بناء المجتمع معنوياً، وتحكيم الإسلام الأصيل، ويلتفتوا إلى أن بيعته تعني البيعة مع أهدافه، والاستعداد لتطهير الإسلام الأصيل من شوائب التحريف.

سياسة الإمام عليه السلام في مواجهة الانحرافات

أجل، في مثل تلك الأجواء قبل الإمام عليه السلام قيادة الأمة الإسلامية بعد إصرار الناس، بيد أن النقطة المهمة هي أنه لم يواجه الانحرافات بتعجل، لأن الاصطدام المفاجئ بجميع الانحرافات التي ألفها المجتمع باسم الإسلام سنين من عمره يُسخط عامة الناس عليه، ويوهي أركان الحكومة. وقسم عليه السلام الانحرافات إلى قسمين تبعاً لسياسة النبي صلى الله عليه وآله:

الأول: الانحرافات التي كانت تتناقض مع الأهداف الأصلية للإسلام. ومكافحتها لا تستتبع نتائج وخيمة وتوتراً سياسياً واجتماعياً كبيراً يُسخط جمهور الناس.

الثاني: الانحرافات التي لم تهدد أساس الإسلام. والوقوف أمامها يُسخط معظم الناس على الحكومة.

بدأ الإمام ﷺ بمكافحة القسم الأول من الانحرافات منذ اليوم الأول لخلافته. ولم يهدأ لحظة واحدة عن مقارعة الجائرين والمتحكِّمين وكانزي الثروة، الذين انتهكوا حقوق المظلومين باسم صحبة النبي، مستغلِّين سوابقهم المشرقة. أولئك المتظاهرون بالإسلام الذين كانوا ينتقدون فلسفة الثورة الإسلامية، بل فلسفة نهضة الأنبياء القائمة على القسط والعدل.

ومنذ اليوم الأول من خلافته عرض الإمام سياسته المبدئية عن طريق الإشارة والتعريض، وأعلن للأمة أنه سيستعمل الحكومة وسيلة لإقامة الإسلام الحقيقي وحده، ولا يلتفت إلى انتقادات الذين تضريرهم هذه السياسة.

صعد المنبر في اليوم الثاني من خلافته، وصرَّح بما أشار إليه في اليوم الأول، وقال:

«... ألا وإن الله عالمٌ من فوقِ سَمَائِهِ وَعَرْشِهِ أَنِّي كُنْتُ كَارِهاً لِلوَلَايَةِ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ رَأْيُكُمْ عَلَى ذَلِكَ ؛ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : «أَيُّمَا وَالِ وَلِيٍّ الْأَمْرَ مِنْ بَغْدِي، أَقِيمَ عَلَى حَدِّ الصُّرَاطِ، وَنَشَرْتُ الْمَلَأَكَةَ صَحِيفَتَهُ. فَإِنْ كَانَ عَادِلًا أَنْجَاهُ اللَّهُ بِعَدْلِهِ، وَإِنْ كَانَ جَائِرًا أَنْتَفَضَ بِهِ الصُّرَاطُ حَتَّى تَتَرَايَلَ مَفَاصِلُهُ، ثُمَّ يَهْوِي إِلَى النَّارِ...»

ثمَّ التفت ﷺ يميناً وشمالاً، فقال:

«ألا لا يقولنَّ رجالٌ منكم غداً قَدْ غَمَرَتْهُمْ الدُّنْيَا فَاتَّخَذُوا الْعَقَارَ، وَفَجَرُوا الْأَنْهَارَ، وَرَكَبُوا الْخِيُولَ الْفَارِهَةَ، وَاتَّخَذُوا الْوَصَائِفَ الرُّوْقَةَ ؛ فَصَارَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عَاراً وَشَنَاراً، إِذَا مَا مَنَعْتَهُمْ مَا كَانُوا يَخُوضُونَ فِيهِ، وَأَصْرَتْهُمْ إِلَى حَقُوقِهِمُ الَّتِي يَعْلَمُونَ، فَيَنْتَقِمُونَ ذَلِكَ، وَيَسْتَنْكِرُونَ وَيَقُولُونَ : حَرَمَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبٍ حَقُوقَنَا!

ألا وأيُّما رجلٍ من المهاجرين والأنصار من أصحابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يرى أَنَّ الْفَضْلَ لَهُ عَلَى مَنْ سِوَاهُ لِصَحْبَتِهِ فَإِنَّ الْفَضْلَ النَّيِّرَ غداً عِنْدَ اللَّهِ وَثَوَابَهُ وَأَجْرَهُ عَلَى

الله .

وأيتما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبيلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده . فأنتم عباد الله ، والمال مأل الله يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحدٍ على أحدٍ ...»

وكان هذا الكلام المتين كالصاعقة على رؤوس من يعينهم ، فبدأت الاعتراضات . وفي اليوم الثالث من حكومته ﷺ وفد الناس على بيت المال لأخذ حقوقهم . فقال لعبيدالله بن أبي رافع كاتبه :

«ابدأ بالمهاجرين فنأدهم ، وأعط كل رجلٍ مئةَ مئةٍ ثلاثةَ دنانير ، ثم ثلث بالأنصار فافعل معهم مثل ذلك ، ومن يحضر من الناس كلهم - الأحمر والأسود - فاصنع به مثل ذلك» .

فقال سهل بن حنيف : يا أمير المؤمنين ، هذا غلامي بالأمس ، وقد أعتقته اليوم . فقال :

«نعطيه كما نعطيك» .

فأعطى كل واحدٍ منها ثلاثةَ دنانير ، ولم يفضل أحداً على أحد .

وتخلف عن هذا القسم يومئذٍ طلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص ومروان بن الحكم ورجال من قریش وغيرها .

وبدأت الاعتراضات بحضور كاتبه ، فأخبر الإمام ﷺ ، فقال :

«والله ، إن بقيتُ وسلمتُ لهم لأقيمنهم على المحجة البيضاء والطريق الواضح . قاتل الله ابن العاص ! لقد عرف من كلامي ونظري إليه أمس أنني أريده وأصحابه مئةَ مئةٍ هلك فيمن هلك» .

فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة ، فجلسا ناحية عن

عليّ ﷺ. ثمّ طلع مروان وسعيد وعبدالله بن الزبير فجلسوا إليهما. ثمّ جاء قوم من قريش فانضمّوا إليهم، فتحدّثوا نحيباً ساعةً، ثمّ قام الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيْط، فجاء إلى عليّ ﷺ، فقال:

إنّك وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدرٍ صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس، وأمّا.... ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال في أيام عثمان، وأن تقتل قتلتَه، وإنّا إن خفناك تركناك فالتحقنا بالشام!

فقال أمير المؤمنين ﷺ:

«أنا ما ذكرتم من ونري إياكم فالحقّ وتركتم، وأنا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حقّ الله عنكم ولا عن غيركم. وأنا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس! ولكن لكم عليّ إن خفتموني أن تؤمّنكم. وإن خفتكم أن أسيركم».

فقام الوليد إلى أصحابه فحدّثهم، وافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف... فقام أبو الهيثم وعبدُ بن أبيّ وأبو أيوب وسهل بن حنيف وجماعة معهم، فدخلوا على عليّ ﷺ، فقالوا: يا أمير المؤمنين، انظر في أمرك، وعاتب قومك، هذا الحيّ من قريش فإنهم قد نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك، وقد دعونا في السرّ إلى رفضك، هداك الله لرشدك! وذلك لأنهم كرهوا الأسوة وفقدوا الأثرة... وأظهروا الطلب بدم عثمان فرقة للجماعة وتآلفاً لأهل الضلالة. فرأيك!...

وكان قصدهم من ذلك أن يعيد الإمام ﷺ النظر في سياسته ولا يجرح مشاعر الأعيان والوجهاء.

رفض الإمام ﷺ عرضهم، وصعد المنبر بهيئةٍ خاصّة، وخطب خطبةً بالغة الروعة في العدل والقسط.

ثمّ بعث إلى طلحة والزبير وتحدّث إليهما مدافعاً عن سياسته بالتفصيل.

وأكد لهما في آخر كلامه أنَّ هذه السياسة هي عين سياسة النبي ﷺ، وأنه لن يعدل عنها فيهم وفي غيرهم^(١).

هذه السياسة - وإن ولدت متاعب كثيرة لحكومة الإمام ﷺ - كانت ناجحة مع ما رافقتها من مصاعب، وذلك بسبب دورها الأساس في تبين أهداف الحكومة الإسلامية ودعم الناس لها. ولم يخش الإمام ﷺ الصعاب، وما كان مهماً عنده هو إمكان الوقوف بوجه الزيغ والانحراف، وهو ما يتكفل الدعم الجماهيري بتوفيره له. أما مواجهة الانحرافات التي كانت قد اتخذت طابعاً دينياً في المجتمع الإسلامي وألفها الناس عدد سنين فلم تتيسر يومئذٍ، لأنها على عكس مواجهة الانحرافات من القسم الأول، فهذه تسبب سخطاً عاماً وتوهي أركان الحكومة الإسلامية.

عبارة أخرى: المواجهة العاجلة الطائشة للانحرافات التي غدت سنةً في المجتمع الإسلامي لا تؤدي إلى تصحيحها، بل تولد انحرافاً أكبر منها، وهو سقوط الحكومة الربانية.

وقد كشف الإمام ﷺ عن هذه الحقيقة المرة لأحد أتباعه المقربين، وهو عامر بن واثلة، وأقسم أنه لا يستطيع أن يخبر الناس بالحقائق التي يعرفها من الإسلام، ولو أخبره بشيء منها فلا يلبث أن يبقى معه إلا أفراد قلائل منهم^(٢).

وفي كلام خاص له ﷺ لطائفة من أهل بيته وخاصة أصحابه، قدّم توضيحاً أكثر حول الانحرافات والبدع الجارية في المجتمع الإسلامي، وصعوبة مقارعتها أيضاً. وحلّل فيه أصل الانحرافات الطارئة في المجتمع الإسلامي، وقال:

«... إنما بدء وقوع الفتن أهواء تتبع وأحكام تبتدع، يخالف فيها كتاب الله

(١) انظر شرح نهج البلاغة: ٧/ ٣٦-٤٧.

(٢) الكافي: ٨/ ٥٨ / ٢١، المحاسن: ١/ ٢٣٠ / ٦٧٢، و: ص ٣٤٣ / ٧١١، نهج البلاغة: الخطبة ٥٠، بحار

الأنوار: ٢/ ٢٩٠ و ٣١٥، و: ٣٤ / ١٧٢ و ١٧٦.

ويتولّى عليها رجالٌ رجالاً»^(١).

بعبارة أخرى: أصل الانحرافات هو أهواء ونزوات الحكّام الذين يتولّون قيادة المجتمع. هذه الأهواء تصبح حكماً وأمرأً وقانوناً، وتشيع في المجتمع، وتغدو قاعدة للحكم والامثال.

ثمّ يشير الإمام عليه السلام إلى نقطة مهمّة وهي أنّنا ينبغي أن لا نتوقّع أن كلّ ما يقوله الأشخاص الذين جرّوا المجتمع الإسلاميّ إلى الانحراف باطل وغالط ، لأنّ بطلان دعوتهم سيّضح حينئذٍ ويفقدون الدعم الجماهيريّ وتُحبط مؤامرتهم. فيستغلّون سياسة مزج الحقّ بالباطل من أجل أن لا يواجهوا هذا المأزق. ثمّ يروي عليه السلام كلاماً عن النبيّ ﷺ تنبّأ فيه بظروف المجتمع في عصر الإمام عليه السلام، فقال:

«كيف أنتم إذا لبستم فتنة، يربو فيها الصغير ويهرم فيها الكبير، يجري الناس عليها ويتخذونها سنة، فإذا غيّر منها شيء قيل: قد غيّرت السنة، وقد أتى الناس منكراً»^(٢).

ويواصل النبيّ ﷺ كلامه فيشير إلى المستقبل الخطر، حين يعضد الفقهاء والمحدّثون البائعون دينهم ساسة عصورهم، فيقول:

«ثمّ تشتدّ البلية... وينفقّهون لغير الله، ويتعلّمون لغير العمل، ويطلبون الدنيا بأعمال الآخرة»^(٣).

ويصرّح الإمام عليه السلام بعد ذكر هذه المقدّمات أنّ ممارسات معاكسة شاعت في المجتمع الإسلاميّ قبل خلافته. فإذا أراد أن يحمل الناس على تركها ويبعد المجتمع إلى ما كان عليه في عهد النبيّ ﷺ تفرّق عنه جنده وبقي وحده، أو بقي معه ثلّة من أصحابه

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٥٠.

(٢) الكافي: ٢١ / ٥٩ / ٨.

(٣) نفسه.

الذين كانوا يعرفونه جيّداً.

ويطرح ﷺ - وهو يواصل حديثه - مفردات كثيرة من الانحرافات والبدع التي انتشرت بين الناس متخذة طابع السنّة. ويذكر في آخر كلامه أنّه أراد أن يغيّر إحدى البدع فجوبه باعتراض الناس. قال:

«والله لقد أمرتُ الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان إلّا في فريضة، وأعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعة، فتنادى بعض أهل عسكري مَن يقاتل معي: يا أهل الإسلام، غيّرت سنّة عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعاً، ولقد خفتُ أن يثوروا في ناحية جانب عسكري»^(١).

أجل، إنّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ الذي لم يُهادن معاوية لحظة واحدة، ولم يمنح طلحة والزبير امتيازاً يُذكر، ويصطدم بالمتغطرسين ومكّدسي الثروة منذ بداية خلافته، يتراجع أمام الرأي العام ولا يتعجل في مواجهة الانحرافات والتي اتخذت طابعاً دينياً والتي يفضي تصحيحها إلى سخط الناس وإضعاف الحكومة الإسلامية، ويستعمل غاية الكياسة والسياسة في مواجهتها. وهذا النهج درس عظيم للحكومات التي تريد أن تسير سيرته.

الخلاصة

☐ ضرورة اتّصاف القائد بمداواة الناس أمر منطقيّ وبديهيّ من منظار الأمم والشعوب كافّة. أمّا من منظار الذين يفكّرون برضا الناس مقابل رضا الله تعالى، فإنّه يبدو سقيماً ومشيناً للقادة الربّانيين أوّل وهلة.

☐ إنّ تلبية مطالب الناس الشرعيّة حسب الرؤية الإسلاميّة ليست في مقابل مرضاة الله تعالى، بل إنّها تطرّد في مرضاته.

☐ قد تسيطر الثقافة الغالطة على المجتمع بنحوٍ يستتبع الاصطدامُ بها سخطاً عاماً. وفي مثل هذه الحالة يجوز العدول عن سياسة مداواة الناس ما لم تهدّد أصول الإسلام وأهدافه.

☐ سياسة النبي ﷺ في مداواة الناس: تأمين رضاهم بلا عدول عن المبادئ الإسلاميّة. من هنا كان يدفع مبالغ معيّنة من بيت المال لتأليف قلوب الأعداء ووقاية المسلمين الجُدد من الانحراف. كما كان يعفو عن بعض المجرمين والمتأمّرين المحكومين بعقوبات شاقّة.

☐ كانت سياسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في مداواة الناس كسياسة النبي ﷺ. وبدأ بمقارعة الانحرافات التي كانت تهدّد أساس الإسلام منذ اليوم الأوّل لخلافته. بيد أنّه لم يتعجّل في مواجهة البدع التي كان الناس قد ألفوها.

الفصل الثامن

الجاذبيّة الأخلاقيّة

الجاذبيّة الأخلاقيّة سرّ قدرة القيادة ونجاحها. والقائد يستطيع بواسطتها أن يستقطب الأذواق المتنوّعة ويقرّب وجهات النظر المتباينة ويجعلها في مسار أهدافه، وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتصفون بهذه الجاذبيّة.

وقد عرفنا أنّ القيادة الأخلاقيّة في الإسلام وغيره من الأديان السماويّة شرط أساس للقيادة السياسيّة^(١). من هنا كان الأنبياء وأوصياؤهم أسوةً لغيرهم في الجانب الأخلاقيّ، كما كانت الجاذبيّة الأخلاقيّة أحد الأبعاد المهمّة لشخصيّتهم المعنويّة.

الجاذبيّة الأخلاقيّة لنبيّنا ﷺ

يرى القرآن الكريم أنّ الجاذبيّة الأخلاقيّة للنبيّ ﷺ هي سرّ نجاحه في قيادته الحكيمة. قال تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا

(١) انظر الفصل الثاني من القسم الأوّل.

مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ»^(١).

كان للأخلاق الكريمة التي عُرِفَ بها رسول الله ﷺ - خاصةً حلمه ولينه - في تعامله مع عرب الجاهلية المعروفين بفظاظتهم دور بالغ الأهمية في اجتذابهم وتنظيمهم من أجل تشكيل النواة الأولى للحكومة الإسلامية في العالم. ولولا تلك الجاذبية لأفردته الناس من غير شك كما توسم القرآن الكريم ذلك. قال الشاعر جلال الدين الرومي ما ترجمته :

أنقذ أناساً كثيرين من القتل بسيف حلمه ، سيف الحِلْم أقطع من سيف الحديد ،
بل هو يحقق نصراً لا يحققه مائة جيش .

يوصي الله تعالى نبيه الكريم أن يعفو عن أخطاء أمته ، وأن يشاورهم في الأمور المختلفة لتسيطاً لجاذبيته الأخلاقية أكثر فأكثر .

وبلغ ﷺ الكمال المطلوب بتعليم الوحي الإلهي وتربيته له حتى برّ جميع القادة الربانيين ، فأثنى عليه ربّه جلّ شأنه بقوله :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

لا جرم أننا لا يمكن أن نجد بين قادة التاريخ البشري من أحبه الناس وتعلقوا به ونفذ حبه في أعماق قلوبهم وضمائرهم كرسول الله ﷺ . ومن هنا اتهمه الأعداء بالسحر ، وهذه التهمة دليل حسن على إثبات جاذبيته الأخلاقية ونفوذه الخارق في نفوس الناس .

قال ابن أبي الحديد :

«... فإنه كان لا يسمع أحدٌ كلامه إلاّ أحبه ومال إليه ، ولذلك كانت قريش

تسمي المسلمين قبل الهجرة : «الصُّبَاة» ، ويقولون : نخاف أن يصبو الوليد بن

(١) آل عمران : ١٥٩ .

(٢) القلم : ٤ .

المغيرة إلى دين محمد ﷺ. ولئن صبا الوليد وهو ريحانة قريش لتصبون قريش بأجمعها. وقالوا فيه: ما كلامه إلا السحر، وإنه ليفعل بالألباب فوق ما تفعل الخمر، ونهوا صبيانهم عن الجلوس إليه لئلا يستميلهم بكلامه وشمائله، وكان إذا صلى في الحجر وجهر يجعلون أصابعهم في آذانهم خوفاً أن يسحروهم ويستميلهم بقراءته وبوعظه وتذكيره... «جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم»... لأنهم كانوا يهربون إذا سمعوه يتلو القرآن خوفاً أن يغير عقائدهم في أصنامهم...»^(١).

وينقل لنا التاريخ حكايات عذبة كثيرة عن جاذبية النبي ﷺ التي لا نظير لها بالنسبة إلى أصحابه، ولا مجال لنا أن نوردها هنا جميعاً، فنكتفي بالإشارة إلى غोज منها يحمل لنا اعترافاً لألد أعدائه ﷺ، وهو أبو سفيان.

اعتراف العدو

في السنة الثالثة من الهجرة دعا كفّار هُذيل ستّة من المسلمين لتعليمهم القرآن وأحكام الإسلام. وكانوا يريدون القبض عليهم وتسليمهم لكفّار قريش. ولما علم المسلمون بمكيدتهم أخذوا أسياфهم ليقاتلوهم. فقتل ثلاثة منهم، واستسلم ثلاثة. فربطت هُذيل الأسرى الثلاثة بالحبال ثم خرجوا بهم إلى مكة ليسلموهم لقريش.

انترع أحدهم - وهو عبدالله بن طارق - يده من القرآن (الحبل) ثم أخذ سيفه، واستأخر عنه القوم، فرمّوه بالحجارة حتّى قتلوه. أمّا الآخران - وهما حُبيب بن عديّ وزيد بن الدثنة - فقدّموا بهما مكة، فباعوهما من قريش بأسيرين من هُذيل كانا

(١) شرح نهج البلاغة: ٦ / ٣٩٠. وانظر تفسير مجمع البيان: ١٠ / ٥٨٤ / ٩ / ١٦، السيرة الحلبية: ١ / ٣٠٣.

بمكة....

ابتاع صفوان بن أمية زيد بن الدثنة ليقتله بأبيه أمية بن خلف... واجتمع رهط من قريش فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّمَ ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك؟ قال: «والله، ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تُصيبه شوكة تؤذيه، وإنِّي جالس في أهلي».

فغَرَّ أبو سفيان فاه متعجباً، والتفت إلى من حضر، فقال:

«ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً»^(١).

الخلاصة

☐ الجاذبية الأخلاقية سرّ نجاح القيادة، وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتصفون بها.

☐ القيادة الأخلاقية في كافة الأديان السماوية شرط للقيادة السياسية، والجاذبية الأخلاقية أحد أبعاد الشخصية الأخلاقية للقادة الربانيين.

☐ يرى القرآن الكريم أنّ الجاذبية الأخلاقية للنبي ﷺ سرّ نجاحه. ولولاها لأفردته الناس ولما انتصر الإسلام.

☐ لا نجد بين القادة في التاريخ قائداً أحبه أتباعه وتعلقوا به كرسول الله ﷺ. ومن هنا اتهمه أعداؤه بالسحر.

الفصل التاسع

السبق إلى العمل

يرى الإسلام أن أكفأ إنسان للقيادة السياسيّة هو من كان سباقاً في مسيره نحو غاية القيادة الربانيّة والسلوك إلى الله، وكان طليعة الناس في تحرّكه شطر القيم، مضافاً إلى اتّصافه بجميع المواصفات الضروريّة لإدارة المجتمع . فالقائد السياسيّ قائد أخلاقيّ أيضاً، بل إنّ القيادة الأخلاقيّة أهمّ قواعد القيادة السياسيّة في الإسلام. والإمام -بالمفهوم المطلق- هو من كان في ذروة الكمالات الروحيّة جميعها كإبراهيم عليه السلام . قال تعالى:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾^(١).

وكان نبيّنا ﷺ أُسْوَةً كإبراهيم الخليل عليه السلام :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ
وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢).

(١) الممتحنة: ٤.

(٢) الأحزاب: ٢١.

الناس يحبّون من كان سباقاً في العمل بما يقول ويدعو الناس إليه ، ويتفاعلون مع قيادته من الصميم . وإنَّ أحد البواعث المهمّة على جاذبيّة النبي ﷺ ونفوذه وقاعدته الشعبيّة بين أتباعه هو أنّه كان سباقاً إلى العمل بجميع الشعارات التي كان ينادي بها . إذا كان ينادي بشعار التوحيد فهو أوّل الموحدّين ، ولم يعتمد إلاّ على الله في حياته الفرديّة والاجتماعيّة والسياسيّة ، حتّى أنّه لم يستعن بالمشرّكين في أحلك الظروف التي مرّ بها .

وإذا كان يدعو الناس إلى العبادة وإقامة الليل فهو أكثرهم عبادةً ، حتّى أراد الله تعالى منه أن لا يشقّ على نفسه كثيراً :

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(١) .

وإذا كان ينادي بشعار العدالة فهو أوّل الناس في تطييقها على نفسه وأولي قربه . حتّى أنّه عندما كان يجلس بين أصحابه يعدل في تقسيم نظراته بينهم . وإذا كان يرفع شعار دعم المستضعفين فهو كأحدهم في عيشه .

يقسم الإمام الباقر عليه السلام بالله أن النبي ﷺ لم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام متوالية منذ بعثته حتّى وفاته^(٢) ، في حين كان قادراً أن يعيش حياة الدعة والنعيم والرخاء . بيد أنّه كان يؤثّر الآخرين على نفسه وعلى عائلته .

قال أبو هريرة :

«ما شبع رسول الله ﷺ وأهله ثلاثاً تباعاً من خبز البرّ حتّى فارق الدنيا»^(٣) .

قال عمر :

«استأذنت على رسول الله ﷺ فدخلت عليه في مشربة ، وإنّه لمضطجع على

(١) طه : ٢ .

(٢) انظر الكافي : ٨ / ١٣٠ / ١٠٠ .

(٣) سنن الترمذي : ٤ / ٥٧٩ / ٢٣٥٨ .

خصفة، إن بعضه على التراب وتحت رأسه وسادة محشوة ليفاً! وإن فوق رأسه لإهاباً عطناً^(١)، وفي ناحية المشربة قرظ^(٢). فسَلِّمْتُ عليه فجلست. فقلت: أنت نبي الله وصفوته، وكسرى وقيصر على سرور الذهب وفرش الديباج والحرير!؟ يا رسول الله، ما يؤذك خشونة ما أرى من فراشك وسريرك!؟ فقال: أولئك عجّلت لهم طبيّاتهم وهي وشيكة الانقطاع، وإنّا قوم أخرت لنا طبيّاتنا في آخرتنا. وإنّ فراش كسرى وقيصر في النار، وإنّ فراشي وسريري هذا عاقبتة إلى الجنّة^(٣).

وأشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى الحياة البسيطة الفقيرة التي كان يعيشها رسول الله ﷺ، وطلب من المسلمين أن يتأسوا بهذا القائد المطلق للأمة الإسلامية في مواجهتهم للمظاهر المادّية في الحياة. قال عليه السلام:

«فَتَأْسَ بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ ﷺ، فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَةً لِمَنْ تَأْسَى وَعِزًّا لِمَنْ تَعَزَّى. وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ التَّائِسِيُّ بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصِّ لِأَثَرِهِ، قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً، وَلَمْ يُعْرِهَا طَرْفًا، أَهْضَمُ أَهْلَ الدُّنْيَا كُشْحًا وَأَخْمَضُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا...»^(٤).

أجل، كان رسول الله ﷺ في جميع أبعاد حياته الفرديّة والاجتماعيّة سبّاقاً إلى العمل بكلّ ما كان يدعو الناس إليه. وهذا ما أدّى إلى جاذبيّته العديمة المثل وقيادته التي ليس لها بديل.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام مثله في ذلك سبّاقاً لأئمّته في العمل بما يقول. من هنا ورد في زيارته أنّه «مِيزَانُ الْأَعْمَالِ». أي: إنّ عمله فيما يرتبط بالله والناس ميزان لتقويم

(١) الإهاب: الجلد أو ما لم يُدبغ منه. وانعطن الجلد: وُضِعَ في الدباغ وترك حتّى انتن.

(٢) القَرْظُ: ورق السَلَم يُدبغ به. والسَلَم: جنس شجر شائك يُسْتَعْمَل ورقه في الدبغ.

(٣) انظر الترغيب والترهيب: ٤ / ٢٠٠، و: ص ٢٠١ / ١٢١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٦٠.

أعمال الآخرين. فصلاته وصيامه وإقامته لليل وجهاده وعدالته وصبره وشجاعته وزهده وجميع فضائله كل ذلك ملاك وميزان لتقويم الفضائل. وإذا كانت هذه الخصائص كلها عند الآخرين فكلما اقتربت من خصائص الإمام عليه السلام اقتربت من الكمال، وكلما ابتعدت كانت أنتقص.

وليس بمقدور التاريخ غابراً وحاضراً أن يرينا قائداً - بعد النبي صلى الله عليه وآله الذي كان إمام الأئمة - كعلي عليه السلام في سبقه إلى العمل. وكان القادة غير الربّانيين على مرّ التاريخ أولي قول لا أولي عمل، ولو ظهر بينهم من كان من أولي العمل فلا جرم أنه لم يكن سباقاً، وإذا ما تسلّم السلطة فإنه ينسى وعوده وشعاراته جميعها.

ولا يستطيع التاريخ أن يقدّم لنا قائداً كعلي عليه السلام إذ عاش عيشة الفقراء وهو في ذروة قدرته وعظمته. قال عليه السلام:

«إن الله جعلني إماماً لخلقه، ففرض عليّ التقدير في نفسي ومطعبي ومشربي وملبسي كضعفاء الناس، كي يفتدي الفقير بفقري ولا يطغي الغني غناه»^(١).

قال ابن أبي الحديد في سرّ المجاذبة التي لا نظير لها عند الإمام عليه السلام ونفوذ العجيب في قلوب الناس:

«قلت لأبي جعفر الحسني مرة: ما سبب حبّ الناس لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وعشقهم له وتهالكهم في هواه؟ ودعني في الجواب من حديث الشجاعة والعلم والفصاحة وغير ذلك من الخصائص التي رزقه الله سبحانه الكثير الطيّب منها!»
سؤال رائع ودقيق وجوابه لا يتيسّر ارتجالاً كما يبدو. ضحك أبو جعفر وقال:
«كم تجمع جراميزك^(٢) عليّ؟!» ثمّ عرض مقدّمة للجواب ورد فيها تحليل جميل لسخط معظم الناس على الدنيا. وذكر أنّ المستحقّين موتورون من الدنيا، وغير

(١) الكافي: ١/٤١٠، بحار الأنوار: ٤٠/٣٣٦، ميزان الحكمة: ٨٦٧.

(٢) الجراميز: القوائم.

المستحقين أيضاً. وأكثر المستحقين محرومون، حتى أنهم يحتاجون في أكثر الوقت إلى الطبقات التي لا استحقاق لها. أما غير المستحقين فلا يقنعون بعيشهم ولا يرضون بحالهم لما يلحقهم من حسد أمثالهم، بل يستزيدون ويطلبون حالاً فوق حالهم.

وقال بعد شرح هذه المقدمة :

«فمعلوم أن علياً عليه السلام كان مستحقاً محروماً، بل هو أمير المستحقين المحرومين

وسيدهم وكبيرهم».

وواصل كلامه قائلاً :

«ومعلوم أن الذين ينالهم الضيم وتلحقهم المذلة والهزيمة يتعصب بعضهم لبعض ويكونون إلباً ويداً واحدةً على المرزوقين الذين ظفروا بالدنيا... فما ظنك بما إذا كان منهم رجل عظيم القدر، جليل الخطر، كامل الشرف، جامع للفضائل!... وهو مع ذلك محروم محدود، وقد جرّعته الدنيا علاقمها... وحُكِّم فيه وفي بنيته وأهله ورهطه من لم يكن ما ناله من الإمرة والسلطان في حسابه... ثم كان في آخر الأمر أن قُتل هذا الرجل الجليل في محرابه، وقُتل بنوه بعده، وسُبي حريمه ونساؤه، وتبع أهله وبنو عمّه بالقتل والطرود والتشريد والسجون، مع فضلهم وزهدهم وعبادتهم وسخائهم وانتفاع الخلق بهم».

ثم استنتج ما نصّه :

«فهل يمكن أن لا يتعصب البشر كلهم مع هذا الشخص؟! وهل تستطيع القلوب أن لا تحبه وتهواه وتذوب فيه وتفنى في عشقه؟!...»^(١).

الخلاصة

- ☐ القيادة الأخلاقية في الإسلام أهمّ قواعد القيادة السياسية، وأكفأ إنسان للقيادة هو من كان سباقاً إلى القيم، مضافاً إلى ما يتحلّى به من الخصائص العلمية والإدارية.
- ☐ سبق القائد إلى العمل يجعله يعيش في قلوب الجماهير، ويتفاعل الناس قلبياً مع القائد الذي يروونه أسوة عملية للقيم.
- ☐ كان القادة غير الربانيين على مرّ التاريخ أولي قولٍ لا أولي عمل، وإذا تسلّموا السلطة فإنّهم ينسون وعودهم وشعاراتهم جميعاً.
- ☐ إنّ أحد البواغث المهمة على نفوذ النبي ﷺ وجميع القادة الربانيين الكبار في قلوب الناس سبقهم في التحرك نحو القيم.
- ☐ كان أمير المؤمنين عليه السلام سباقاً إلى العمل بعد النبي ﷺ. من هنا جاء في زيارته أنّه «ميزان الأعمال».

الفصل العاشر

الإيمان بالهدف

أهمّ واجب يقع على عاتق الإمام والقائد هو هداية المجتمع وقيادته نحو الهدف الذي يعتقد أنه هو الكمال المطلوب، ودعوة الناس إلى الجِدِّ والتفاني من أجل بلوغ السعادة، والتكامل المادّي أو المعنويّ أو كليهما.

إذا أراد القائد أن يُحسن القيام بواجبه فعليه :
أولاً: أن يؤمن بذلك الهدف ويعتقد به اعتقاداً راسخاً.

ثانياً: أن يستطيع إقناع الآخرين بالإيمان به.

إنّ من يدعو الآخرين إلى هدفٍ لا يؤمن به لا يستطيع أن يقنعهم بالإيمان به .
وتدلّ دراسة لتاريخ حياة القادة الناجحين - الرّبّانيّين منهم وغير الرّبّانيّين - على أنّهم كانوا جميعهم يتّصفون بهاتين الصفتين: الإيمان بالهدف، والقدرة على إقناع الآخرين بالإيمان به.

المثل الأعلى للإيمان

كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للقائد المؤمن بهدفه، المقتدر على إقناع الآخرين

بالإيمان به، وكلّ باحث منصف يدرس سيرته ﷺ يستطيع أن يستنتج بسهولة أنه كان يعتقد بما يقول، بل كان حائزاً على أرفع درجات الاعتقاد. وبين القرآن الكريم إيمانه واعتقاده ﷺ بالأهداف الإلهية بقوله:

﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾^(١).

وحياته بأسرها آية على إيمانه بأهداف رسالته، ودليل قاطع على تمكنه من إقناع الآخرين بالإيمان بها. وفيما يأتي نموذج رائع يمكن أن يثبت هاتين المزيّتين، ويتمثل في حادثة وقعت في بداية الرسالة:

صدع رسول الله ﷺ بدعوته تدريجاً، وكان ملموساً منذ الأيام الأولى للدعوة أن دعايات الأعداء والعراقيل التي كانوا يضعونها في طريق الدعوة لم تُجد شيئاً، فدخلت الدعوة في قلوب الناس سريعاً، وكان عدد المسلمين الذين آمنوا بذلك القائد السماويّ يزداد على تواتر الأيام. وبلغت جاذبية الإسلام ونفوذه في قلوب الناس مبلغاً شعر فيه عُتاة قريش بالخطر، إذ كانوا يرون بجلاء أن الأوضاع لو استمرت على هذا النسق فإنّ معظم الناس سيفيرون عقيدتهم ويركنون إلى الإسلام وقيادة نبيّه. من هنا عزموا على مواجهة هذا الخطر ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

ذهبوا في البداية إلى أبي طالب الحامي الوحيد للنبي ﷺ ورئيس قبيلة بني هاشم، فطلبوا منه أن يكفّ عن دعم النبي، وكان طلبهم - على ما نقل ابن هشام في سيرته - كالآتي:

«يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا وعاب ديننا وسفّه أعلامنا وضلّ

آباءنا، فإما أن تكفّه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه».

لم يُجِهم أبو طالب جواباً مقنعاً، وأبدى موقفاً سياسياً قوياً من خلال تهدّتهم

وإرجاعهم.

وسرعان ما انتشر الإسلام، فدفعهم ذلك إلى مواجهة أبي طالب بنحوٍ أشدّ من السابق، وتهديد بالحرب إذا ظلّ على دعمه للنبي ﷺ. قالوا له:

«يا أبا طالب، إنّ لك ستاً وشرفاً ومنزلةً فينا، وإنّا قد استهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، إنّنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهمنا حتّى تكفه عنا، أو ننازله وإنا في ذلك حتّى يهلك أحد الفريقين».

وهذه المرة أيضاً أجابهم أبو طالب مهدوءٍ يعبر عن مدى كياسته وفراسته قائلاً لهم: حسنًا، سأبلغ ابن أخي ما تريدون!

ذهبوا عنه، فتحدّث مع ابن أخيه وأبلغه كلامهم منتظرًا جوابه الذي يحدّد ميزان اعتقاده وإيمانه بهدفه، فقال ﷺ بحزم تامّ:

«يا عمّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته».

ثمّ فارق أبا طالب وعيناه مغرورتان بالدموع، ولم يتعد كثيراً حتّى ناداه وهو متأثّر بكلامه الذي يملك القلب، وبإيمانه القاطع بهدفه، فقال:

«اذهب يا بن أخي، فقل ما أحببت، فوالله لا أسلمك لشيءٍ أبداً»^(١).

واصل زعماء قريش سياستهم في الحدّ من انتشار الإسلام، واستخدموا مكائد وحيلاً مختلفة كالترهيب والترغيب والقذف وضروب الأذى النفسيّ والبدنيّ. بيد أنّ إيمان النبي ﷺ بهدفه المقدّس كان قويّاً إلى درجة أن كلّ شيءٍ لم يستطع أن يصدّه عن مواكبته.

ولا يداخلنا الشكّ أنّ رسول الله ﷺ لو كان يشعر بأدنى ضعف في اعتقاده لما

استطاع الصمود أمام تلك الضغوط بآجمعها.

إنّ الإيمان بالهدف أكبر رصيد للقادة الكبار في التاريخ من أجل مواجهة المشاكل ومقاومة المصاعب. لذا نلاحظ أنّ أهمّ نقطة ينبغي الالتفات إليها في إعداد المدراء الكفوئين الفعّالين هي تنشيط بُنية الإيمان والاعتقاد بالعمل الذي أنيط أو يناط بهم.

الخلاصة

- ▣ ينبغي للقائد أن يؤمن بهدفة ويُقنع الآخرين بذلك كي يتمكن من القيام بواجبه. وكان جميع القادة الكبار في العالم يتصفون بهاتين الصفتين.
- ▣ كان رسول الله ﷺ المثل الأعلى للقائد المؤمن بهدفة، المقتدر على جعل الآخرين يؤمنون به. وتاريخه المشرق دليل ساطع على ما نقول.
- ▣ من الضروريّ تنشيط بُنية الإيمان عند الأشخاص الذين تناط بهم مسؤولية معينة، وذلك من أجل إعداد المدراء الكفوئين الفعّالين.

الفصل الحادي عشر

الأمل بالنجاح

الأمل بالنجاح - إلى جانب الإيمان بالهدف - سرّ التقدّم في العمل . وينبغي للقائد أن يكون واثقاً بانتصاره ونجاحه في الهدف الذي يدعو الناس إليه . والقائد الذي لا أمل له بنجاحه لا يمتلك صورة واضحة للمستقبل . من هنا لا يتسنّى له أن يهب الناس الأمل والاطمئنان والنشاط . وهذه الصفة جديرة بالاهتمام أيضاً في دراسة الخصائص الروحية للقادة الناجحين في العالم .

النبي ﷺ والأمل بالنجاح

إحدى النقاط البارزة في قيادة النبي ﷺ هي أمله وثقته بالمستقبل . وكان منذ بداية قيادته يرى نجاحه بوضوح ، ويعرض للناس صورة جميلة طافحة بالأمل عنه . وكان يتحدث إليهم عن انتصارات عظمى ، ويبشّرهم بسعادة الدنيا والآخرة منذ الأيام الأولى لبعثته ، وذلك في ظروف عصيبة لم يتوقّع فيها أحد نجاح دعوته . وكان يقول بكلّ ثقة :

«أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان ، تملكون بهما

العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله»^(١).

الانتصار على الفرس والروم

إن إخبار النبي ﷺ في معركة الأحزاب بانتصار المسلمين على بلاد فارس والروم واليمن نموذج آخر لأمله واعتقاده الراسخ بنجاحه، ولاستثمار عنصر الأمل في القيادة. عاش المسلمون ظروفاً حالكة مخوفة بالأخطار في معركة الأحزاب. ذلك أن العدو شنّ عليهم هجوماً عنيفاً في عُقر دارهم، وطفقوا يحفرون الخندق باقتراح الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضوان الله عليه، ليحولوا دون تقدّم العدو إلى داخل المدينة. فعرضت في أثناء الحفر صخرة عظيمة لم يؤثر فيها المعول. فأخبروا نبيهم ﷺ فجاء، فلما رآها ألقى ثوبه وأخذ المعول فقال: بسم الله، ثمّ ضرب ضربةً فكسر ثلثها، وقال:

«الله أكبر! أعطيت مفاتيح الشام! والله إنني لأبصر قصورها الحمراء الساعة!».

ثمّ ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر فقال:

«الله أكبر! أعطيت مفاتيح فارس! والله إنني لأبصر قصر المدائن الأبيض!».

ثمّ ضرب الثالثة وقال: بسم الله، فقطع بقيّة الحجر وقال:

«الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن! والله إنني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا

الساعة!».

ولم يتوقع أحد تحقّق الانتصارت المذكورة في مثل تلك الأوضاع العصيبة المتوتّرة التي بلغت مبلغاً أن أحد الحاضرين قال للآخر بعد سماع الكلام النبوي: يَعدُّنا بكنوز

(١) الارشاد: ١/ ٤٩، كشف اليقين: ٤٨/ ٢٥، و: ص ٢٨٢ / ٣٢٥.

كسرى وقيصر ولا يأمن أحدنا أن يبرح مكانه خوفاً من العدو^(١)!.

الإخبار بظهور الإسلام على الدين كله

أخبر القرآن الكريم بانتصار الإسلام على سائر الأديان، وشموله كافة أنحاء المعمورة. قال تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

لا ريب أن أحد الأسرار الكبرى لهذا الإخبار هو إحياء عنصر الأمل بالنجاح في قلوب المسلمين، وحثهم على الاستقامة والصمود في مسار الأهداف العالمية للإسلام. من هنا فإن مثل هذه التنبؤات دروس في الإدارة والقيادة، مضافاً إلى أنها تبين حقيقة تاريخية مهمة تدل على صدق النبي ﷺ.

تفسير النجاح

تفسير النجاح في الإسلام نقطة مهمة في استثمار عنصر الأمل في القيادة الإسلامية.

لما كان هدف القائد في المذاهب المادية وما يماثلها هو التسلّط والتحكّم فحسب فإن الحرمان من المكاسب المادية يعدّ إخفاقاً، ومن ثمّ يُعقبه القنوط والتراجع. أمّا في الإسلام فإنّ الهدف هو أداء الواجب الإلهي.

فالقائد مكلف أن لا يدّخر وسعاً في تحقيق ما يريد الله تعالى، سواء أفلح في ذلك أم لم يفلح.

(١) انظر كنز العمال: ١٠/٤٤٣/٣٠٠٨٠.

(٢) الصف: ٩.

من هذا المنطلق لا معنى لكلمة «الهزيمة» في قاموس القيادة الإسلامية ، لأنّ الهدف الوحيد هو أداء الواجب ، وذلك قريب المنال بأيّ نحو كان . وجاء هذا التفسير للنجاح بوضوح في الآية الكريمة الآتية :

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾^(١).

يرى الإسلام أنّ القضاء على عدوّ الحقّ والعدالة نجاح ، والقتل في طريق مقارعته نجاح أيضاً . فالتغلّب على العدوّ نصر ، والهزيمة نصر أيضاً . من هنا فإنّ المسلمين لا يُهمّزون في طريق النضال من أجل تحقيق الحكومة الإسلامية أبداً . وإنّ عدوّ الحقّ والعدالة لا يقطف نصراً أبداً ، وإنّ حقّ مكاسبه المادّيّة بعض الشيء .

إنّ من يقود أمة بهذا المنطق الرائع والفعال يتمتع بأعظم قدرة على تعبئة الجماهير الشعبيّة بغية إقامة الحكومة العادلة والإطاحة بالظلم .

كان مؤسس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة والقائد الكبير للثورة الإسلاميّة رضوان الله تعالى عليه يستهدي كثيراً بهذه القدرة لإيصال الثورة إلى مرفأ النصر ، والعمل على استمرارها . وفي ضوء هذا المنطق نحن مكلفون بأداء الواجب لا بالنتيجة ، ولا هدف لنا إلّا القيام بالتكليف الإلهي ، والمحافظة على استقامة الناس وصمودهم في أحلك الظروف ، وإنقاذ الثورة الإسلاميّة من الأزمات المستفحلة .

الخلاصة

☐ الأمل بالنجاح - إلى جانب الإيمان بالهدف - سرّ النجاح. والقائد الذي لا أمل له بنجاح أهدافه عاجز عن تحريك الناس ورفعهم بالأمل.

☐ من النقاط البارزة في قيادة النبي ﷺ أمله واطمئنانه إلى المستقبل. وكان يرى نجاح أهدافه بوضوح، ويتحدث عن انتصاراته الكبرى منذ بداية قيادته.

☐ تنبؤ النبي ﷺ في معركة الأحزاب بانتصار المسلمين على فارس والروم واليمن أحد النماذج المشرقة لاعتقاده الراسخ بنجاحه، ولاستثمار عنصر الأمل في القيادة.

☐ إن إحدى الحكم الكامنة في إخبار القرآن الكريم بانتصار الإسلام على سائر الأديان إحياء عنصر الأمل في نفوس الجماهير المسلمة وتحريكهم في مسار الأهداف العالمية للإسلام.

☐ تفسير النجاح في الإسلام نقطة مهمة في استثمار عنصر الأمل في القيادة الإسلامية. ولا معنى لكلمة «الهزيمة» في القيادة الإسلامية، لأن الهدف ليس إلّا أداء الواجب وهو قريب المنال بأيّ نحو كان.

الفصل الثاني عشر

عُلُوّ الهِمَّةِ

الهِمَّةُ في اللغة هي العزم والإرادة. وعُلُوّ الهِمَّةِ يعني الترفع عن مواكبة الأهداف النافهة الدنيئة، كما يعني الإرادة القويّة لتحقيق الأهداف الكبرى. وكلّما كانت هِمّة الإنسان أعلى من منظار الإسلام، فهي أكثر قيمةً. من هنا لا يرى الإسلام حدّاً لعلُوّ الهِمَّةِ، حتّى قال سيّدنا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «خَيْرُ الهِمَمِ أَعْلَاهَا»^(١).

ويعلمنا الإمام زين العابدين عليه السلام أن ندعو الله تعالى أن يمنّ علينا بأعلى الهِمَمِ^(٢).

آثار علُوّ الهِمَّةِ

إنّ كثيراً من الخصال الحميدة التي لها دور في بناء الشخصية الإنسانيّة وإحراز

(١) غرر الحكم: ٤٩٧٧.

(٢) قال عليه السلام: «اللَّهُمَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ وَأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَسْأَلُكَ ... مِنْ الْهِمَمِ أَعْلَاهَا». بحار الأنوار:

الفضائل المعنوية كالقناعة والكرم والحمية والشجاعة والعزة والإحسان وغيرها إنما هو نابع من علو الهمة، كما ورد في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

- «من شرف الهمة لزوم القناعة»^(١).
- «الكرم نتيجة علو الهمة»^(٢).
- «على قدر الهمة تكون الحمية»^(٣).
- «شجاعة الرجل على قدر همته»^(٤).
- «استجلب عز اليأس ببعد الهمة»^(٥).
- «من شرف الهمة بذل الإحسان»^(٦).
- «من كبرت همته كبر اهتمامه»^(٧).
- «الفعل الجميل ينبئ عن علو الهمة»^(٨).

آثار قصر الهمة

إنَّ قِصْرَ الهِمَّةِ - على عكس علو الهمة - أحد العقبات الأساسية التي تحول دون التحلي بالفضائل الإنسانية. نقرأ تعبيراً جميلاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه:

«مَنْ صَغُرَتْ هِمَّتُهُ بَطَلَتْ فَضِيلَتُهُ»^(٩).

من هنا يمكن أن نقيس قدر الإنسان ومنزلته وقيمه بمقياس همته، إذ أن:

«قَدَّرَ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ»^(١٠).

وفيدنا هذا المعيار أن الذين لا يفكرون إلا بإشباع بطونهم وتفرغها ليس لهم

(١-٤) غرر الحكم: ٩٤٣٥، ١٤٧٧، ٦١٧٤، ٥٧٦٣.

(٥) تحف العقول: ٢٨٦، بحار الأنوار: ١٦٤ / ٧٨.

(٦-٩) غرر الحكم: ٩٢٨٠، ٧٨٥٠، ١٣٨٨، ٨٠١٩.

(١٠) نهج البلاغة: الحكمة ٤٧.

قيمة إنسانية:

«مَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ مَا يَدْخُلُ بَطْنُهُ كَانَتْ قِيَمَتُهُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ»^(١).

إِنَّ أَوَّلِي الْأَفُقِ الضِّيقِ وَالْهِمَّةِ الدَّانِيَةِ لَا يُقَدَّرُ لَهُمُ النِّجَاحُ مِنَ الْوَجْهَةِ الْمَعْنَوِيَّةِ، وَلَا يَتَسَنَّى لَهُمْ أَنْ يَحْصُلُوا عَلَى مَوْقِعٍ فِي عَالَمِ الْمَادِّيَّاتِ.

نلاحظ أَنَّ تَطَوُّرَ الْإِنْسَانِ مَادِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا رَهِيْنُ بِهِمَّتِهِ. وَكَانَ الْعِظَاءُ جَمِيعُهُمْ ذَوِي هِمٍّ عَالِيَةٍ. قَالَ الشَّاعِرُ حَافِظُ الشِّيرَازِيِّ مَا تَرَجَّمَتْهُ:

كُنْ عَالِيِ الْهِمَّةِ، فَالْعِظَاءُ بَلَّغُوا الْمَقَامَ الرَّفِيعَ بِهِمَّتِهِمُ الْعَالِيَةِ.

وَقَالَ خَوَاجُو:

الْهِمَّةُ الْعَالِيَةُ تَعْلُو عَلَى الْفَلَكِ، وَبِهَا يَعْلُو الْمَرْءُ عَلَى الْمَلِكِ.

وَقَالَ وَحْشِي:

لَوْ كَانَتْ الْهِمَّةُ رَائِدَةً لَصَارَتْ الثَّمَلَةُ كَسَلِيمَانَ.

درس من حشرة!

نَقَلَ الْمُحَدِّثُ الْقَمِّي فِي كِتَابِ سَفِينَةِ الْبَحَارِ - فِي ذَيْلِ كَلِمَةِ «جُعَلْ»^(٢) - حِكَايَةَ مِفَادَهَا أَنَّ أَبَا الْحَبَّاجِ الْأَقْصَرَ الْعَارِفَ قِيلَ لَهُ يَوْمًا: مَنْ شَيْخُكَ؟

قَالَ: شَيْخِي أَبُو جَعْرَانَ. أَيُّ الْجُعَلِ!

فَظَنُّوا أَنَّهُ يَمْزِحُ، فَقَالَ: لَسْتُ أَمْزَحُ.

قِيلَ لَهُ: كَيْفَ؟

(١) غرر الحكم: ٨٨٣٠.

(٢) دويبة معروفة يسميها الناس «أبو جعران». سفينة البحار. وهي حشرة سوداء قبيحة لها جناحان تجلس على روث الحيوانات، وتسمى خنفساء الروث. معجم عميد (فارسي).

قال: كنت ليلة من ليالي الشتاء سهران، وإذا بأبي جعران يصعد منارة السراج فيزلق لكونها ملساء، ثم يرجع. فعددت عليه تلك الليلة سبعاً زلقة يرجع بعدها ولا يكل، فتعجبت في نفسي فخرجت إلى صلاة الصبح، ثم رجعت فإذا هو جالس فوق المنارة بجانب الفتيلة، فأخذت من ذلك ما أخذت. أي أنه تعلم منه الثبات مع الجد^(١).

نستنتج من هذا كله أن أفضل رصيد للسلوك إلى الحق وبلوغ قمة التكامل - حيث موقع الإنسان الكامل والإمامة - الإرادة القوية والهمة العالية، التي تدفع الإنسان إلى اختيار الله سبحانه وتعالى، كما كان الإمام العسكري عليه السلام يقول في قنوته:

«وقد علمتُ أن زادة الراحل إليك عزمُ إرادةٍ يختارك بها»^(٢).

قال الشاعر حافظ الشيرازي ما ترجمته:

البحر والجبل في طريقي وأنا ضعيف ومُتعب، فزُد في همتي أيها الخضر المبارك.

علو الهمة والقيادة

إذا لاحظنا ما جاء في هذا الفصل تبين لنا أن ضرورة علو الهمة للقائد لا تحتاج إلى مزيد من التوضيح. وكان القادة جميعهم يتحلون بهذه الصفة، ويستثمرون هذا الرصيد الثمين من أجل بلوغ أهدافهم.

ونجد في دراسة سيرة القادة الربانيين الكبار - خاصة رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم - أن علو همهم لافت للنظر ويعلم دروساً مفيدة كثيرة. ومن المناسب التوفر على دراسة سيرتهم عليهم السلام، وعرض نماذج من علو همهم على الأمم والشعوب. ونشير فيما يأتي إلى نموذجين من نماذج علو الهمة عند رسول الله ﷺ:

(١) سفينة البحار: ٦٠٩/١.

(٢) البلد الأمين: ٥٦٨ قسم قنوتات الأئمة عليهم السلام، بحار الأنوار: ٢٥٧/٨٥.

أ - حكومة الإسلام العالمية

كان ﷺ يأخذ بعين الاعتبار أسمى هدفٍ في جميع الأعمال، ويخطّط من أجل بلوغه. وكان أكبر هدفه إقامة حكومة الإسلام العالمية، وكان يعتقد أنه سيأتي اليوم الذي ترفرف فيه راية التوحيد على ربوع المعمورة، ويحكم المسلمون العالم^(١).

ب - اجتثاث جذور الجهل

ينبغي تطهير المجتمع من الجهل وذلك لإقامة حكومة الإسلام العالمية على سنّة الأنبياء، لأنّ حكومة الطاغوت - بأيّ اسم وشكل كانت - تستغلّ جهل الناس. وجعل رسول الله ﷺ مكافحة الجهل بصورة شاملة في صدر أعماله جميعها من خلال هذه الرؤية:

«العلمُ رأسُ الخيرِ كلّهُ، والجهلُ رأسُ الشرِّ كلّهُ»^(٢).

وأوصى أتباعه قائلاً:

«اغْذُ عالِماً أو متعلِّماً، ولا تكن إمعة»^(٣).

و «الإمعة» هو مَنْ ليس له رأي في الأمور، بل يقلّد الآخرين تقليداً أعمى. كان هدف القيادة النبويّة بناء أمةٍ لا جاهل فيها، إلّا من كان في طريقه إلى التعلّم. وفي ضوء ذلك لا يتحقّق هدف النبي ﷺ ما لم يقطع دابر الجهل في المجتمع. وهذا الهدف في غاية الرفع، تواكبه الهمة العالية للنبي ﷺ وجميع القادة الربّانيين^(٤).

(١) انظر «الأمل بالنجاح» وهو الفصل الحادي عشر من هذا القسم.

(٢) جامع الأحاديث: ١٠٢، بحار الأنوار: ١٧٥ / ٧٧.

(٣) بحار الأنوار: ٢٢ / ٢. وقال الإمام الكاظم عليه السلام: ابلغ خيراً وقل خيراً ولا تكونن إمعةً.

(٤) انظر مباني شناخت (أسس المعرفة): ٤٧، ٢٥.

الخلاصة

- ☐ الهمة هي العزم والإرادة. والإسلام لا يرى حذاً لعلو الهمة، ويرى أن أفضل الهمم أعلاها.
- ☐ تنبثق كثير من الفضائل الإنسانية كالقناعة والكرم والحمية والشجاعة والعزة والإحسان من علو الهمة.
- ☐ قصر الهمة أحد العقبات الأساسية في طريق بلوغ الفضائل الإنسانية. ومن كان قصير الهمة فلا يتسنى له أن يحرز نجاحاً في الشؤون المادية والمعنوية .
- ☐ علو الهمة أحد الشروط المهمة للقيادة. وكان جميع القادة الكبار في التاريخ يتحلون بها، ويستثمرونها في متابعة أهدافهم.
- ☐ نلاحظ في دراسة سيرة القادة الربانيين العظام - خاصة نبينا وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين - أن علو هممهم يعلمنا دروساً كثيرة.
- ☐ إقامة الحكومة الإسلامية العالمية واجتثاث جذور الجهل من المجتمع والتخطيط لتنظيم أكبر قوة عسكرية في العالم نماذج من علو الهمة النبوية.
- ☐ علو الهمة عند النبي ﷺ باتجاه بناء الأمة النموذجية نابع من علو همته في بناء نفسه حقاً. وقد بلغ ﷺ أرفع درجات الكمال الإنساني في هذا المجال.

الفصل الثالث عشر

الصبر

أكد القرآن الكريم على شرطين من بين شروط القيادة، وهما : الصبر، واليقين. ويدلّ هذا الاهتمام القرآنيّ على أنّهما يتصدّران خصائص الإمامة والقيادة برمتها. وسوف نتحدّث عن اليقين في الفصل الرابع عشر. أمّا الصبر فستوفّر على دراسته في هذا الفصل.

القيادة والمقاومة

نقرأ في الآية ٢٤ من سورة السجدة قوله تعالى :

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

الصبر بمعنى التجلّد ومقاومة المصاعب والمحن والمشكلات الفرديّة والاجتماعيّة، وهو أحد الشروط الأصليّة الضروريّة للقيادة.

ويرى الإسلام أنّ على الناس قاطبة أن يكونوا مقاومين صابرين في أعمالهم

كلّها، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام:

«الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له»^(١).

وبدونه تُفنى الأعمال بالفساد والتخلخل. بيد أن قائد المجتمع الإسلامي الذي يتولّى إمامة الصابرين والمقاومين ينبغي أن يتحلّى بهذه الصفة قبل الآخرين وأكثر منهم.

إن أولى الإرادة الحاضرة يفقدون روح المقاومة والصمود، ولا طاقة لهم على تحمّل النضال ومواجهة الحوادث الكبرى ومشكلات إدارة المجتمع. من هنا فإنّ تقليدهم أمر القيادة غير سديد، بل هو خطر.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في اليوم الثاني من خلافته التي اضطلع بها بعد إصرار شديد من الناس، مبيّناً أهمّ شروط القائد:

«لا يحمل هذا الأمر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الأمر»^(٢).

وجاء هذا المعنى في نهج البلاغة أيضاً:

«إن أحقّ الناس بهذا الأمر أقوامهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه... ولا يحمل هذا

العَلَمُ إلا أهل البصر والصبر والعلم بمواقع الحق»^(٣).

يذكر الإمام عليه السلام في هذين القولين عنصر الصبر والصمود - إلى جانب الرؤية السياسيّة والوعي القيادي - بوصفه أحد العناصر الأصليّة في القيادة، وأحد خصائص القائد. وهكذا يحذّر نفسه وأتباعه من المؤامرات الخفيّة، وذلك في سياق تبيان شروط القائد الذي يستطيع أن يمكس بزمام الأمور في المجتمع الإسلامي.

(١) البحار: ٢٧/٣٧٦/٦٩.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٣٦/٧.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٧٣.

الإخلاص في الثبات

لا ريب أن للثبات دوراً مصيرياً في إحراز الكفاءة القيادية؛ لأن شرط الإمامة والقيادة هو مواجهة المشكلات المتنوعة. فالأشخاص غير المقاومين الذين يتأثرون بسرعة لا طاقة لهم على مواجهة هذه المشكلات.

وما يستحق الدراسة في هذا الشرط هو الحافظ الذي يشجع القائد في الإسلام على المقاومة. لا أرى الحافظ إلا الله تعالى وابتغاء مرضاته، وتطبيق الإسلام في المجتمع. قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾^(١).

الصمود والمقاومة من أجل الله سبحانه وكسب رضاه ليس إلا السعي من أجل التكامل المادّي والمعنوي، والمقاومة لتطبيق الإسلام في المجتمع. من هذا المنطلق، ليس الحافظ على الصبر والمقاومة في القيادة الإسلامية سياسياً - بالمعنى التقليدي للسياسة - بل هو إلهي في مسار هداية الإنسان نحو الكمال المطلق. تحقيقاً لهذا الهدف، على القائد - كخطوة أولى - أن يكون غوذجاً للإنسان الكامل كي يستطيع أن يقود الآخرين شطر الكمال المطلق. من هنا فإن لعنصر الصبر في القيادة الإسلامية دوراً مؤثراً في بناء شخصيّة القائد نفسه وتنضيج قابليّاته قبل قيامه في مواجهة المشكلات السياسيّة والاجتماعيّة.

أمر الله تعالى نبيه بالصبر والاستقامة

كان القادة الربّانيون الكبار كافة يتصفون بمزيّة الصبر. وأمر الله سبحانه نبيه ﷺ

أن يتحقق بالصبر والثبات في مواجهة المشكلات، كما فعل الأنبياء العظام جميعهم من قبله. قال تعالى:

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَرْشِ مِنَ الرُّسُلِ﴾^(١).

وقال سبحانه:

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٢).

قال ابن عباس: ما نزل على رسول الله ﷺ آية كانت أشد عليه ولا أشق من هذه الآية. ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: أسرع إليك الشيب يا رسول الله! «شَيَّبَنِي هُودُ وَالْوَأَقَةُ!»^(٣).

ورد حديث جامع ورائع عن الإمام الصادق عليه السلام في صبر القادة الربانيين ومقاومتهم في مواجهة ضروب الشذوذ الاجتماعي، وتسلم زمام الأمور، وفيما يأتي ملخصه:

... إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ فَأَمَرَهُ بِالصَّبْرِ وَالرَّفْقِ، فَقَالَ:

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُزْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾^(٤).

وقال تبارك وتعالى:

﴿إِذْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ

حَمِيمٌ * وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾^(٥).

فصبر رسول الله ﷺ حتّى نالوه بالعظام ورموه بها (أي: الكذب والجنون)،

(١) الأحقاف: ٣٥.

(٢) هود: ١١٢.

(٣) مجمع البيان: ٣٠٤ / ٥.

(٤) المزمل: ١٠.

(٥) فصلت: ٣٤ و ٣٥.

فضاق صدره، فأنزل الله عز وجل:

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ
وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١).

ثم كذبوه ورموه، فحزن لذلك، فأنزل الله عز وجل:

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذِبُونَكَ وَلَكِنْ
الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ
فَصَبِرُوا عَلَى مَا كَذَّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا...﴾^(٢).

فألزم النبي ﷺ نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى وكذبوه، فقال ﷺ:
قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي، ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عز وجل:
﴿... فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾^(٣).

فصبر النبي ﷺ في جميع أحواله... (ثم تمهدت الأمور للانتصار النهائي على
المشركين)، فقتلهم الله على يدي رسول الله ﷺ وأحبابه (وأقيمت الحكومة الإسلامية
بقيادة رسول الله ﷺ) وجعل له ثواب صبره مع ما ادّخر له في الآخرة. فمن صبر
واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقرّ [الله] له عينه في أعدائه، مع ما يدّخر له في
الآخرة^(٤).

(١) الحجر: ٩٧ و ٩٨.

(٢) الأنعام: ٣٣ و ٣٤.

(٣) ق: ٣٩.

(٤) الكافي: ٢ / ٨٨ / ٣، ملخصاً مع توضيح يسير.

الخلاصة

▣ الصبر واليقين - من منظار القرآن الكريم - أهمّ خصائص الإمام وشروط القيادة.

▣ يرى الإسلام أنّ الناس ينبغي أن يكونوا مقاومين صابرين في جميع أعمالهم. وحرّيّ بقائد المجتمع الإسلاميّ أن يتحلّى بالصبر والمقاومة قبل الآخرين، وأكثر منهم.

▣ الحافز على الصبر في القيادة الإسلاميّة ليس سياسيّاً - بالمفهوم التقليديّ للسياسة - بل هو إلهيّ يصبّ في مسار هداية الإنسان نحو الكمال المطلق.

▣ للصبر دورٌ مؤثّر في بناء شخصيّة القائد الإسلاميّ وتنضيجها قبل دوره في مواجهة المشكلات السياسيّة والاجتماعيّة.

▣ أوصى الله تعالى نبيّه الكريم ﷺ أن يتجهّز بالصبر والثبات في مواجهة المشكلات، كما فعل الأنبياء العظام ﷺ جميعاً من قبله.

▣ في ضوء السنّة الإلهيّة الثابتة: كلّ من صبر وقاوم لله تعالى فإنّه سينتصر على الأعداء مع ما يدّخر له من الثواب الأخرويّ. وكان انتصار نبيّنا ﷺ ثمرةً لصبره وثباته.

الفصل الرابع عشر

اليقين

اليقين في اللغة هو الإدراك العميق، والعلم المصحوب بركون القلب إلى المعلوم^(١). ويطلق في الأحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للإنسان في أعلى درجات التقوى نتيجةً لوضوح حقائق الوجود. من هنا فإنَّ من يبلغ درجة اليقين الرفيعة يشاهد الحقائق العقليَّة بعين بصيرته^(٢).

أهم خصائص الإمامة

إذا لاحظنا الأحاديث والروايات بدقَّة عرفنا أنَّ اليقين من أهمِّ شروط القيادة في الإسلام، بحيث إنَّ جميع الخصائص الرفيعة للإنسان تنبع منه. وكلِّما قويَّ اليقين في المرء نضجت فطرته الإنسانيَّة أكثر، واقترب من الكمال المطلق، وفاز بمقام الإنسان الكامل والإمامة المطلقة والولاية الإلهيَّة الكلِّيَّة في أرفع درجات «اليقين».

(١) اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتها... وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم. (المفردات للراغب).

(٢) انظر كتابنا مباني خدا شناسي (أُسس معرفة الله): ٤٦٦ و ٤٧٦.

يمكن أن نعدّ أبرز الخصائص التي تستمدّ من «اليقين» وتُمدّد القائد والقيادة بالحركيّة والنضج كالآتي:

١- الصبر

ذكرنا آنفاً أنّ الصبر على الشدائد ومقاومتها أحد الخصائص المهمّة للقيادة. وترى الأحاديث والروايات أنّ الصبر ثمرة اليقين وأوّل لوازمه.

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«الصبر ثمرة اليقين»^(١).

«الصبر أوّل لوازم الإيقان»^(٢).

«سلاح الموقن الصبر على البلاء والشكر في الرخاء»^(٣).

نلاحظ أنّ الصبر - في كلام الإمام عليه السلام - أقرب فروع الفضائل الإنسانيّة إلى اليقين. فإذا اعتقد الإنسان بحقائق الوجود - وعلى رأسها المبدأ والمعاد - وأدرك الغاية من خلقه وخلق الوجود فإنّ أوّل ثمرة لهذا الاعتقاد هو تحمّل جميع الشدائد من أجل تطبيق التوجيهات الربّانيّة في مجال ضمان مستقبل واضح له، وبلوغ الغاية من خلقه. فالصبر سلاح فعال لأولي اليقين في ميدان مقارعة الشدائد والمحن.

٢- التوكّل

التوكّل أحد اللوازم الأخرى للقيادة. وعُدّ في المعرفة الإسلاميّة من آثار «اليقين» أيضاً. وعندما سأل نبيّنا صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام عن التوكّل قال:

«العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع، ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من

(١) غرر الحكم: ٤١١.

(٢) غرر الحكم: ١٥٨٠.

(٣) غرر الحكم: ٥٥٦٠.

الخلق ، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ، ولم يرج ولم يخف سوى الله ، ولم يطمع في أحد سوى الله ، فهذا هو التوكل^(١).

وبعبارة واحدة: التوكل هو الانتقطاع عن الخلق والإقبال على الله تعالى في كافة الأعمال. فالقائد الذي لا يتوكل على الله ويحسب أن أنصاره هم الرصيد ويبدعهم نفعه وضره لا يمكنه أن يطبق العدالة الاجتماعية. وهو يحترم حقوق الناس ما دامت لا تهدد مصالحه الخاصة ومصالح أنصاره. وإذا شعر بالخطر فإن الهوى أو الخوف يحول دون تطبيق الحق والعدل.

أما القائد الذي يتوكل على الله وحده ولا يخشى أحداً سواه ولا يرجو غيره فهو قادر بهذه القوة على إزالة أكبر العقبات التي تحول دون تطبيق العدالة الاجتماعية، وعلى هداية المجتمع نحو قيم التكامل.

دور اليقين في التوكل

التوكل في الأحاديث والروايات ثمة اليقين. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«التوكل من قوة اليقين»^(٢).

«بحسن التوكل يستدل على حسن الإيقان»^(٣).

كلما تقدّم الإنسان في معرفة ربه واكتمل يقينه قلّ اعتماده وتوكله على غيره، وزاد توكله عليه، وشعر باقتدار بالغ في نفسه لمقارعة الأخطار التي تهدد المجتمع الإنساني. من هنا كان الأنبياء العظام الذين بلغوا أعلى درجات اليقين يتدربون بسلاح التوكل على الله في مقابلة التهديدات المختلفة للقوى الاستكبارية.

(١) معاني الأخبار: ٢٦١ / ١، بحار الأنوار: ١٣٨ / ٧١، كنز الدقائق: ١٣ / ٣٠٨.

(٢) غرر الحكم: ٦٩٩.

(٣) غرر الحكم: ٤٢٨٦.

قال تعالى:

﴿وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَزَكَّى عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِبرَ عَلَى مَا آدَبْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾^(١).

٣- الإخلاص

هو صفة أخرى من صفات القادة الربّانيين. ويعني تهذيب النفس من الميول غير الربّانية، والخروج من عبادة الذات إلى عبادة الله تعالى وطلب مرضاته في جميع الأمور.

ما لم يخرج الإنسان من عبادة الذات إلى عبادة الله تعالى فإن الميول غير الربّانية لا تدعه يكون خادماً مخلصاً للأمة وإن شقّ شعار حمايته لها عنان السماء! ولهذا السبب تُفضي الرؤية المادّية في آخر المطاف إلى الفردية والاستبداد، كما هو الحال في المذهب الشيوعي.

المخلصون وحدهم هم الصادقون في شعار حماية الأمة، وهم الذين لا يتخذون من خدمتها ذريعةً لتحقيق مكاسبهم المادّية، وإحراز الشهرة والاستئثار بالسلطة، ولا يهتمهم إلا تحقيق مرضاة الله تعالى فحسب.

من هنا يختارون لأنفسهم العمل الأنفع للأمة، لا لأنفسهم وذوي قرباهم.

قال الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه في وصيته لابنه:

«أي بُني، لا تنهزب من المسؤولية الإنسانية المتمثلة بخدمة الحق في إطار خدمة الأمة، فإنّ نفثات الشيطان في هذا الميدان لا تقلّ عن نفثاته في نفوس المسؤولين والمتصدّين.

لا تنهافت على المنصب مهما كان، معنوياً أم مادياً بذريعة أنك تريد أن

تقترب من المعارف الإلهية أو تخدم عباد الله، فإن التفكير بذلك من وساوس الشيطان، فضلاً عن السعي من أجل الحصول عليه.

أسمع قلبك وروحك موعظة الله الواحدة، واقبلها جهد المستطاع، وسر في خطيها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَارٍ﴾^(١). فالميزان في أول السير هو القيام لله في الممارسات الفردية الخاصة وفي النشاطات الاجتماعية.

أي بُني، نحن عاجزون عن شكر نعمائه وآلائه، فما أحرانا أن لا نغفل عن خدمة عباده! إذ أن خدمتهم خدمة للحق، لأن الجميع منه تعالى. وإياك أن تمن في خدمتهم وترى نفسك منعماً عليهم، فهم الممتنون علينا حقاً، لأنهم واسطة خدمته جلّ وعلا. ولا تبغ شهرةً وجاهةً من وراء خدمتهم؛ فإن ذلك من مكائد الشيطان إذ يحتبلنا بحبائله.

واختر في خدمة عباد الله ما هو أنفع لهم، لا لك ولأحبائك، فهذه آية الصدق عند الله جلّ وعلا^(٢).

القادة الربانيون الكبار الذين حازوا على أعلى درجات الإخلاص يبغون خدمة الناس بكلّ ما أوتوا إرضاءً لله تعالى، ولا يرجون شيئاً لأنفسهم، فهم خدم صادقون بلا أجر ولا منّة^(٣).

إنهم لا يريدون أن يكسبوا مكسباً لقاء خدمتهم للناس حتى في أشق ظروفهم إرضاءً لله سبحانه.

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) صحيفة النور: ٣٥٩/٢٢، الرسالة المؤرخة في ١٧ شوال سنة ١٤٠٤ هـ.

(٣) انظر ص ٩٥ من هذا الكتاب.

قصة ذات عبرة من إخلاص موسى ﷺ

رُويت قصة ذات عبرة وسامعٍ عن أول لقاء جرى بين موسى ﷺ - قبل النبوة - وشعيب ﷺ .

لما توجه موسى ﷺ لتلقاء مدين - بلد شعيب ﷺ - فاراً من فرعون وجد أمة من الناس قد اجتمعوا على بئرٍ من أجل سقي قطعانهم، ووجد من دونهم امرأتين تذودان وهما بحاجة إلى من يسقي لهما أغنامهما، وكانتا بنتي النبي شعيب ﷺ . بيد أن موسى ﷺ لم يعرفهما، فسقى لهما وارتوت أغنامهما، ثم رجعتا إلى البيت .

كان موسى ﷺ يتضور من الجوع، فرفع يديه بالدعاء قائلاً:

«رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ»^(١).

قال أمير المؤمنين ﷺ: والله ما سأله إلا خبراً يأكله!

عادت إحدى البنيتين إلى موسى ﷺ، ودعته إلى البيت قائلةً له: إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا. فذهب معها، وكان العشاء جاهزاً، لكن موسى ﷺ ظل واقفاً ولم يجلس إلى المائدة.

دعاه شعيب ﷺ وقال: اجلس يا شاب، فتعش!

قال موسى: أعود بالله!

سأله شعيب متعجباً، ولم ذاك؟! ألسنت بجائع؟!

قال: بلى، ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما.

«وأنا من أهل بيت لا نبيع شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً».

قال شعيب: لا والله يا شاب، ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم

الطعام ، فجلس موسى يأكل^(١).

دور اليقين في الإخلاص

ترى الأحاديث والروايات الماثورة أنّ الإخلاص - بما له من دورٍ في قيادة القادة الربّانيين وخدمتهم الصادقة للناس - أحد فروع اليقين.

لنلتفت إلى عدد من أقوال الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام في هذا المجال ، قال :

«سبب الإخلاص اليقين»^(٢).

«إخلاص العمل من قوّة اليقين»^(٣).

«إنّ إخلاص العمل اليقين»^(٤).

إنّه كلّما قويّ يقين الإنسان بالله تعالى ضعفت ميوله غير الإلهيّة ، وبلغ الإخلاص الكامل في أرفع درجات اليقين ، وأصبح كفوءاً لخدمة خلق الله في موقع القيادة.

٤ - الزهد

هو أيضاً أحد خصائص القادة الربّانيين ، وأحد فروع اليقين.

الزهد ضدّ الرغبة ، وبمعنى عدم الميل . والقصد منه في النصوص الإسلاميّة هو الإعراض عن الظواهر المادّيّة والملذّات والمشاعغل الملهية التي تُفضي الرغبة فيها إلى توقّف الحركة التكامليّة للإنسان أو بطنها.

ينبغي للقائد من منظور الإسلام أن لا يمسك عن الملذّات فحسب ، لأنّ الإمساك تزهد لا زهد ، بل عليه أن يُميّت الجنوح إليها في نفسه ، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج

(١) بحار الأنوار : ١٣ / ٢١.

(٢) غرر الحكم : ٥٥٣٨.

(٣) غرر الحكم : ١٣٠١.

(٤) تحف العقول : ١٥١ ، بحار الأنوار : ٧٧ / ٢٩١.

البلاغة :

«مبته شهوته»^(١).

ذلك أن القائد والإمام في الإسلام أسوة وقدوة للأمة، فلا بد له أن يعلم المجتمع وأتباعه - بقوله وفعله - كيف يتحركون في مسار التكامل كي لا يقعوا في فخ المغريات المضللة، ولا يتناولوا على الحكمة من وراء خلقهم.

على القائد أن يعلم الناس عملياً كيف يحيون، كي لا تصدهم الثروة والسلطة والرئاسة والشهوات المختلفة عن التحرك نحو الكمال المطلق.

من هنا إذا كان القائد غير زاهدٍ فلا مناعة عنده من الانحراف نحو المغريات المادية، فكيف يكون أسوة للآخرين؟ وكيف يمكنه إيصاؤهم بأن لا يقعوا في فخ المغريات المضللة؟ وأخيراً كيف يدعو الأمة إلى الكمالات الإنسانية؟!

من هذا المنطلق عدّ الزهد في الثقافة الإسلامية من أوّل شروط النبوة والإمامة والقيادة، كما نقرأ في أوّل دعاء الندبة:

«... بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها، فشرطوا لك ذلك، وعلمت منهم الوفاء به، فقبلتهم وقربتهم وقدمت لهم الذكر العليّ والثناء الجليّ، وأهبطت عليهم ملائكتك، وكزمتهم بوحيك، ورقدتهم بعلمك...»^(٢).

دور اليقين في الزهد

جاء الزهد في النصوص الإسلامية كأحد آثار اليقين وثماره. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اليقين يشمر الزهد»^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

(٢) انظر مفاتيح الجنان: دعاء الندبة.

(٣) غرر الحكم: ٨٤٣. وانظر أيضاً ٤٥٩ و ٤٦٠١.

«زهد المرء فيما يفنى على قدر يقينه بما يبقى»^(١).

«لو صحَّ يقينك ما استبدلتَ الفانيَ بالباقي ، وما بعْتَ السنيَّ بالدني»^(٢).

عندما يتعرّف الإنسان على حقائق الوجود ويخبر حقيقة الدنيا والآخرة في ظلّ نور اليقين فإنّه يدرك أنّ المملّذات المادّيّة لا تستحقّ الركون إليها، بل يعتقد أنّ رخاء الدنيا ولذاتها هو بالزهد فيها والرغبة عنها.

كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه أحد الذين أدركوا حقيقة الدنيا والآخرة. وقد رسم لابنه صورةً لمعرفته بالدنيا، فقال ﷺ:

«نظرتُ في أحوال المقتدرين والأثرياء فرأيتُ أنّ آلامهم الروحيّة ومعاناتهم النفسية أكثر من غيرهم، وأنّ عدم إدراكهم لآلامهم وأمانتهم الكثيرة شديد الإيلام لأنفسهم.

إنّ الذين يحاولون الاستعلاء والتفوّق بأيّ نحوٍ كان سواءً في العلوم - بما فيها الإلهيّة منها - أم في السلطة والشهرة والثروة إنّما يزدون في معاناتهم من حيث لا يشعرون.

إنّ المتحرّزين من الكُبول المادّيّة - الذين أنقذوا أنفسهم من فخّ إبليس نوعاً ما - هم سعداء مرحومون في هذه الدنيا.

عندما اشتدّت الضغوط على علماء الدين في عهد رضا خان بهلوي من أجل تغيير زيّهم - وكان العلماء في الحوزات العلميّة يعيشون في قلق واضطراب... - رأيتُ شيخاً عليه مسحة التقوى وهو واقف قريباً من أحد المخازن يأكل رغيفاً من الخبز غير مأدوم ، فقال لي : « قيل لي : انزع عما تمكّ فتزعتها، وأعطيتها شخصاً كي يخطط له بها قميصين. الآن أكلتُ رغيفي وشبعتُ. وإذا جنّ عليّ

(١) نفسه: ٥٤٨٨.

(٢) نفسه: ٧٥٨٨.

الليل فالله أرحم الراحمين».

أي بُنيّ! لو قلتُ إنّي على استعداد لاستبدال هذه الحال بجميع مناصب الدنيا فصدقني، ولكن هيهات أن يغلبني إبليس والنفس الخبيثة»^(١).

إنّ من عرف الدنيا مثل هذه المعرفة فقد أخذ الزهد بطرفيه. وهيهات أن تحتبله حبائل الشيطان من شهوة وسلطة ورئاسة. أجل، ومثله جدير بقيادة العالم الإسلاميّ.

٥- الشجاعة

خاصيّة أخرى من خصائص القادة الربّانيين وهي الشجاعة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في حاجة القائد إليها:

«يحتاج الإمام الى قلب عَقول، ولسانٍ قُؤول، وجَنانٍ على إقامة الحقِّ صَوُول»^(٢).

ترى التعاليم الإسلاميّة أنّ الأشخاص الذين لهم حقّ المسك بزمام قيادة الأُمّة هم الذين يتّصفون بالشجاعة أكثر من غيرهم^(٣).

كان رسول الله ﷺ - وهو إمام الأُمّة وقائد القادة الربّانيين - أشجع من الجميع. وكان يقاتل في الصفّ الأوّل عند اشتداد الحرب، حتّى قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«كنا إذا حمز البأس اتقينا برسول الله ﷺ، فلم يكن أحدٌ منا أقرب إلى العدو منه»^(٤).

(١) صحيفة النور: ٣٥٨/٢٢، الرسالة المؤرّخة في ١٧ شوّال سنة ١٤٠٤ هـ.

(٢) غرر الحكم: ١١٠١٠.

(٣) انظر معاني الأخبار: ٤/١٠٢، بحار الأنوار: ١١٦/٢٥ و ١٦٥، و: ٦٨/٣٩٠.

(٤) بحار الأنوار: ٤٤/١٩١/١٩.

وقال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً :

«أشجع الناس من لا ذر رسول الله ﷺ»^(١).

دور اليقين في الشجاعة

ترى الأحاديث والروايات الماثورة أنّ اليقين لا يمنح الإنسان شجاعةً فحسب، بل يبلغ به أرفع درجاتها.

قال أبو بصير: سألت أبا عبدالله (الإمام الصادق عليه السلام) عن اليقين، فقال:

«أن لا تخاف مع الله شيئاً»^(٢).

عندما يبلغ الإنسان في حركته التكاملية درجة اليقين ويكشف حقائق الوجود بعين بصيرته يدرك أنّ جميع ضروب الخوف وهمية عند من كان مع الله، وأنّ كافة الأشياء التي يخشاها الجبناء إنما هي كالفرّاعة التي يخاف منها الصغار.

إنّ خوفاً واحداً فحسب له وجوده الواقعي، وهو الخوف من الذنب^(٣). من هنا فإنّ أولي اليقين لا يخافون إلاّ ذنوبهم.

وقد كان سيدهم وإمامهم أمير المؤمنين عليه السلام مضرب الأمثال في شجاعته، فقال في تبين فلسفة شجاعته الفذة الفريدة في ساحة القتال:

«إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض كلّها ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالهم الذي هم فيه والهدى الذي أنا عليه لعلّ بصيرة من نفسي وبقين من ربي، وإني إلى لقاء الله لمشتاق»^(٤).

(١) تفسير العياشي: ١ / ٢٦٢ / ٢١٣، بحار الأنوار: ١٦ / ٣٤٠ / ٣١.

(٢) الكافي: ١ / ٥٧ / ٢.

(٣) قال الإمام علي عليه السلام: «لا يرجون أحد منكم إلا ربّه ولا يخافن إلاّ ذنبه»، نهج البلاغة: الحكمة ٨٢.

(٤) نهج البلاغة: الكتاب ٦٢.

٦- الصدق

وهو أحد الخصائص العظيمة للقادة الربّانيين. ويرى القرآن الكريم أنّ من طبّقه في وجوده بمفهومه المطلق الواسع^(١) فهو جدير بالقيادة، وعلى الناس أن يدعوه إمامهم ومقتداهم، ويكونوا معه في طيّ طريق السعادة والتكامل.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٢).

إنّ حجم ثقة الناس بالقائد رهين بصدقه، فكلّما كان صدقه أكثر زادت ثقتهم به، ومن ثمّ تضاعفت قدرته ونفذ كلامه أبلغ من ذي قبل.

كان صدق الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه أحد أسرار نجاحه في القيادة. فمتى شعر أنّه أخطأ اعترف بخطئه بكلّ صدق وصراحة من دون توجيه. وهو القائل ﷺ كلمته التي هي ذات سماع: «كلام الرجل اثنان» أي: إنّ الرجل هو الذي إذا شعر أنّه أخطأ فلا يلجّ ولا يشاكس بل يقبل خطأه.

وقد ورد أحد مواطن اعترافه الصادق في آخر وصيّته السياسيّة الإلهيّة إذ

يقول ﷺ:

«ذكرتُ بعض الأشخاص وأثّنتُ عليهم في مناسبة أو أخرى من مناسبات الثورة منخدعاً بريائهم وتظاهرهم بالإسلام. ثمّ تبين لي أنّي كنتُ غافلاً عن مكروهم. فأنّبه على أنّ ذلك الشئ قد صدر مني حين كانوا يبدون التزامهم بخطّ الجمهورية الإسلاميّة، ويصحرون بوفائهم لها».

دور اليقين في الصدق

ترى الأحاديث والروايات المأثورة أنّ الإيمان والكذب لا يجتمعان^(٣)، فكيف

(١) انظر تفسير الميزان: ٤٠٢/٩.

(٢) التوبة: ١١٩.

(٣) انظر ميزان الحكمة: الباب ٣٤٥٨، «الكذب والإيمان».

تكون الحالة عند بلوغ الإنسان أرفع درجات الإيمان وهو اليقين؟ إنَّ أولى اليقين لا يدركون المناقب والمثالب العقيدية والأخلاقيّة والعملية فحسب، بل يشعرون بها ويجدونها. ومن بلغ هذه الدرجة من الكمالات الروحية لا يجد في نفسه أرضية للكذب - الذي ليس له جذر إلا الامتهان والخسّة -^(١). من هنا يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنَّ الصدق أشرف خصائص أولى اليقين. قال عليه السلام:

«الصدقُ أشرفُ خلائقِ المؤمنين»^(٢).

في ضوء ذلك، كلّما زاد إيمان الإنسان وبقينه زاد صدقه، وبلغ في ذروة اليقين أرفع درجات الصدق، التي هي شرط الولاية والإمامة المطلقة.

دور اليقين في أرفع درجات القيادة

تحدّث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الظروف السياسية والاجتماعية السائدة في عصره^(٣) محللاً إياها تحليلاً عميقاً وموجزاً، وشاكياً من فقدان مَنْ يستطيع أن يستوعب علمه الجَمّ المخزون في صدره، ثمّ قال بعد ذلك:

«اللهم بلى، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إماماً ظاهراً مشهوراً وإماماً خائفاً مغموراً، لنلّا تبطل حججُ الله وبيئاته».

وواصل عليه السلام كلامه فقال في عدد الكفّوين - الذين وصفهم بأنهم حجج لله تعالى في جميع الأعصار - ومكانهم:

«وكم ذا؟ وأين أولئك؟ أولئك والله الأقلون عدداً، والأعظمون عند الله قدراً، يحفظ الله بهم حججه وبيئاته، حتى يؤدّعوها نظراً لهم ويزرعوها في قلوب

(١) روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يكذب الكاذب إلا من مهانة نفسه». الاختصاص: ٢٣٢، بحار الأنوار:

٤٥ / ٢٦٢ / ٧٢.

(٢) غرر الحكم: ١٢٥٣.

(٣) انظر كتابنا مباني شناخت (أسس المعرفة): ٣٧ و ٤١.

أشباههم».

ثمَّ عدَّدَ خصائص هؤلاء الأصفياء الذين ارتقوا أرفع درجات الإنسانيَّة والإمامة، وأشار إلى دور اليقين، فقال ﷺ:

«هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين، واستلأنوا ما استعوره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقةً بالمحلِّ الأعلى. أولئك خلفاء الله في أرضه، والدعاة إلى دينه. آه شوقاً إلى رؤيتهم!!»^(١).

الخلاصة

□ اليقين في اللغة هو الإدراك العميق، والعلم المصحوب بركون القلب إلى المعلوم. ويُطلق في الأحاديث المأثورة على الحالة التي تحصل للإنسان في أعلى درجات التقوى، نتيجةً لوضوح حقائق الوجود.

□ اليقين أهمّ خصائص القيادة في الإسلام. وجميع الخصائص الرفيعة للإنسان تنبع منه. وفي أرفع درجاته يفوز المرء بمقام الإنسان الكامل والإمامة المطلقة والولاية الإلهية الكلية.

□ أبرز خصائص القيادة التي تستمدّ من اليقين هي: الصبر، والتوكل، والإخلاص، والزهد، والشجاعة، والصدق.

□ ورد دور اليقين في أرفع درجات القيادة في الحكمة ١٤٧ من حكّم نهج البلاغة.

القسم الخامس

آفات القيادة

بيّنا في القسم الرابع أنّ للإمامة أو القيادة شروطها الثقيلة بسبب موقعها الخاصّ في الإسلام. ولا يستطيع أن يضطلع بأعبائها إلّا من كان ذا كفاءات لائقة جسدياً وروحياً وفكرياً وعائلياً.

ونتحدّث في هذا القسم عن الآفات التي تسلب الكفاءة من القيادة، وتحوّل دون الإمامة من منظار الإسلام. ومن الجدير ذكره أنّنا سنقتصر فيه على دراسة أخطر الآفات التي تهدّد الإمامة والقيادة من منظار القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

الفصل الأول

الهوى

الهوى هو أخطر الآفات، بل أصلها جميعاً. ومن تمكّن من الابتعاد عنها فقد ابتعد عن الآفات بأسرها. قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«الشّهوات آفات»^(١).

«امنع نفسك من الشّهوات تسلم من الآفات»^(٢).

تتمثّل حكمة الإمامة والقيادة في هداية المجتمع على نهج الله تعالى وفي طريق التكامل المادّي والمعنويّ للإنسان. وعلى القائد أن يعرف الطريق ليتحرّك في طليعة السائرين ويستطيع أن يكون هادياً. والهوى أسّ الضلال، وهي الآفة التي تجرّ الإنسان إلى التيه والضياع. ومن انتظر قيادة الضالّ وتوجيهه فقد ذهب شططاً. من هنا خاطب الله تعالى نبيّه داود عليه السلام، فقال جلّ شأنه:

«يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

(١) غرر الحكم: ٤٩ و ١٨٨٨. وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام: «من تسرّع إلى الشهوات تسرع إليه الآفات».

غرر الحكم: ٨٥٨٩.

(٢) نفسه: ٢٤٤٠.

وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

القادة الربانيون خلفاء الله في خلقه. من هنا ينبغي أن تقوم حكومتهم على قاعدة الحق والعدل. وإن اتّباع الهوى انحرف عن صراط الله وابتعاد عن محجة الحق والعدل. على هذا الأساس نجد أنّ ذا الهوى ليس أهلاً للخلافة الإلهية وإمامة الناس وقيادتهم.

قال رسول الله ﷺ: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام فقال:

«حرام على كلّ قلب عالم محبّ للشّهوات أن أجعله إماماً للمتّقين»^(٢).

إنّ قيادة المرء للمتّقين ليس أمراً هيناً يحسن القيام به كلّ فرد.

ذلك أنّ لهم خصائص معيّنة، منها أنّ أحدهم «مَيِّتة شهوته»^(٣)، على حدّ تعبير إمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة.

من هنا لا يمكن أن يجعل الله تعالى أسير الهوى والشّهوات إماماً وقائداً لأناس فازوا وانتصروا في الجهاد الأكبر، وأفلحوا في كبح النفس الأمّارة. لذا عبّر الحديث المتقدّم من عدم أهلية العالم الزوّي لقيادة المجتمع بحرمة إمامته حرمة تكوينيّة.

في ضوء ذلك، لا يليق بمنصب القيادة الربانيّة وإمامة المتّقين إلّا من خلّع سراويل الشّهوات عن بدنه، وألزم نفسه العدل - كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - بنحو تكون خطوته الأولى على طريق العدل نفي الهوى عن نفسه.

«قد خلّع سراويل الشّهوات، وتخلّى من الهموم إلّاهماً واحداً انفرد به، فخرج من صفة العمى ومشاركة أهل الهوى، وصار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى، قد أبصر طريقه وسلك سبيله... فهو من معادن دينه وأوتاد

(١) ص: ٢٦.

(٢) مشكاة الأنوار: ٨٥، روضة الواعظين: ٤٦١.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٣.

أرضه. قد ألزم نفسه العدل، فكان أول عدله نفى الهوى عن نفسه»^(١).

يستوقفنا في هذا الكلام عدد من الملاحظات الجديرة بالتأمل:

١ - آفة الهوى تُعمي البصيرة، ولا طريق لهُدى البصيرة إلا خَلْعُ سرابيل الشهوات.

٢ - إذا ابتعد المرء عن الهوى أصبح من مفاتيح أبواب الهدى، وأبصر الطريق الصحيح، وتحرك في طليعة السائرين، فيصير أهلاً لقيادة الأمة.

٣ - يُصبح الإنسان في هذا الموقع من معادن الدِّين وأوتاد الأرض، ويكون جديراً بالإمامة والقيادة.

٤ - مَنْ بلغ هذا المنصب الإلهي فلن يَنْكَبَ عن صراط الحق والعدل أبداً، لأنه - في أول خطوة له على طريق العدل - نفى عن نفسه الهوى المفضي إلى الانحراف.

الإمامة واللهو واللعب

يستبين لنا ممّا تقدّم سبب ورود «اللهو واللعب» في روايات أهل البيت عليهم السلام على أنه أحد موانع الإمامة والقيادة. قال أمير المؤمنين عليه السلام في علامات الخلق بالإمامة:

«لا يلهو بشيء من أمر الدنيا»^(٢).

روى معاوية بن وهب - أحد أصحاب الإمام الباقر عليه السلام - قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟ فقال:

«طهارة الولادة، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب»^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٦٤/٢٥.

(٣) الكافي: ١/٢٨٥، بحار الأنوار: ٣٤/١٦٦/٢٥.

ورد اللهو واللعب في هذه الروايات واحداً من آفات القيادة ومن موانع تحققها. ولكن لما كان مطلق اللهو غير مذموم من منظار الإسلام فمن الضروري أن نستعرض بإيجاز ضروب اللهو، حسب الرؤية الإسلامية، من أجل تبيان المشروع منها وغير المشروع، وما يعدّ منها آفة من آفات القيادة.

ضروب اللهو من منظار الإسلام

يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة ضرب:

١ - اللهو الممدوح

يسيح الإسلام اللهو المقيد في مجال اللياقة البدنية، وتنشيط الفكر، وطمأنينة الروح وتهذئة الأعصاب إذا لم يقترن بالأعمال المحرّمة. واهتمّت الأحاديث والروايات ببعض أنواع الرياضة واللهو وأوصت بها كالسباحة والرماية وركوب الخيل والجلسات الترفيهية، والمزاح السليم بين المؤمنين وأمثال ذلك^(١).

٢ - اللهو المذموم

يذمّ الإسلام الألعاب وأنواع اللهو التي لا فائدة فيها للإنسان، وأعلن القرآن الكريم بصراحة أنّ إحدى خصائص المؤمنين إعراضهم عن اللغو:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾^(٢).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«اللهو يفسد عزائم الجدة»^(٣).

(١) انظر ميزان الحكمة: الباب ٣٥٨٦ / «لهو المؤمن».

(٢) المؤمنون: ٣.

(٣) غرر الحكم: ٢١٦٥.

٣- اللهو الحرام

يحرم الإسلام بعامّة ضروب اللهو المضرة كالقمار والغناء والمناظر المثيرة للشهوة ومجالس اللهو.

كان القادة الربّانيون الكبار لا يُعرضون عن ضروب اللهو الحرام فحسب، بل يتحامون أنواع اللهو المذموم أيضاً. وهذا التحامي فضيلة للمؤمنين وضرورة للقادة الربّانيين. من هنا نقرأ في الروايات أنّ الأئمّة المعصومين عليهم السلام كانوا في طفولتهم لا يلعبون كما يلعب سائر الأطفال.

نقل صفوان الجمال - أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام - أنّه سأل الإمام عليه السلام عن صاحب هذا الأمر (الجدير بالإمامة)، فقال: إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب^(١).

الإمامة والملذّات المباحة

في مضمار الإعراض عن الهوى لم يتجنّب القادة الربّانيون الكبار وأئمّتنا المعصومون الملذّات المحرّمة فحسب، بل كانوا يَرَوْنَ أنّ من واجبه - وهم في موقع الإمامة والقيادة - الترفع عن الملذّات المباحة أيضاً، مواساةً للفقراء البائسين.

قال المعلّى بن خنيس - أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام -: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (الإمام الصادق) يوماً: جُعِلْتُ فداك، ذكرت آل فلان (آل العباس) وما هم فيه من النعيم، فقلت: لو كان هذا (أمر الحكومة) إليكم لعشنا معكم.

يتبيّن من هذا الكلام أنّ المعلّى كان من أهل الدنيا، ويضاف إلى أنّه لم يكن من أوّلي النضال وتحمل الشدائد والمحن، أنّه لم يعرف أسس القيادة في الإسلام معرفةً صائبة. وكان يتصوّر أنّ الإمام الصادق عليه السلام لو تصدّى للقيادة السياسيّة لكان له ما

كان لغيره من الحكّام من المتع ووسائل الترف والانغماس في الملذّات الحسّيّة، مع فارقٍ واحد بينهما وهو أنّ أولئك يمارسون ذلك عن طريق الحرام أمّا أهل البيت عليهم السلام فإنّهم يمارسونه عن طريق الحلال.

قال الإمام عليه السلام في جواب هذا التفكير الساذج:

«هيهات يا معلّى! أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلّا سياسة الليل وسياحة

النهار، ولبس الخشن وأكل الجشب»^(١).

وأضاف الإمام عليه السلام، في رواية أخرى:

«شبه أمير المؤمنين عليه السلام، وإلّا فالنار»^(٢).

وقال عليه السلام في رواية أخرى أيضاً، وهو يجيب أبا بصير:

«مثل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإلّا فمعالجة الأغلال في النار»^(٣).

يدلّ هذا الكلام على أنّ العيش البسيط والإعراض عن الملذّات المباحة مواساةً للفقراء ليسا ممّا يختصّ بأمير المؤمنين عليه السلام - على عكس ما يُسمع أحياناً - بل هما من التكليف الإلهي على جميع أئمة العدل. وتلاحظ هذه الحقيقة بمزيد من الصراحة في كلام الإمام عليه السلام حيث يقول:

«إنّ الله عز وجلّ فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا أنفسهم بِضَعْفَةِ الناس، كي لا

يتبيّن ^(٤) بالفقر فقره»^(٥).

وعندما دخل الأحنف بن قيس على معاوية قدّم إليه من الحلو والحامض ما كثر

(١) الكافي: ١ / ٤١٠ / ٢.

(٢) الغيبة للنعماني: ٧ / ٢٨٧.

(٣) نفسه: ٨ / ٢٨٨.

(٤) أي: يبيح.

(٥) الكافي: ١ / ٤١١ / ٣، نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٩.

تعجبه منه، فبكى الأحنف.

فقال معاوية: ما يبكيك؟!

قال: لله دُرُّ ابن أبي طالب! لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك.

فقال: وكيف؟

قال: دخلت عليه ليلةً عند إفطاره، فقال لي: قم وتعيش مع الحسن والحسين. ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجوابٍ محتومٍ بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

فقلت: يا أمير المؤمنين، لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير؟!

فقال: لم أختمه بخلاً، ولكن خِفْتُ أن يُيسَّه الحسن والحسين بسمي أو أهالة

فقلت: أحرام هو؟

قال:

«لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيّتهم حالاً في الأكل واللباس، ولا يميّزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه، ليبراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويبراهم الغني فيزداد شكراً وتواضعاً»^(١).

الموضوع المهم هنا هو: من ذا الذي يستطيع أن يعيش عيشة الفقراء أو عيشة أفقر الناس ويبيده جميع الإمكانات المتوفرة في البلاد؟!

إنَّ زعم المقتدرين العيش كأفقر الناس شعراً جميلاً جذاباً على مستوى الألفاظ، ولكن تطبيقه في غاية الصعوبة. ولا يعمل به إلا من تغلب على نفسه الأمارة وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أول عدله نفي الهوى عن نفسه»^(٢). وكان كذلك هذا الإمام العظيم

(١) تذكرة الخواص: ١١٠.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٨٧.

الذي يقول:

«ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بِطَمَرِهِ^(١) ومن طُعْمِهِ بِقَرْصِهِ... أقنع من نفسي بأن يقال: هذا أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر، أو أكون أسوأ لهم في جشوبة العيش، فما خلقتُ ليشغلني أكلُ الطيبات، كالبهيمة المربوطة، همتها علفها، أو المرسلة شغلها تَقْمُمُهَا^(٢)، تكثرش من أعلافها، وتلهو عما يُراد بها^(٣)».

(١) الطمر - بالكسر -: الثوب الخلق البالي .

(٢) التقاطها للقمامة ، أي الكناسة .

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥ .

الخلاصة

☐ الهوى أخطر الآفات التي تهدّد القيادة بل أصلها جميعاً، ومن أعرض عنه فقد أعرض عنها برمتها.

☐ الهوى يضلّ المرء. ومن انتظر قيادة الضالّ فقد ذهب شططاً. ومن هنا لا يصلح ذو الهوى للخلافة الإلهيّة وقيادة الأمة.

☐ الجدير بإمامة المتّقين هو الذي تغلب على نفسه الأمّارة وخلق عنه سراويل الشهوات. وأوّل خطوة له على طريق العدل نفى الهوى عن نفسه.

☐ القادة الربّانيّون الكبار لا يعرضون عن اللهو الحرام فحسب، بل يُعرضون عن مطلق اللهو المذموم أيضاً. والإعراض عن اللهو المذموم فضيلة للمؤمنين وضرورة للقادة الربّانيّين.

☐ لم يتفرد الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ببساطة العيش والإعراض عن الملذّات المباحة مواساةً للفقراء، بل هو تكليف إلهيّ لأئمة العدل جميعاً.

الفصل الثاني

الظلم

الظلم بمفهومه الواسع^(١) المتمثل بالانحراف عن الموضع الحقيقي للأمور في العقيدة، والأخلاق، والعمل هو تجسيد مائل للهوى. فلا فرق بين أن نقول: إِنَّ الهوى أصل جميع آفات القيادة أو إِنَّ الظلم أصلها. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، في هذا المجال: «الظلم أم الرذائل»^(٢).

من هنا، عندما سأل إبراهيم عليه السلام رَبَّهُ تعالى أن يجعل مقام الإمامة في ذرّيته كان الجواب أَنَّ الحاجز الوحيد الذي يحول دون إجابة هذا الطلب هو الظلم. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

(١) انظر كتابنا مباني شناخت (أسس المعرفة): ٣١٦ و ٣٢٤.

(٢) غرر الحكم (طبعة النجف): ٢٠ / ١٥، ميزان الحكمة: ١١٠٧٣، وفي غرر الحكم (طبعة جامعة طهران): ١ /

٢٠٢ / ٨٠٤ «الظلم أَلَم الرذائل».

(٣) البقرة: ١٢٤.

قال الإمام الرضا عليه السلام، في توضيح هذه الآية:

«فأبطلت هذه الآية إمامة كلّ ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة»^(١).

النقطة اللافتة للنظر هي أنّ هذه الآية الكريمة لا تقرّر - فحسب - أنّ الظلم والجور الحاجز الأساس أمام تليّ القيادة، بل إنّها - إذا دقّقنا النظر في مضمونها - يمكن أن يفهم منها أنّ الصيانة من مطلق الظلم في العقائد والأخلاق والأعمال ضروريّ من أجل الوصول إلى أرفع درجات الإمامة والولاية المطلقة^(٢).

بعبارة أخرى: هذه الآية دليل من أدلّة شرط العصمة في الإمامة. قال المرحوم العلامة الطباطبائيّ في تبيان دلالة الآية المذكورة على ضرورة وجود العصمة:

«... وقد سئل بعض أساتذتنا رحمة الله عليه عن تقريب دلالة الآية على

عصمة الإمام، فأجاب:

إنّ الناس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام:

- ١- مَنْ كان ظالماً في جميع عمره.
- ٢- وَمَنْ لم يكن ظالماً في جميع عمره.
- ٣- وَمَنْ هو ظالم في أوّل عمره دون آخره.
- ٤- ومن هو بعكس هذا.

وإبراهيم عليه السلام أجلُّ شأنًا من أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل والرابع من ذريّته. فبقي قسمان، وقد نفى الله أحدهما، وهو الذي يكون ظالماً في أوّل عمره دون آخره. فبقي الآخر، وهو الذي يكون غير ظالم في جميع عمره»^(٣).

إنّ القائد الذي بلغ هذا المستوى من العدل في مسير التكامل الروحيّ وصين من

(١) الكافي: ١/ ١٩٩.

(٢) انظر كتابنا مباني شناخت (أسس المعرفة): ٣١٦ و ٣٢٤.

(٣) تفسير الميزان: ١/ ٢٧٤.

آفة الظلم إلى درجة العصمة ينبغي أن يكون - كأمير المؤمنين عليّ عليه السلام - مبرأً من آفة القيادة هذه. قال عليه السلام:

«والله ، لأنّ أبيتَ على حَسَنِ السَّعْدَانِ مُسَهِّدًا أو أُجِرَ في الْأَغْلَالِ مُصَفِّدًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ الْعِبَادِ وَغَاصِبًا لَشَيْءٍ مِنَ الْخَطَامِ ، وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسِي يُسْرِعُ إِلَى الْبُلَى قُفُولُهَا ، وَيَطُولُ فِي الثَّرَى خُلُوقُهَا» (١).

إنّ مثل هذا الإنسان العظيم لا يمكن حمله على ممارسة أدنى ظلم مهما كلف الثمن. ويشير الإمام عليه السلام - وهو يواصل كلامه - إلى نقطة مهمّة في تعريف الحكومة الإسلاميّة، فيقول:

«والله ، لو أُعْطِيتُ الْأَقَالِمُ السَّبْعَةُ بما تحت أَفلاكها على أن أعصي الله في نَمْلَةٍ أَسْلَبْتُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ ما فعلته» (٢).

يعرض لنا هذا الكلام صورة واضحة عن الحكومة الإسلاميّة التي يريدّها الله تعالى لعباده، وهي الحكومة التي لا يجد الظلم سبيلاً إليها مطلقاً، ويسودها العدل بشتّى أبعاده، وليس فيها انتهاك لحقوق الناس، بل لأدنى حقّ يتعلّق بأضعف مخلوق يدبّ على الأرض.

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٢٤.

(٢) نفسه.

الخلاصة

- ☐ الظلم بمفهومه الواسع المتمثل بالانحراف عن الموضع الحقيقي للأمر في العقيدة والأخلاق والعمل هو تجسيد مائل للهوى، وهو أهمّ عقبة تحول دون الإمامة.
- ☐ تقرّر الآية ١٢٤ من سورة البقرة إلى أنّ مطلق الظلم يحول دون الإمامة. يضاف إلى ذلك أنّها تدلّ على ضرورة اتّصاف الإمام بالعصمة.
- ☐ الحكومة الإسلامية المطلوبة هي الحكومة التي ليس فيها انتهاك لحقوق الناس، بل لحقوق أضعف مخلوق يدبّ على الأرض.

الفصل الثالث

الاستبداد

الاستبداد هو «الانفراد بالرأي والعمل»^(١)، والمستبدّ هو الذي لا يحترم رأي الآخرين وإرادتهم، ولا يعمل إلاّ برأيه وإرادته. لذا يقال له أيضاً: مُعتدّ برأيه، ومتهور. وهذه الصفة الذميمة هي من الآفات الخطرة التي تهدّد القيادة .

خطر الاستبداد

تستهدف آفة الاستبداد أهمّ قواعد القيادة، وهي فكر القائد ورأيه، ولهذا تعدّ من أخطر آفات القيادة. إنّ الإمامة والقيادة تحتاج قبل كلّ شيء إلى فكر صحيح وقويّ من أجل هداية المجتمع نحو التعالي والتكامل المادّي والمعنويّ. فالآفة التي تهدّد صحّة فكر القائد إنّما تهدّد الغاية من القيادة في الإسلام حقّاً.

ونلاحظ في الروايات الماثورة اهتماماً صريحاً بنقطتين فيما يرتبط بخطر الاستبداد. الأولى: دور الاستبداد في انزلاق الفكر والسقوط في هاوية الآراء والأعمال

(١) فرهنك معين (معجم المعين): ٢٤٠ / ١.

الغالطة.

الثانية: دوره في سقوط الحكومة وضمحلها.
قال الإمام الصادق عليه السلام في الأثر الهدام للاستبداد في انزلاق الفكر:
«المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل»^(١).
وبيّن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خطر هذه الآفة بقوله:
«المستبد متهور في الخطأ والغلط»^(٢).

وقوله:

«الاستبداد برأيك يزلك ويهورك في المهاي»^(٣).
وقال عليه السلام في خطر ضعف الرأي وزلة الفكر:
«من ضَعُفَتْ آراؤه قَرِبَتْ أَعْدَاؤه»^(٤).
«زلة الرأي تأتي على الملك وتؤذي بالهلك»^(٥).

الوقاية من الاستبداد

ذكر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «المشاورة» كعنصر مضاد للاستبداد، قبل قرون من طرحها في الحكومات الديمقراطية للوقاية من الاستبداد. وحذّر الذين لا يستهدون بهذه الظاهرة الصائنة من الوقوع في فخ الاستبداد والهلاك.
«من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها»^(٦).

(١) نزعة الناظر: ٤٤/١١٢، أعلام الدين: ٣٠٤، بحار الأنوار: ٧٥/١٠٥/٤١.

(٢) غرر الحكم: ١٢٠٨.

(٣) نفسه: ١٥١٠.

(٤) نفسه: ٨٠٤٨.

(٥) نفسه: ٥٤٧٦.

(٦) نهج البلاغة: الحكمة ١٦١، بحار الأنوار: ٧٥/١٠٤/٣٨، وسائل الشيعة: ٨/٤٢٥/٦.

من الطريف أن نعرف أنّ هذا الكلام مستلهم من القرآن الكريم والمبادئ الإسلامية في هداية المجتمع وقيادته.

يرى القرآن الكريم أنّ الإدارة الصحيحة للمجتمع تحتاج إلى المشاورة وتواصل الأفكار. وفي سورة منه مسمّاة بالشورى - لتأكيدا ضرورة الشورى - يصرّح في بيانه لخصائص المجتمع الإسلاميّ قائلاً:

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾^(١).

أي: إنّ إحدى مواصفات المجتمع الإسلاميّ هي أنّ شؤونه تُدار على أساس الشورى وتواصل الأفكار.

ونلاحظ في آية أخرى أنّ الله تعالى يأمر نبيّه ﷺ بمشاورة الناس، قال سبحانه:

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٢).

من البديهي أنّ الذي أمر به النبيّ أن يشاور فيه هو الأعمال الإدارية للمجتمع، لا الأحكام التي كان مكلفاً بتبليغها عن طريق الوحي، وسيرته تدعم هذه الحقيقة. والنقطة الجديرة بالتأمل هي أنّ القرآن الكريم عندما يأمر كبير القادة الربّانيين - وهو النبيّ ﷺ - بالمشاورة، فما بالك بالآخرين؟

الغني عن المشاور

إنّ الذي لا يحتاج إلى مشاورٍ ومشاورة هو الله تعالى وحده. وهذه ملاحظة مهمة أكّدها الروايات الإسلامية في تبين صفات الحقّ جلّ شأنه.

أورد المرحوم المحدث القميّ في «مفاتيح الجنان» دعاء يُعرف بدعاء «يستشير». وكلمة «يستشير» من مادّة «شور». وتعود هذه التسمية إلى أنّ الدعاء المذكور أُنقِ

(١) الشورى: ٣٨.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

على الله تعالى بأنه لا يحتاج إلى مشاور ومشاورة في تدبير الأمور.

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: علّمني رسول الله ﷺ هذا الدعاء، وأمرني أن أدعو به لكل شدة ورخاء، وأن أعلمه خليفتي من بعدي، وأمرني أن لا أفارقه طول عمري حتى ألقى الله عز وجل.

وقال لي: قل هذا الدعاء حين تُصبح وتُسي، فإنه كنز من كنوز العرش.
وأوله:

«الحمد لله الذي لا إله إلا هو الملك المبين، المدبر بلا وزير، ولا خلق من عباده يستشير...»^(١).

لعل من الأسباب التي أدت إلى مواظبة جميع القادة الربانيين على قراءة هذا الدعاء في كل صباح ومساء هو ما أكد في أوله - وأشار إليه اسم الدعاء أيضاً - وهو أن الله تعالى وحده قادر على إدارة شؤون العالم بلا وزير ولا معاون ولا مشاور. أمّا الآخرون فإنهم - بالوسائل المتاحة لهم - قادرون على تدبير الأمور والإدارة الصحيحة.

أجل، إنّ دراسة السيرة الإدارية للنبي وأئمة الهدى صلوات الله عليهم أجمعين تدلّ على أنهم كانوا يولون مشاورة الآخرين اهتماماً خاصاً.

قال الحسن بن الجهم: كنّا عند أبي الحسن الرضا عليه السلام، فذكرنا أباه عليه السلام فقال:

«كان عقله لا يوازئ به العقول، وربما شاور الأسود من سودائه، ف قيل له:

تُشاوَرُ مثل هذا؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى ربّما فتح على لسانه»^(٢).

(١) مهج الدعوات: ١٥٨، بحار الأنوار: ٥٧/ ٣٦/ ٩، مفاتيح الجنان: دعاء يستشير.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢/ ٩٩/ ٢٢٨٣، المحاسن: ٢/ ٤٣٧/ ٢٥١٧، بحار الأنوار: ٧٥/ ١٠١/ ٢٥.

مشاورة الأعداء!

من التوجيهات الإدارية المهمة الملحوظة في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حقل المشاورة هي مشاورة الأعداء . وفيما يأتي نصّ كلامه :

«استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم ومواضع مقاصدهم»^(١).

ملاحظات حول مشورة القائد

في شأن دور الاستشارة في القيادة والحكومة والإدارة لدى كبار القادة الربّانيين، ثمة ملاحظات بارزة من الضروري الالتفات إليها . وهذه الملاحظات هي :

أ- المشاورة لا الطاعة!

يخال بعض الإداريين الجُدد وكثير من المستشارين المفرطين أنّ أحد المدراء لو استشار شخصاً واستطلع رأيه فعليه أن يعمل بما يشير به، وإلاّ حُكِمَ عليه بأنّه مدير مستبدّ غير كفوء!

بيد أنّ الحقّ غير هذا، ذلك أنّ مسؤوليّة اتخاذ القرار والنتائج المترتبة عليه تقع على عاتق المدير، فهو المسؤول أمام الله تعالى والقانون والناس.

والمستشار يساعده على أن يلحظ جميع أبعاد الموضوع وخلفيّاته ونتائجه، ثمّ يتخذ القرار الصائب. أمّا لو كان اقتراح المشاور غير سديد - حسب رأي المدير - أو كان هناك تناقض في آراء المشاورين فلا ريب أنّ على المدير أن يعمل بما يراه هو الأصوب، ذلك أنّه هو الذي يتحمّل المسؤوليّة على أيّ حال.

من ذكرياتي مع السيّد الإمام

لا أنسى يوم تشرّفت بلقاء السيّد الإمام رضوان الله تعالى عليه مع السادة الوزراء بمناسبة

أسبوع الحكومة، وكان ذلك أوّل مرّة بعد تكليفي بالتصدّي لوزارة الأمن^(١)، وعندما انتهى اللقاء تعمّدت أن أنتحي جانباً لأكون آخر من يودّع الإمام. وحين لم يبق إلاّ أفراد قلائل تقدّمت وقبّلت يده المباركة، فأشار إليّ أن أجلس! في تلكم اللحظة لم يكن يدور في خلدي أن أفوز بهذه الحظوة، فلم أتفطن إلى إشارته، وهَمَمْتُ أن أغادر الغرفة، لكنّه أشار إليّ مرّة ثانية بالجلوس.

خرج آخر وزير من الوزراء، فلم يبق إلاّ أنا ونجمله البارّ أخي العزيز المرحوم السيّد أحمد^{عليه السلام}. فقال لي الإمام مباشرة: أعلم أنّ وزارة الأمن هي ليست وزارة الزراعة! فكن حذراً! وشاور فلاناً وفلاناً وفلاناً^(٢) لاختيار الأشخاص الذين يتولّون الوظائف الحسّاسة في الوزارة.

قلتُ: سأعمل بما تأمرون به، ولكن لما كنت أنا المسؤول عن الوزارة بالدرجة الأولى، ومن جانب آخر ربّما يكون لكلّ واحد من الإخوة الذين ذكرتهم رأي في الأشخاص الذين ينبغي أن يتمّ اختيارهم، فأنا الذي أتخذ القرار المناسب بعد المشاورة.

قال: هذا هو ما أقصده.

قلتُ مضيفاً: إنّ الخطوط المسيطرة على المرافق الأمنيّة في البلاد الآن سبعة^(٣)، فإذا أردتُ أن أعمل كما يشتهي أحد الخطوط فإنّ أصحاب الخطّ الآخر سيعتبون عليّ، وإذا أردتُ أن أعمل مستقلاً - وسأعمل - فالجميع سيعتبون، ولذا يمكن أن

(١) كان اليوم الأوّل من أسبوع الحكومة هو ٢٣ / ٨ / ١٩٨٤ م، وكان الإمام^{عليه السلام} لا يستقبل أحداً ذلك اليوم، فتقدّم موعدنا يوماً واحداً. وكان تاريخ اللقاء - حسب مذكراتي - هو الأربعاء ٢٢ / ٨ / ١٩٨٤ م الموافق ٢٤ ذي القعدة ١٤٠٤ هـ.

(٢) كان هؤلاء الثلاثة من الشخصيّات الأولى في البلاد يومئذٍ.

(٣) كانت هذه الخطوط في بداية تأسيس وزارة الأمن مجموعات أمنيّة تنتسب إلى أجهزة حكوميّة مختلفة، ثمّ اندمجت في وزارة الأمن.

تصل إليكم شكاوى كثيرة في هذا المجال .

فتفضل ﷺ عليّ كثيراً إذ أجابني بجواب لا ضرورة لذكره هنا .

أجل ، إنّ المدير الكفوء - من منظور الإسلام - هو الذي ينأى عن الاستبداد ، ويحترم آراء الآخرين ، ويشاور أولي الرأي الحصيف ، ولكنه في الوقت نفسه يحافظ على استقلاله عند اتخاذ القرار المناسب . أي : إذا رأى أنّ ما قاله المشاور صحيح عمل به ، وإلا عمل برأيه في كلّ ما يعتقده صحيحاً .

وهذا الدرس الإداري النفيس علّمناه نهج البلاغة :

كان عبدالله بن عباس من صحابة أمير المؤمنين ﷺ العلماء وذوي الرأي الحصيف ، وكان - ككثير من أمثاله - يتوقّع من الإمام أن يعمل حسب رأيه . وقد أبدى رأياً في موضوع يظنّه في مصلحة الإمام - لم يردّ شرحه في نهج البلاغة - فلم يوافقه الإمام على رأيه ، فأصرّ ابن عباس ، فقال له الإمام ﷺ :

«لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ ، وَأَرَى ، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأُطِغْنِي»^(١) .

النقطة المهمة الواردة في ذيل كلام الإمام ﷺ هي أنّ المشاور لا يحقّ له أن يفرض رأيه على القائد ، بل إذا اتخذ القائد القرار المناسب وأعلن عن رأيه فعلية وعلى نظرائه الذين يفكّرون مثله أن يعملوا بما يرتثيه القائد ، شأنهم في ذلك شأن سائر الناس .

من هنا ، لا تكون الولاية المطلقة للفقهاء في النظام الإسلامي بمعنى الاستبداد ، بل تعني «الاستقلال في الرأي» ، بالمفهوم الذي مرّ شرحه .

بعبارة أوضح : الفقيه الجامع لشروط القيادة في النظام الإسلامي هو المسؤول الأصلي للنظام ، وهو المسؤول أمام الخلق اليوم والمسؤول أمام خالقهم غداً . وهو الذي يتولّى صيانة مكاسب الثورة ، وتنمية القيم الإسلامية وتنظيمها . والسلطات

الثلاث - التشريعية، والتنفيذية، والقضائية - والقوات المسلحة هي في الحقيقة أجهزة مساعدة ومشاورة للقائد، وقراراتها نافذة حسب الضوابط القانونية، ما دامت تمارس نشاطاتها تبعاً للقوانين الإسلامية ومصالح الشعب. أمّا في الحالات التي يرى فيها القائد عملاً مخالفاً للإسلام أو لمصالح الشعب والنظام فعليه أن يحول دون ذلك، بل من واجبه أن يعمل وفقاً لرأيه بعد المشورة اللازمة، والجميع مكلفون باتباعه.

ب - المشاورة المضرة

نلاحظ أنّ بعض المشاورات تشكّل ضرراً على القائد من الوجهة السياسية، وهذه المشاورات هي التي تتمّ مع أناس يتخذون منها ذريعة لتحقيق مآربهم السياسية. فعلى القائد أن لا يشاور مثل هؤلاء. وهذا الدرس في القيادة تعلّمناه من نهج البلاغة أيضاً.

ونقرأ فيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام من جهة أراد من الناس بإصرار أن يخبروه إذا رأوا إشكالاً في نهجه الإداري والقيادي، وأن يُبدوا آراءهم بصراحة في مجال السعي لتطبيق العدالة الاجتماعية. قال عليه السلام:

«فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن

أخطئ، ولا آمن ذلك من فعلي إلاّ أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني»^(١).

ومن جهة أخرى، عندما طلب منه بعض الشخصيات السياسية المعروفة من ذوي السابقة - كطلحة والزبير - أن يُشركهم في المشورة رفض بشدة، لأنّه كان يعلم أنّهم يطلبون منه ذلك لتنفيذ مآربهم السياسية. قال صلوات الله عليه:

«... والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية إربة، ولكنكم دعوتوني

إليها وحملتوني عليها، فلما أفضت إليّ نظرتُ إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا

بالحكم به فأتبعته وما استنَّ النبي ﷺ فاقْتَدَيْتَهُ، فلم احتج في ذلك الى رأيكما ولا رأي غيركما، ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما»^(١).

لا تناقض بين هذين الكلامين، فهو ﷺ طلب من الناس في الكلام الأول أن يشيروا عليه من أجل تطبيق الحق والعدل، ولا ينظروا إلى موقعه السياسي. وفي هذا الكلام - كما يستبين من مواصلة الخطبة - رفض مشورة الأكابر، لأنهم كانوا يطمحون إلى منحهم امتيازات خاصة، وكانوا يزّرون أن منطق العدل والمصلحة يحكم بإعطاء ذوي السابقة والنفوذ والقدرة الأكبر حصةً أكثر عند تقسيم بيت المال!

بعبارة أخرى: كان المعارضون السياسيون للإمام يريدون - باسم الإسلام وحقوق الإنسان ومبدأ المشورة - أن يكون لهم موقع خاص وتفضيل على الآخرين، ليستغلّوا ذلك من أجل مآربهم السياسية والاقتصادية، كما تستغلّ القوى الاستكبارية اليوم الديمقراطية وحقوق الإنسان تحقيقاً للمآرب نفسها.

وهذا هو ما دفع الإمام ﷺ أن يرفض طلبهم ويقول: أنا أفهم الإسلام أفضل ممّا تفهمونه أنتم وغيركم، وأنا في غنى عن مشورتكم ومشورة أمثالكم لتطبيق العدالة.

ج - المشورة والتردد في اتخاذ القرار

تلقي رأي المشير قبل اتخاذ القرار مفيد للمستشير. أمّا بعد اتّخاذ القرار فإنّه مضرّ له، إذ يؤدي إلى تردد القائد وتزعزعه، إلّا في الحالات التي ينكشف فيها خطأ القرار. نزلت قوّات قريش عند سفح جبل أحد يوم الخميس الخامس من شوال سنة ٣هـ، وتهيّأت لمعركة عرفت فيما بعد بمعركة «أحد». وبقي النبي ﷺ في المدينة ذلك اليوم وليلة الجمعة. ثمّ شكّل يوم الجمعة شورى عسكريّة، واستشار كبار القادة من أولى

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٥.

الحزم في كَيْفِيَّةِ الدِّفَاعِ.

وفي هذا التَّجَمُّعِ المِصْرِيِّ -الذي حضره الأُمراءُ والجُنُودُ الشُّجْعَانُ- نادى ﷺ بِنِدَائِهِ البَلِغِ: أَشِيرُوا عَلَيَّ. أَي: اعرضوا عَلَيَّ رَأْيَكُمْ فِي أَسْلُوبِ مُوَاجَهَةِ العَدُوِّ. فَكَانَ هُنَاكَ رَأْيَانُ:

١ - رَأْيُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الَّذِي كَانَ مِنْ مُنَافِقِي المَدِينَةِ. فَقَدْ اقْتَرَحَ أَسْلُوبَ «التَّحَصُّنِ»، وَكَانَ يَقُولُ: لَا يُخْرِجُ الْمُسْلِمُونَ مِنَ المَدِينَةِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَفِيدُوا مِنَ الصِّيَاصِيِّ وَالْآطَامِ (الحِصُونِ). أَي ترمي النساء الحجارة على العدو من فوق الصياصي والآطام، ويقا تل الرجال بأسيا فهم في السكك (الأزقة). وكان يقول -من أجل إثبات صحّة رأيه -: كُنَّا نَقَاتِلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ وَنُشَبِّكُ المَدِينَةَ بِالْبَنِيَانِ، فَتَكُونُ كَالْحِصْنِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَالنِّسَاءُ تَسَاعِدُنَا مِنْ فَوْقِ الْآطَامِ. وَمِنْ هُنَا كَانَتْ مَدِينَتُنَا عِذْرَاءٌ مَا فُضِّتْ عَلَيْنَا قَطًّا. وَمَا خَرَجْنَا إِلَى عَدُوِّ قَطًّا إِلَّا أَصَابَ مِنَّا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا قَطًّا إِلَّا أَصْبَنَاهُ.

٢ - رَأْيُ عِدَدٍ مِنَ الأُمَرَاءِ وَالجُنُودِ الْأَحْدَاثِ، خَاصَّةً الَّذِينَ شَهِدُوا بَدْرًا وَذَاقُوا حَلَاوَةَ النِّصْرِ. قَالُوا: إِنَّ مِثْلَ هَذَا الدِّفَاعِ يُجَرِّئُ العَدُوَّ عَلَيْنَا، وَيَضِيعُ نَصْرُنَا الَّذِي مَنَّ اللَّهُ بِهِ عَلَيْنَا يَوْمَ بَدْرٍ...

وَأَيَّدَ الْأَكَابِرُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الرَّأْيَ الْأَوَّلَ، بَيِّدَ أَنَّ حِمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَكَثِيرًا مِنَ الصَّحَابَةِ أَيَّدُوا الرَّأْيَ الثَّانِي.

أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ قَبِلَ الرَّأْيَ الثَّانِي أَيْضًا، وَفَضَّلَ الْخُرُوجَ مِنَ المَدِينَةِ عَلَى التَّحَصُّنِ وَالْقِتَالِ فِي سَكْكِهَا. فَجَاءَ إِلَى بَيْتِهِ - بَعْدَ تَعْيِينِ الْخَطِّ الدِّفَاعِيِّ - وَلَبَسَ لَامَةً الْحَرْبِ، ثُمَّ خَرَجَ بِتَجْهِيزَاتٍ حَرِيَّةٍ تَامَّةٍ.

وَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عِدَدٌ مِنَ الَّذِينَ كَانُوا يَدَافِعُونَ عَنِ الرَّأْيِ الثَّانِي تَرَدَّدُوا، إِذْ لَعَلَّ إِصْرَارَهُمْ هُوَ الَّذِي دَفَعَ النَّبِيَّ ﷺ إِلَى اخْتِيَارِ الرَّأْيِ الثَّانِي... فَتَرَا جَعُوا وَقَالُوا: مَا كَانَ

لنا أن نخالفك، فاصنع ما بدا لك ! فلم يعتنِ ﷺ برأيهم هذه المرة، وقال بحزم:
«لا ينبغي للنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين أعدائه»^(١).
هذا الجواب في الحقيقة درس عظيم له قيمته في حقل الإدارة والقيادة، خاصة في
موضوع القيادة العسكرية، وفيه إشارة إلى أن المدير الكفوء والقائد المؤهل هو الذي
إذا أُشير عليه واتخذ القرار المناسب فلا يفقد حزمه بتردد أصحابه، ويعمل بما عزم
عليه.

من هنا نلاحظ أن احترام آراء الآخرين في أمر الإدارة أصل معتبر تجب رعايته
من منظار الإسلام ما لم يمنع من الحزم، ولم يُفُض إلى التردد والتزعزع في اتخاذ القرار.

(١) المغازي للواقدي: ١/ ٢١٤، الطبقات الكبرى: ٢/ ٣٨. انظر فروغ ابدیت: ٢/ ٩٠٩-٩٥٠.

الخلاصة

- ▣ الاستبداد يستهدف أهم مبادئ القيادة، أي أفكارها وتوجهاتها. ومن هنا، يعدّ من أخطر آفات القيادة.
- ▣ ترى الأحاديث والروايات أنّ الاستبداد يُفضي إلى انزلاق الفكر وانهيار الدولة الإسلامية ودمار الحكومة.
- ▣ تحتاج الإدارة الصحيحة - من المنظار القرآني - إلى المشورة وتواصل الآراء، وقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ أن يشاور الناس.
- ▣ «الشورى» اسم لسورة من سور القرآن الكريم، وذكرت المشورة فيها كإحدى خصائص المجتمع الإسلامي.
- ▣ طرح الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الشورى وقايةً من الاستبداد، مستلهمًا ذلك من تعاليم القرآن الكريم، قبل أن تطرحها الحكومات الديمقراطية.
- ▣ الله تعالى وحده لا يحتاج إلى مشاور. وتدلّ دراسة السيرة الإدارية للنبي ﷺ وأوصيائه عليه السلام على أنّهم كانوا يعتقدون بمكانة خاصّة للمشورة، حتّى لو كانت مشاورة العدو!
- ▣ المدير الكفوء هو الذي يحافظ على استقلاله عملياً، في الوقت الذي ينأى فيه عن الاستبداد، ويقدر آراء الآخرين. وعلى المشاور أن لا ينتظر منه الطاعة.
- ▣ استشارة من يستغلّون المشورة لمطامعهم السياسية مضرّة للقائد، لذا لا يحقّ لنا أن نعدّ رفضه لهذا اللون من المشاورات نابعاً من الاستبداد.
- ▣ تلقّي رأي المشاور قبل اتخاذ القرار مفيد للقائد، أمّا بعد اتّخاذه فمضرّ له، لأنّه يؤدّي إلى ترزّع القيادة، إلّا في الحالات التي يستبين فيها خطأ القرار.

الفصل الرابع

الانسياق لآراء الآخرين

يقابل الانسياق لآراء الآخرين الاستبداد. ويعني: الخضوع لسيطرة الآخرين فكرياً وعملياً. إنَّ المستبدَّ لا يحترم رأي الآخرين، والمنساق لا يرى أنَّ لرأيه من قيمة.

ويرى الإسلام أنَّ الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين كليهما من آفات القيادة، فلا المستبدَّ يستطيع أن يقود المجتمع الإسلامي ولا المنساق.

إنَّ إحدى المؤاخذات التي سجَّلها أمير المؤمنين عليه السلام على عثمان هي توجيه الآخرين له، وسيطرة بعض الأشخاص عليه كمروان بن الحكم ذي السابقة السيئة، وسوقهم إياه أنَّى شاؤوا. وعندما ثار الناس عليه طلبوا من الإمام أن يتحدَّث معه، ويوضِّح له نقاط ضعفه نيابةً عنهم. فاستجاب عليه السلام لهم، فتكلَّم معه، وقال في آخر كلامه حول سوق مروان بن الحكم له:

«فلا تكوننَّ لِمروانَ سَيِّقَةً يسوقُك حيث شاء بعد جلال السنِّ وتقضي

العُمر»^(١).

خطر الانسياق لآراء الآخرين

آفة الانسياق معقدة وخطرة إلى درجة أن القرآن الكريم يحذّر النبي ﷺ منها، ويؤكد أن فضل الله ورحمته هما اللذان يحولان دون انسياقه لآراء الآخرين:

﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾^(١).

ومهما كان شأن نزول الآية الكريمة^(٢) فهي تُشعر بوضوح أن مؤامرة كانت مُبَيَّنَةً. وكان هدف المتآمرين النفوذ في رأي النبي وحمله على اتخاذ قرار خاطئ، بيد أن فضل الله ورحمته حالاً دون ذلك.

النقطة الأدق - من منظار القرآن الكريم - هي أن آفة الانسياق لآراء الآخرين خطرة إلى درجة أنها إذا لم يوق منها فقد تبلغ حتى تحريف الوحي الإلهي!

﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ حَلِيلًا * وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ

(١) النساء: ١١٣.

(٢) روي أن رجلاً في عهد النبي ﷺ يدعى «بشيراً» من بني أنثرق دخل بيت مسلم يعرف برفاعه، وأخذ له طعاماً وسيفاً ودرعاً. فشكا ذلك إلى ابن أخيه قتادة بن النعمان، وكان بدرياً. فأتى قتادة رسول الله ﷺ وأخبره، بيد أن بشيراً وأخويه بشراً ومُبَشَّراً اتهموا لبید بن سهل - جار رفاعه - بالسرقة، وكان مسلماً ذا حسب ونسب. فاضطرب لبید من هذه الهمة المفتراة، وأصلت سيفه وخرج إليهم، وقال: أترمونني بالسرقة وأنتم أولى به مني، وأنتم منافقون تهجون رسول الله وتنسبون ذلك إلى قريش؟! التبين ذلك أو لأضعن سيفي فيكم! فداروه. ولكن عندما علموا أن قتادة أخبر النبي بذلك طلبوا من أحد خطبائهم أن يأتي رسول الله ﷺ في جماعة ويبرئ السارقين، ويرمي قتادة بالزند. فقبل ﷺ شهادتهم عملاً بالظاهر، ووبخ قتادة. فاعتم قتادة البريء غمّاً شديداً، ورجع إلى عمه وأخبره متأسفاً كثيراً، فطيب خاطره، وقال له: الله المستعان! فنزلت الآيات (١٠٥، ١١٣) وبرأت هذا الرجل، ووبخت الخونة الحقيقيين بشدة. انظر تفسير نمونه (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل): ٤/ ١١٠-١١١، مجمع البيان: ٣/ ١٦٠-١٦١.

شَيْئاً قَلِيلاً^(١).

استقلال الرأي والقيادة

في ضوء ما ذكرناه حول الاستبداد والانسياق لآراء الآخرين نستنتج أنهما آفتان، وأن استقلال الرأي ضروري للقائد، وعلى قادة المجتمع الإسلامي أن يبتعدوا عن الاستبداد بنحوٍ جادٍ ويحترموا آراء الآخرين، بيد أنهم غير مسموح لهم أن يخضعوا لسيطرة الآخرين. وينبغي أن يكونوا أصحاب رأيٍ مستقلٍّ، ويسمعوا كلام الغير، لكنهم يقفون عنده ويتأملون فيه، ثم يتخذون القرار المناسب.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في استقلال رأيه وعدم انسياقه:

إذا المشكلات تَصَدَّيْنِ لي كشفت حقائقها بالنظر
ولستُ بِإِمْعَةٍ^(٢) في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر
ولكنني مدرب الأصغرين أبينُّ مع ما مضى ما غير^(٣)

يدعو القرآن الكريم النبي ﷺ وجميع المسلمين إلى الاستقلال في الرأي، وذلك في وصية إدارية ثمينة، مع تحذيره من خطر الانسياق:

﴿وَإِنْ تَطَعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٤).

نلاحظ في هذه الآية الكريمة أن القرآن ينبّه في البداية على أن آراء أكثر الناس وعقائدهم مرفوضة، وأن من سار وراء الأكثرية ضلّ عن سبيل الله الذي هو سبيل

(١) الإسراء: ٧٣ و ٧٤.

(٢) الإمعة: الذي لا رأي له ولا عزم، فهو يتابع كل أحد على رأيه ولا يثبت على شيء. (السان العرب: ٨/ ٣).

(٣) أمالي الطوسي: ٥١٤/ ١١٢٥، ديوان الإمام علي عليه السلام: ١٧٩، بحار الأنوار: ٦٠/ ٢، و: ٤٢/ ١٨٧، ٤.

(٤) الأنعام: ١١٦.

الحق والعدل. ثم يذكر سبب ذلك، وهو أن عقائد معظم الناس لا تستند إلى قاعدة علمية ثابتة، بل تستند إلى الظن.

من هنا، فإن الذين يريدون اتخاذ قرار صائب ويطمحون إلى العمل بنحوٍ سديد - خاصة أولئك الذين يشغلون موقع القيادة - عليهم أن يحافظوا على استقلالهم الفكري.

إن المواطن التي يوصي بها القرآن الكريم قادة المجتمع الإسلامي بالاستقلال كثيرة، وجميع الآيات التي تنهى النبي ﷺ عن اتباع الآراء والعقائد المفروضة هي في الحقيقة وصايا للقادة الربانيين باستقلال الرأي، وعدم الانسياق للآراء المختلفة. نستشف من هذه الآيات عدداً من الملاحظات النفيسة الآتية حول الإدارة والقيادة:

١ - الاستقلال وعدم الانسياق ضرورة قطعية ثابتة للقائد. ولا يستطيع قادة المجتمع الإسلامي أن يقوموا بواجباتهم الإلهية إلا إذا كانت لهم هذه الصفة المهمة.

٢ - إن الوصايا القرآنية المتكررة في هذا المجال علامة على أهمية خطر الانسياق الذي يهدد قادة المجتمعات الإسلامية، وتستتبع الغفلة عنه خسائر لا تعوض.

٣ - عندما يقول القرآن الكريم بصراحة: إن النبي لا يستطيع أن يصون نفسه من خطر الانسياق إلا بتسديد إلهي يتبين لنا أن هذا الخطر جدّي في غاية الجدّ، وعلى الآخرين أن ينظروا في أعمالهم ويراقبوا أنفسهم بدقة من أجل الوقاية منه.

٤ - لا يستطيع قادة المجتمع الإسلامي أن يصونوا أنفسهم من خطر الانسياق لآراء الآخرين إلا إذا استظهروا بإمدادات غيبية، مضافاً إلى بعض المراقبات اللازمة. من هنا، فإن الدعاء والاستمداد من الله تعالى - إلى جانب المراقبات اللازمة - سرّ استقلال القائد وصلابته وعدم انسياقه.

الخلاصة

⊞ الاستبداد والانسحاق لآراء الآخرين - من منظور الإسلام - آفتان من آفات القيادة. فلا المستبد يستطيع أن يكون قائداً للمجتمع الإسلامي، ولا المنساق فكراً لآراء غيره.

⊞ آفة الانسحاق معقدة وخطرة إلى درجة أنها إذا لم تُضبط فلعلها تستتبع تحريف الوحي الإلهي. وينبئ القرآن الكريم رسول الله ﷺ على هذا الأمر، ويذكره بأن الذي يصونه من هذه الآفة هو فضل الله ورحمته.

⊞ نستنتج مما أوردناه حول خطر الاستبداد والانسحاق لآراء الآخرين ما يأتي:
أ - الاستبداد والانسحاق لآراء الآخرين آفتان، والاستقلال ضروري للقائد والإداري.

ب - الوصايا القرآنية المتوالية في التحذير من الانسحاق لآراء الآخرين تُترجم جدية هذا الخطر الذي يهدد قادة المجتمعات الإسلامية.

ج - الاستمداد من الله تعالى للوقاية من آفة الانسحاق ضروري، مضافاً إلى وجود الرقابة اللازمة.

الفصل الخامس

أمراض أخلاقية

ذكرنا في الفصل الثاني من القسم الأول أنّ الأخلاق أساس العمل، وأنّ غاية النبوة والإمامة إحياء القيم الأخلاقية، وكذلك فإنّ القيادة الأخلاقية في الإسلام من الشروط الجوهرية للقيادة السياسية.

من هنا، لا نرتاب في أنّ جميع ضروب الشذوذ والأمراض الأخلاقية تُعدّ من آفات القيادة. ولكن لما كان بعضها أكثر ضرراً لقائد المجتمع وردت الأحاديث والروايات لتؤكد ضرورة ابتعاد القائد بل جميع الإداريين عنها، على كافّة المستويات الإدارية.

١ - قال رسول الله ﷺ:

«لا ينبغي لحاكم من حكام المسلمين أن يكون فيه ثلاثة أشياء: الجدة، والحق، والحسد»^(١).

٢ - وقال ﷺ أيضاً:

«الإمام عفيف عن المحارم عفيف عن المطامع»^(٢).

(١) مسند الفردوس: ٥ / ١٣٦ / ٧٧٣٦.

(٢) حلية الأولياء: ٨ / ٢٢٤.

٣ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلّا من لا يصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع»^(١).

٤ - وقال عليه السلام أيضاً:

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلّا من لا يصانع ولا يخادع ولا تغره المطامع»^(٢).

٥ - وقال:

«لا ينبغي أن يكون على المسلمين الحريص فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيهلكهم بجهله، ولا البخيل فيمنعهم حقوقهم، ولا الجاني فيحملهم بجنابته على الجفاء، ولا الخائف للدول^(٣) فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المترشي في الحكم فيذهب بحقوق الناس، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»^(٤).

هذه الأحاديث إنذارٌ للمجتمع الإسلامي بأن يقوم أفرادُه بواجباتهم الإلهية في اختيار الأمناء على الشؤون الحكومية ورؤساء الدوائر والوزراء، فينتخبوا الكفوئين المؤهلين للأمانة. أي: يختاروا مَنْ كان سليماً من أمراض الغضب والحقد والحسد والطمع والمصانعة والحرص والبخل والاستئثار والارتشاء وغيرها. فالمصابون بهذه الأدواء ليسوا أهلاً للأمانة والإدارة. وإذا قصّر الناس في واجباتهم الإلهية مُهملين غير مراعين للدقة ورضوا بهيمنة من لا كفاءة لهم في المجال الإداري والحكومي فلا يتوقعوا رخاءً وسعادةً ورفاهيةً ماديةً ومعنويةً، وحينئذٍ فلا يلوموا إلا أنفسهم. يضاف إلى ذلك أنهم مسؤولون أمام الله تعالى. ولو كان المسلمون قد رفضوا سلطة غير الكفوئين لرُفرت راية الإسلام خفاقةً على ربوع المعمورة هذا اليوم.

(١) نهج البلاغة: الحكمة ١١٠.

(٢) غرر الحكم: ١٠٨١٣.

(٣) الدول: جمع دولة - بالضم -: هي المال، لأنه يُداول من يديده.

(٤) دعائم الإسلام: ٢ / ٥٣١ / ١٨٨٦. وجاءت هذه المواصفات في الخطبة ١٣١ من نهج البلاغة كالاتي: «...»

وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته...».

الخلاصة

☐ جميع الأمراض الأخلاقية آفات تهدد القيادة. ولكن لما كان بعضها أكثر ضرراً لقائد المجتمع ومديره فإن الأحاديث والروايات أكدت ضرورة سلامة القائد من تلك الأمراض.

☐ الأحاديث التي ذكرت الغضب والحقد والحسد والطمع والمساومة والحرص والبخل والاستئثار والارتشاء عقبات تحول دون الإمامة إنما تُنذر المسلمين أن يكونوا واعين في اختيار الأمناء على الحكومة.

☐ لو كان المسلمون قد رفضوا سلطة غير الكفوئين لرُفرت راية الإسلام خفاقةً على ربوع المعمورة هذا اليوم.

القسم السادس

الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

الفصل الأول

حقوق الناس في النظام الإسلامي

رضا الناس عن الحكومات ودعمهم لها يرتبطان ارتباطاً مباشراً بتلبية حاجاتهم. فكلّما أفلحت الحكومات في قضاء الحاجات للناس - على شتى الأصعدة - نالت دعمهم وتأييدهم.

النقطة الدقيقة اللافتة للنظر هنا هي أنّ حاجات الناس لا تنحصر بمطالبهم المادّية فحسب، إذ يمكن إرضاء الحيوان بإشباع بطنه، بيد أنّ إرضاء الإنسان لا يتيسّر بهذه الطريقة. بعبارة أخرى: بقدر ما تكون العوامل المادّية مؤثّرة في إرضاء الناس تكون العوامل الروحيّة والمعنويّة مؤثّرة فيه أيضاً، بل قد تتفوّق العوامل الروحيّة على العوامل المادّية من حيث الأهميّة.

«من الممكن أن تتساوى الحكومات في تأمين الحاجات المادّية للناس ، لكنّها لا تتساوى في كسب الناس وفي رضاهم عنها، فمن الحكومات من يفي بإشباع حاجات المجتمع الروحيّة، ومنها ما لا يفي بذلك»^(١).

(١) سيري در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغه) للأستاذ الشهيد مطهرّي: ١١٨.

إنَّ إحد الموضوعات التي حيرت مُحلِّي القوى المستكبرة هي رضا الأكثرية الساحقة للشعب الإيراني عن النظام الجمهوريِّ الإسلاميِّ، وحبِّها العجيب لقيادة هذا النظام الإلهيِّ.

كان أعداء الثورة الإسلامية يتوهمون أنَّ الضغوط العسكرية والاقتصادية والسياسية والحملات الإعلامية المكثفة ستقلِّل من دعم الناس لهذا النظام، ومن ثمَّ ستقضي عليه خلال عدد شهور أو سنين. وبلغ الوهم درجة أن بعض أقطاب التنظيمات السياسية المحليَّة المعارضة للنظام كانوا يقولون: هذا النظام قباء لا يلائم إلَّا جسم مؤسسه!

إنَّ مشاركة ما يربو على عشرة ملايين إنسان في تشييع الجثمان الطاهر للإمام الراحل رضوان الله عليه بتلك الحماسة وذلك العشق الذي لا يوصف قد أدهشت العدوَّ والصدِّيق، وأثبتت بجلء أنَّ جميع تلك الضغوط والمصاعب لم تقلِّل من حبِّ الناس للإمام وللنظام قيد أغلَّة.

ونلاحظ اليوم أيضاً أنَّ تكرار المشاهد التي لا تُنسى لقدوم الإمام الراحل إلى إيران سنة ١٣٩٩هـ في الترحيب الحماسيِّ الذي يديه الشعب لخلفه الصالح - في شتَّى مدن البلاد - أفضل دليل على دعم الناس ورضاهم عن النظام الإسلاميِّ وقيادته، بالرغم من الضغوط المادِّية برمتها.

لا ريب أنَّ الباعث الأساس على هذا الدعم والرضا هو الحوافز الروحية والمعنوية، وبتأمل يسير يمكننا أن ندرك أنَّ للإنسان حاجات أخرى، بالإضافة إلى حاجاته المادِّية. وإذا اكتشفت الحكومة والقيادة تلك الحاجات ولبّتها كما ينبغي فستكون مؤثرة في إرضاء الناس أكثر من تأمين الحاجات المادِّية.

الاعتراف بحقوق الناس

العوامل الروحية لدعم الناس الحكومة هي بعدد حاجاتهم المعنوية.

ولسنا الآن في صدد دراسة هذه العوامل جميعها، وما نستعرضه في هذا الفصل هو أهمّ عوامل الدعم، ونريد به اعتراف الحكومة - خاصة القيادة - بحقوق الناس.

«ومما يرتبط به رضا الناس هو نوعية نظر الحكومة إلى الأمة وإلى نفسها. فهل تنظر إليهم على أنهم عبيدها وماليكها، وهي المالكة المختارة؟ أم أنهم ذوو حقوق وهي نائبة عنهم ومؤمنة عليهم وكفيلة برعاية حقوقهم؟

في الحالة الأولى: كلّ ما تعمله من عمل لأجلهم هو من نوع الرعاية التي يقوم بها صاحب حيوانٍ لحماية حيوانه من الآفات والعاهات.

أمّا في الحالة الثانية فإنّ عملها من نوع الخدمة التي يقدمها أمين صالح. إنّ اعتراف الحكومة بحقوق الناس. واحترازها من كلّ عمل يُشعر بإلغاء دورهم هما من الشروط الأولى لاسترضائهم وكسب ثقتهم»^(١).

يرى الأستاذ الشهيد مطهري رضوان الله تعالى عليه - في تحليلٍ علميٍّ - أنّ أحد الدوافع الرئيسة للنزوع نحو المادّية في العصر الحديث هو الفكرة الخطرة المضلّة القائلة: إنّ المسؤولية أمام الله تستلزم عدم المسؤولية أمام الناس، وإنّ حقّ الله محلّ محلّ حقّ الناس، وحقّ الحاكمية القومية يساوي الإلحاد قال ﷺ :

«قامت في أوربا - كما نعلم - نهضة مضادة للدين في القرون المتأخرة، ثم توسع نطاقها نوعاً ما فامتدّ إلى خارج العالم المسيحي، وكانت نزعتها نحو المادّية. وإذا تلمسنا أسبابها وجذورنا رأينا أنّ أحدها هو قصور المفاهيم الكنسية في حقل الحقوق السياسية.

(١) سيرى در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغه): ١١٨.

فقد حاول رجال الكنيسة وبعض الفلاسفة الأوربيين أن يقرّوا نوعاً من العلاقة المفتعلة بين الاعتقاد بالله من جهة وسلب الحقوق السياسية وتوطيد الحكومات المستبدّة من جهة أخرى . ومن الطبيعي أن نوعاً من العلاقة الإيجابية قد افترض بين الديمقراطية وحكومة الشعب للشعب، وبين العلمانية .

ومنطق هذا الغرض هو إمّا أن تقرّ بالله ونعتقد أنّه فوّض حقّ الحكومة إلى أشخاص معيّنين لا مزية لهم من غيرهم ، أو لا تقرّ به حتّى يتسنّى لنا أن نرى أنفسنا ذوي حقّ في الحكم .

يرى علم النفس الديني أنّ من عوامل التخلّف الديني هو قيام أولياء الدين بإيجاد تناقض بين الدين وبين حاجة من الحاجات الطبيعية ، خاصّة إذا ظهرت تلك الحاجة على مستوى عامّ .

ومن الملحوظ بوضوح أنّ الاستبداد والإرهاب حين بلغا ذروتها في أوروبا ورغب الناس في أن يكون حقّ الحاكميّة لهم عرضت الكنيسة أو أنصارها أو المتوكّنون على مبادئها فكرة تقول : إنّ الناس لا حقّ لهم في الحكومة ، بل هم مكلفون فحسب .

وكان هذا كافياً أن يثير الظالمين إلى الحرّية والديمقراطية والسلطة لناهضة الكنيسة ، بل الدين ، بل الله تعالى بصورة عامّة .

وكان لهذا اللون من التفكير جذور مغلّة في القدم سواء في الشرق أم في الغرب...»^(١) .

في ضوء هذا التفكير الخطر ، لا يمتلك الناس حقّاً أمام الإمام والقائد ، والولاية والقيادة الدينيّة تساويان سلب الحقوق السياسيّة والاجتماعيّة للناس ، وبكلمة واحدة : القائد مخدوم ، والناس كلّهم خدم له ! ومن البديهي أنّ حكومة تتحرّك على

(١) سيري در نهج البلاغه (في رحاب نهج البلاغة) : ١١٩ .

أساس هذه الفلسفة تفتقد الرصيد الشعبي، والقيادة التي تمتلك هذه الرؤية فيما يخص حقوق الناس سوف لا تحظى برضاهم ودعمهم.

الحقوق المتبادلة بين الناس والقيادة

يرى الإسلام أنَّ حقَّ القيادة السياسيَّة للمجتمع - في إطار تعاليمه - لا يغير حقوق الناس، بل هو رهينٌ بأداء القائد حقوقهم، وهم مكلفون بطاعته ودعمه إذا رُوِّعت حقوقهم في النظام الذي يقوده.

قال أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) في هذا المجال:

«أما بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً بولاية أمركم، ولكم عليّ من الحقّ مثل الذي لي عليكم، فالحقّ أوسع الأشياء في التواصف وأضيقتها في التناصف، لا يجري لأحد إلّا جرى عليه، ولا يجري عليه إلّا جرى له»^(١).

وقال (عليه السلام) في كلامٍ آخر، وهو يبيّن الحقوق المتبادلة بين الشعب والقيادة:

«حقّ على الإمام أن يحكم بما أنزل الله وأن يؤدّي الأمانة، فإذا فعل فحقّ على الناس أن يسمعوا له وأن يطيعوا، وأن يجيبوا إذا دُعوا»^(٢).

نلاحظ في هذا الكلام أنَّ حقَّ القائد ليس رهيناً بأداء حقوق الناس فحسب، بل طُرِحَ حقّ الإمامة والولاية والقيادة بوصفه حقّ أداء الأمانة أيضاً.

نصل هنا إلى نقطٍ بالغة الأهميَّة - في مجال أسس القيادة في الإسلام - وهي أنَّ حقَّ الحكومة في الإسلام ليس إلّا تقديم نوع من الخدمة للمجتمع، وأنَّ القائد خادم الناس لا مالكهم، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في كلام رائع له:

«سيد القوم خادهم»^(٣).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢١٦.

(٢) كنز العمال: ١٤٣١٣.

(٣) تاريخ بغداد: ١٠/ ١٨٧، كنز العمال: ١٧٥١٧.

من هنا، يذهب الإسلام إلى أنّ ولاية الأمر والقيادة - في الحقيقة - أمانة وحراسة وخدمة للناس، ووليّ الأمر أمين وراعٍ وأجير لهم.

القيادة وحفظ الأمانة

إنّ القرآن الكريم - قبل أن يطرح حقّ القيادة ولزوم طاعة الناس قادة المجتمع الإسلامي - يؤكد حقّ الناس باعتباره أمانةً يجب على القادة الرّبّانيين أدائها. قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ
النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(١).

قال الطبرسيؒ في تفسير مجمع البيان، في توضيح هذه الآية الكريمة:

قيل في المعنيّ بهذه الآية أقوال:

أحدها: إنّها في كلّ من أوثمن أمانةً من الأمانات، وأمانات الله وأوامره ونواهيه، وأمانات عباده فيما يأتين بعضهم بعضاً من المال وغيره...

وثانيها: إنّ المراد به ولاية الأمر، أمرهم الله أن يقوموا برعاية الرعيّة، وحملهم على موجب الدين والشريعة...

وبعضه قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾...

أمَرَ الله تعالى كلّ واحد من الأئمّة أن يسلم الأمر إلى من بعده،... أنّه أمر الرعيّة بعد هذا بطاعة ولاية الأمر. وروي عنهم ﷺ أنّهم قالوا: آيتان إحداها لنا والأخرى لكم... ولذلك قال أبو جعفر ﷺ: إنّ أداء الصلاة والزكاة والصوم والحجّ من الأمانة،

ويكون من جملتها الأمر لولاة الأمر بقسم الصدقات والغنائم وغير ذلك مما يتعلق به حق الرعيّة...»^(١).

قال المعلّى بن خنيس: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُوَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ قال:

«على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده، وأمرت الأئمة بالعدل، وأمر الناس أن يتبعوهم»^(٢).

من هنا، فإن القيادة والحكومة على الناس - من منظار الإسلام - قبول الأمانة وحفظها وأداؤها. وكل من تولّى عملاً في النظام الإسلامي فقد اضطلع بقسم من عبء الأمانة الإلهية. وكل من كان له مقام وموقع وقدرة أكثر فإن عبء أمانته سيكون أثقل.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى الأشعث بن قيس عامله على آذربيجان - موضحاً أن السلطة أمانة في النظام الإسلامي -:

«وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَتَ فِي رَعِيَّةٍ، وَلَا تَخَاطِرُ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خَزَائِنِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرًّا وَلَا نِكَارًا لَكَ، وَالسَّلَامُ»^(٣).

وقال عليه السلام في كتاب آخر لعامل من عماله - كان قد أخذ الأموال من بيت المال ليترّف بها في الحجاز -:

«أنا بعد، فإني كنت أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن

(١) انظر تفسير مجمع البيان: ٩٨ / ٣.

(٢) التهذيب: ٥٣٣ / ٢٢٣ / ٦.

(٣) نهج البلاغة: الكتاب ٥.

رجل أوثق منك في نفسي لمواساتي وموازرتي وأداء الأمانة إليّ... فاتق الله
واردذ إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنك إن لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأعذرن إلى
الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحداً إلا دخل النار»^(١).

القيادة والرعاية

العنوان الثاني الذي يمكن أن يبين رؤية الإسلام بالنسبة إلى موقع حقوق الناس
في النظام الإسلامي هو تعبير «الراعي» في توضيح موقع القيادة والإمامة.
ورد في كثير من الأحاديث المأثورة أن الإمام هو الراعي، والناس هم الرعية.
علماً أن معنى هاتين المفردتين في العربية يغير معناهما في الفارسية تماماً، إذ يتداعى
في خاطر الفارسي إذا سمعها نظام الإقطاع الذي يصادر فيه الإقطاعيون وملاكو
الأرض حقوق الناس.

هذا الاستعمال من باب تسمية الأشياء بأضدادها، واستخدام الكلمات المقدسة
للتعبير عن مفاهيم ومآرب غير مقدسة.

المفهوم الحقيقي للراعي هو «الحافظ»، والرعية هم الذين تُرعى شؤونهم ويحافظ
عليهم.

قال رسول الله ﷺ:

«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته»^(٢).

نلاحظ في هذا الكلام أن رسول الله ﷺ عَرَضَ في البداية ضرورة رعاية حقوق
الآخرين بوصفها مبدأ عاماً، إذ ينبغي للجميع في النظام الإسلامي أن يحافظوا على
حقوق ومصالح بعضهم بعضاً. من هنا كل مَنْ كان نطاق حفظه ورعايته أوسع

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤١.

(٢) صحيح البخاري: ١ / ٣٠٤ / ٨٥٣.

فمسؤوليته أكبر وأثقل. ثم ذكر ﷺ مسؤوليته وليّ الأمر في مقابل حقوق الناس، وبين بعد ذلك مسؤولية الزوج في حفظ حقوق زوجته وأولاده، ومسؤولية الزوجة في حفظ حقوق زوجها وأولادها^(١).

من هذا المنطلق، نرى أنّ جميع الأحاديث التي تسمّي القائد «راعياً» والناس «رعية» تؤكد نقطة حقوقية مهمة، تتمثل في أنّ حقّ الولاية والإمامة والقيادة - في الحقيقة - هو حقّ رعاية حقوق الناس، لا حقّ استغلالهم من أجل ميول وليّ الأمر ومآربه.

روي عن النبي ﷺ أنّه قال:

«ما أوتيكم من شيء وما أمنعكموه إن أنا إلا خازنٌ أضع حيث أمرت»^(٢).

«الخازن» حافظ لأموال الآخرين وحارس عليها. ونلاحظ في هذا الحديث أنّ النبي ﷺ يرى نفسه خازناً يتولّى مهمة رعاية الناس والمحافظة عليهم بتكليف ربّاني، ويعرض ولايته في نطاق مهمته الربّانية، لا في نطاق رغباته الخاصّة.

القيادة والخدمة

من العناوين الأخرى التي تعكس الرؤية الإسلامية - في مجال حقوق الناس في النظام الإسلامي - عنوان «الأجير». قال رسول الله ﷺ:

«ألا وإني أنا أبوكم، ألا وإني أنا مولاكم، ألا وإني أنا أجيركم»^(٣).

يؤكد النبي ﷺ في هذا الكلام أنّه أب رحيم، ووليّ أمرٍ مقتدر للمجتمع الإسلامي، وفي الوقت ذاته يُعرّف نفسه بأنّه أجير للمسلمين، والأجير هو من يُخدم

(١) صحيح البخاري: ١/٣٠٤/٨٥٣.

(٢) سنن أبي داود: ٣/١٣٦/٢٩٤٩، مسند ابن حنبل: ٣/١٩١/٨١٦١، كنز العمال: ١٦٧١١.

(٣) أمالي المفيد: ٣/٣٥٣.

الناس بأجرةٍ يأخذها منهم لقاء خدمته.

إنَّ تعريف نفسه ﷺ أجيراً ودعاه في بداية الحديث على من ينتهك حقوق رسالته وقيادته إشارتان إلى آيات قرآنية قد أكدت حقوقه ﷺ^(١).

وملخص الكلام: إنَّ نبيَّنا ﷺ وجميع الأنبياء ﷺ والقادة الربَّانيين خدم لا ينتظرون أجراً مادياً من الناس. والشيء الوحيد الذي يطلبونه منهم كأجرٍ لهم هو تطبيق منهاجهم الواهب الحياة، والوصول إلى الكمال المطلق. قال تعالى:

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾^(٢).

القائد في النظام الإسلامي إذاً خادم لا تنطوي حقوقه على منفعة مادية له. فهو لا يستخدم قدرته وإمكاناته لأجل مصلحته الخاصة، بل هو أقل من الآخرين في الاستمتاع بالملذات المادية، وإنما يستعين بقدرته بوصفه أميناً وحارساً وأجيراً للناس فحسب.

إنَّ حقوق القيادة في النظام الإسلامي تتحقَّق في إطار تأمين حقوق الناس، والقائد في الحقيقة خادم بلا عِوض ومِنَّة، وأجير بلا مالٍ! قال سبحانه:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(٣).

وقد تكرَّر مضمون هذه الآية الشريفة، حول الأنبياء الذين كانوا قادة مجتمعاتهم، في القرآن الكريم مراراً^(٤).

في ضوء ذلك، كان الإمام الراحل رضوان الله تعالى عليه يعتقد اعتقاداً تاماً

(١) الفرقان: ٥٧، سبأ: ٤٧، الشورى: ٢٣.

(٢) الفرقان: ٥٧.

(٣) سبأ: ٤٧.

(٤) الشعراء: ١٠٩ و ١٢٧ و ١٤٥ و ١٦٤ و ١٨٠.

بحقوق الناس في النظام الإسلامي، ويسمى نفسه خادماً. وقد أصر بهذا الاعتقاد في وصيته السياسية الإلهية بنحو تام، إذ اعتذر إلى الشعب من القصور والتقصير بهذه الكلمات الرائعة العميقة:

«أسأل المولى الرحمن الرحيم أن يقبل عذري عن تقصير أو قصور في الخدمة، وأرجو من الشعب أن يقبل عذري أيضاً من تقصير أو قصور. وعليه أن يمضي قدماً باقتدار وعزم وإرادة، وليعلم أن ذهاب خادم من خدامه سوف لا يحدث خللاً في سدة الحديدية، إذ يخدمه أناس أسمى وأرفع».

وهذا من أهم أسرار عشق الشعب الإيراني المسلم للباسل المقاوم لإمامه العزيز.

ولاية الفقيه المطلقة وحقوق الناس

قد يقال: إن الإقرار بأن القيادة في الإسلام أمانة وإن القائد أمين وخادم للناس ممّا لا ينسجم مع الاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة.

ذلك أن الناس على هذا الأساس هم أصحاب الحكومة الأصليين، وأن المسؤولين - وعلى رأسهم القائد - يجب أن يلبّوا مطالبهم، وأن الحكومة لا تتمتع بأيّ صلاحية خارج نطاق رغبتهم.

من هنا، يتحدّد الولي الفقيه بصلاحيات مَنحها الناس أو ممثلوهم إيّاه، ولا ولاية له أكثر من ذلك.

من الضروري الالتفات إلى النقطتين الآتيتين لتوضيح هذا الغموض:

١ - التفاوت بين أساس الحكومة الإسلامية وأساس الحكومات الديمقراطية

أساس الحكومة في النظام الإسلامي حاجة الناس، وفي الحكومات الديمقراطية رغبتهم، فحاجة الناس في الحكومة الإسلامية هي التي تحدّد صلاحيات الحكومة والقيادة، لا رغبتهم.

على سبيل المثال، لو كان معظم الناس يرغبون في تعاطي المخدرات أو المشروبات الكحولية فإن تعاطيها سيصبح مباحاً في الحكومة الديمقراطية، لأن رغبة الناس هي الأساس فيها. أمّا في الحكومة الإسلامية فلا يُباح ذلك، حتى لو رغب جميع الناس فيه، فرغبة الناس لا تجعل تعاطي المواد المذكورة قانونياً، وليس هذا فحسب، بل الحكومة مكلفة بمكافحتها.

بكلام أدق: رغبة الناس محترمة في النظام الإسلامي ما دامت لا تتناقض مع حاجتهم^(١). وإذا حدث تضاد وتزاحم فإن أمانة الحكومة والحقوق الحقيقية للناس تستدعيان تقديم حاجاتهم.

٢- معنى الولاية المطلقة للفقهاء

الولاية المطلقة للفقهاء ليست إلا الولاية المطلقة للفقهاء والإسلام. بعبارة أخرى: للوليّ الفقيه - في النظام الإسلامي - صلاحية مطلقة إذ يعمل بما يُحليه عليه القانون الإسلاميّ وحكم الله تعالى، لا بما تُحليه عليه رغبته أو مصالحه الخاصة.

ولو خال أحد أن الولاية المطلقة للفقهاء تعني أن الإسلام أذن لوليّ المجتمع الإسلاميّ أن يعمل كما يشاء وينتهك حقوق الناس بهيئة ديكتاتور دينيّ فقد ارتكب خطأ فادحاً. وإذا نقل هذا الوهم الغالط إلى الآخرين فقد اقترف خيانة عظيمة بحق الإسلام والثورة الإسلامية.

وصفوة القول: إن الولاية المطلقة للفقهاء هي في إطار المبادئ القيمة للإسلام، والحاجات الحقيقية للإنسان. من هنا فهي لا تتناقض مع حقوق الناس، بل إن أساسها هو أداء حقوقهم الحقيقية.

(١) لمزيد من التوضيح انظر كتابنا فلسفة وحى ونبوت (فلسفة الوحي والنبوة): الدرس الخامس.

الخلاصة

- ☐ رضا الناس ودعمهم للحكومات هو مقياس نجاح الحكومات في تلبية حاجاتهم.
- ☐ لا تتلخّص حاجات الناس في المادّيّات. فقد تؤثر العوامل الروحيّة في كسب رضاهم أكثر من العوامل المادّيّة.
- ☐ اعتراف الحكومة -خاصّة القيادة- بحقوق الناس واجتنابها كلّ عمل يعبر عن إلغاء دورهم في الحكم هو من شروط استرضائهم وكسب ثقتهم.
- ☐ التفكير الخطر الذي يرى أنّ المسؤوليّة أمام الله تستلزم عدم المسؤوليّة أمام الناس، وأنّ حقّ الحاكميّة القوميّة يساوي الإلحاد، هو من الدوافع الرئيسة للنزوع نحو المادّيّة في القرون الأخيرة.
- ☐ يرى الإسلام أنّ حقوق القيادة رهينة بحقوق الناس، والناس مكلفون بطاعة القائد ودعمه، إذا كانت حقوقهم محترمة.
- ☐ القيادة في الإسلام أمانة ورعاية وخدمة. والقائد أمين وأجير وخادم للناس.
- ☐ إنّ ما عُرِفَ بحقوق القيادة في الإسلام هو في الحقيقة حقوق الناس أيضاً، والقادة الربّانيّون الكبار هم خَدَمُ بلا أجر ولا مِنّة.
- ☐ رغبة الناس محترمة في النظام الإسلاميّ ما دامت لا تتعارض مع حاجتهم، وإذا تعارضت فإنّ أمانة الحكومة وحقوق الناس تستدعيان تقديم حاجتهم.
- ☐ الولاية المطلقة للفقهاء هي في إطار المبادئ القيميّة للإسلام والحاجات الحقيقيّة للإنسان. فهي إذاً لا تتعارض مع حقوق الناس، بل إنّ أداء حقوقهم هو الأساس لها.

الفصل الثاني

حقّ النقد

حقّ النقد هو حقّ لإتامة سائر الحقوق، وإحيائه يمكن أن يقي من الاستبداد الذي هو أخطر آفات السلطة.

ومتى كان النقد حرّاً في المجتمع وقَدَّر الناس أن يتحدّثوا بنقاط ضعف الإدارة الحاكمة وسليّبتها تهيّاً للمسؤولين أن يلحظوا نقاط ضعفهم بوضوح، وأن يكافحوا الفساد والظلم، ويقدموا خدمات أكثر قيمةً.

ويصدق عكس ذلك أيضاً، فإنّ غياب حقّ النقد يمهّد الأرضيّة لنشوء المتملّكين والمتزلفين، ويخفي نقاط الضعف عند المسؤولين في برامجهم السياسيّة وإجراءاتهم، ويؤدّي إلى استشراء الفساد في الأجهزة الحكوميّة، ويقضي على العدالة الاجتماعيّة في آخر المطاف.

وتدلّ دراسة التوجيهات التي أبدّاها قادة الإسلام الكبار لاسيّما رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليّ عليه السلام على أنّ حقّ النقد في الإسلام من حقوق الناس الرسميّة. فإنّه لا يكفي المسلمون بممارسة حقّ تذكير حكامهم بنقاط ضعفهم وعرض اقتراحاتهم

البناء فحسب، بل إن إقامة هذا الحق واجب عليهم كتكليف إلهي.
ويرى القادة الربانيون الكبار أن التملق مذموم، وأن النقد البناء هدية كبيرة،
ويعترفون الناقد على أنه أفضل صديق وأحب أخ إليهم. قال الإمام الصادق عليه السلام:
«أحب إخواني إليّ من أهدى إليّ عيوبي»^(١).

وهكذا يعلم قادة ديننا الناس استثمار حق النقد لإصلاح السلوك الفردي، وإحياء الحقوق الاجتماعية.

انتقدوني!

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قائداً كاملاً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعصوماً حسب الأدلة القوية القاطعة. ولا ريب في سداد آرائه وأفكاره وممارساته، بيد أنه في الوقت نفسه لا يأذن للناس أن ينقدوه فحسب، بل يريد منهم - مجداً - أن يجتنبوا التملق الذي يمثل عادة عامة عند مواجهة الجبارة المستكبرين. وإذا شاهدوا منه رأياً أو عملاً خاطئاً بزعمهم فعليهم أن ينقدوه بلا وجل، ويكونوا واثقين من أنه لا يمتنع من النقد، بل يمتنع من التملق والإطراء في غير محله.

والأعجب من ذلك كله أن الإمام عليه السلام لا يسمح بنقده في الظروف الاعتيادية والطبيعية للمجتمع الإسلامي فحسب بل يسمح به أيضاً في أخرج ظروف الحكومة وفي أشد الحروب التي وقعت أيام خلافته، أي: في حرب صفين.

ألقى الإمام عليه السلام خطبة حماسية تحدث فيها عن الحقوق المتبادلة بين القائد والناس، ودور هذه الحقوق في بقاء الحكومات أو سقوطها، والتأكيد على ضرورة رعاية الناس حقوق القيادة. عندها احتاج أحد أصحابه عليه السلام احتياجاً شديداً، ووفق يثني على الإمام ويمجده وهو يعلن عن طاعته على أسلوب المداحين جميعهم.

(١) الكافي: ٢ / ٦٣٩، الاختصاص: ٢٤٠، بحار الأنوار: ٧٤ / ٢٨٢.

لم يتأثر الإمام عليه السلام بمدحه وإطرائه، أو لم يأخذ بعين الاعتبار حتى الظروف الحساسة القائمة، فقال صلوات الله عليه :

«... إن من أسخف حالات الولاة عند صالح الناس أن يظنّ بهم حُبُّ الفخر، ويؤضع أمرهم على الكبر، وقد كرهت أن يكون جال في ظنكم أتّي أحب الإطراء واستماع الثناء، ولست بحمد الله كذلك، ولو كنت أحب أن يقال ذلك لتركته انحطاطاً لله سبحانه....»

... فلا تكلموني بما تُكلّم به الجابرة، ولا تتحفظوا مني بما يُتحفظ به عند أهل البادية، لا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنّوا بي استثقالاً في حقّ قيل لي، ولا التماس إعظامٍ لنفسي، فإنّه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه».

وخلص إلى القول :

«فلا تكفّوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به مني...»^(١).

نصّ الإمام عليه السلام في هذه الخطبة على إمكان خطئه لولا كفاية الله تعالى وحفظه وعصمته. ومع أنّه كان محفوظاً بصيانه الإلهية، بيد أنّه طلب من الناس أن لا تمنعهم شخصيته السياسية والمعنوية عن نقده، وأكد أن لو رأوا عملاً غالطاً في حكومته فعليهم أن يذكروه.

بكلمة بديلة: أدان الإمام عليه السلام بشدّة في جوابه لذلك المادح العادة السيئة المتمثلة بالثناء على الأمراء ورجال السياسة في المجتمع الإسلامي من جهة، ومن جهة أخرى أراد أن يُربي في نفوس الناس روح النقد والنظر العميق في أعمال المسؤولين عن

النظام الإسلامي، حتّى لو كان هؤلاء المسؤولون في أعلى المستويات -أي: معصومين- كما أراد أن يدرّب القادة على قبول النقد.

ضروب النقد السياسي

بعد أن ذكرنا أن الإسلام يعترف بحق النقد يثار الآن السؤال الآتي: هل يسمح النظام الإسلامي بالنقد الذي يستتبع أهدافاً سياسية معيّنة بنحوٍ مطلق؟ أم يضع له شروطاً وضوابط خاصّة؟

الجواب المجمل عن هذا السؤال هو: أن النقد السياسي - بالنظر إلى بواعثه وأهدافه ومحتواه - ينقسم إلى قسمين:

١- النقد السياسي البناء.

٢- النقد السياسي الهدّام.

يرى الإسلام أن النقد السياسي البناء واجب على كلّ مسلم، وأنّ النقد السياسي الهدّام محظور عليه.

١- النقد السياسي البناء

لا يهدف هذا النقد إلّا إلى الإصلاح والنصح والبناء ومكافحة الفساد والشذوذ، ولا يرمي الناقد فيه إلى فرض كلامه وتحكيم خطّه السياسي وإشباع غريزة حبّ الجاه في نفسه. ولم يتخذ دعم الحقّ والعدالة والناس وسيلةً لبلوغ مآربه السياسيّة، بل هو يدعم الحقّ بصدقٍ. ولم يُجز القرآن الكريم والسنة الشريفة هذا النقد تحت عنوان «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فحسب، بل أوجباه كعمل ضروريّ لا محيد عنه من أجل استمرار حاكميّة الإسلام.

يرى القرآن الكريم أن لجميع المؤمنين حقّاً أن ينقدوا أيّاً كان، دون نظرٍ إلى موقعه السياسي والاجتماعي. قال تعالى:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُهُمْ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ^(١).

هذه الولاية هي القدرة القانونيّة للنقد البناء، التي وهبها الله سبحانه كافّة المؤمنين ليتمكّنوا من مكافحة المنكرات السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة وغيرها، ومن ثمّ يبنوا مجتمعاً ليس فيه إلّا المعروف والحسن والجمال.

تنصّ الآية الكريمة المتقدّمة على أنّ أدنى إنسان في المجتمع الإسلاميّ يتمتّع بولايةٍ وقدرةٍ تمكّنه أن ينقد بصراحة أرفع شخص يشغل موقعاً سياسياً واجتماعياً مهماً، وأن يلفت نظره إلى نقاط ضعفه، ويأمره أن يؤدي واجبه على نحو صحيح. يرى أمير المؤمنين عليه السلام أنّ النقد البناء قوام الشريعة، أي: إنّ حاكميّة الإسلام في المجتمع رهينة بمثل هذا النقد. قال عليه السلام:

«قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود»^(٢).

في ضوء هذه الرؤية كان الإمام عليه السلام في أيام خلافته يستاء من التملّق والتملّقين، ويطلب من الناس بالحاج ألا ينظروا إلى موقعه السياسيّ، ولا يتنوّا عن التذكير إذا رأوا ضعفاً أو خطأً في حكومته.

٢- النقد السياسيّ الهدّام

لا يختلف هذا النقد في ظاهره عن النقد البناء، فالناقد هنا يتظاهر بالنصح وطلب الإصلاح. ويرفض كلّ منفعةٍ شخصيّةٍ وفئويّةٍ من وراء نقده. من جانب آخر، تبلغ الحوافز النفسيّة في الإنسان من الدقّة مبلغاً بحيث يُعنى الناقد بخداع الذات. قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ*﴾

(١) التوبة: ٧١.

(٢) غرر الحكم: ٦٨١٧.

أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ»^(١).

ليس الهدف الأصلي والنهائي في النقد السياسي الهدام مكافحة الفساد والشذوذ، بل هو إشباع غريزة حب الذات والجاه. فالتظاهر بنصرة الله ودعم الحق، ومكافحة الفساد تمثل في الحقيقة جسراً لبلوغ الأهداف السياسية. وأصحاب هذا النقد - كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - جعلوا آخرتهم وسيلة لطلب الدنيا. قال عليه السلام:

«ومنهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا»^(٢).

أجل، النقد الهدام خطر بالقدر الذي يكون فيه النقد البناء أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفيداً ومفراً جاً وضرورياً للمجتمع الإسلامي.

ونظراً إلى أن هذين الضربين من النقد لا تفاوت بينهما في الوهلة الأولى، وأن موضوع النقد السياسي من أهم القضايا المعاصرة، فلا بد من التوفر على دراسة بعض الموضوعات من أجل التعرف على النقد البناء، وكذلك التعرف على آراء الإسلام في موقفه من النقد الهدام:

١- مواصفات النقد البناء.

٢- آفات النقد البناء.

٣- أسلوب التعامل مع النقد الهدام.

مواصفات النقد البناء

تلخصت مواصفات النقد البناء في حديثين نبويين رائعين حول (علامات الناصح) و(شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

(١) البقرة: ١١ و١٢.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة ٣٢.

قال ﷺ في مواصفات مَنْ لا يهدف في نقده لغير البناء :

«أما علامة الناصح لأربعة: يقضي بالحق، ويعطي الحق من نفسه، ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه، ولا يعتدي على أحد»^(١).

وقال ﷺ في شروط من يريد أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر :

«لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خصال: رفيق بما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه»^(٢).

يمكننا في ضوء هذين الحديثين النبويين الشريفين أن نقول: للنقد البناء ثلاث مزايا هي :

١- العلم

النقد البناء : هو النقد الذي يكون فيه الناقد قد درس موضوع نقده بنحو تامّ، وأدرك فيه ظروف من ينقده بشكلٍ دقيق، وأخيراً علّم وأحاط إحاطةً كاملةً بمعروف شيء يأمر به، ومنكر شيء ينقده: «عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه».

٢- الإنصاف

المزية الثانية من مزايا النقد البناء هي: مراعاة الإنصاف في نقد آراء الآخرين وأعمالهم. نقرأ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام حديثاً يرى فيه أنّ الإنصاف أرفع درجات العدل. قال عليه السلام :

«لا عدل كالإنصاف»^(٣).

(١) تحف العقول: ٢٠.

(٢) نوادر الراوندي: ٢١، الجعفریات: ٨٨، بحار الأنوار: ١٠٠ / ٨٧ / ٦٤.

(٣) البحار: ٧٨ / ١٦٥ / ١.

ونلاحظ أنَّ النبيَّ الكريم ﷺ يؤكِّد على هذه الصفة أكثر من غيرها في تبيان سمات النقد البناء، فقد تكرر في كلامه المذكور التركيز على مراعاة الحق والعدل والإنصاف في النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ستَّ مرَّات. والنقطة اللافتة للنظر هي أنَّ إعطاء المرء الحقَّ من نفسه علامة من علامات النصح للآخرين، وقد نصَّ عليها الكلام النبويَّ بصراحة. وإنَّ تطبيق الإنسان الحقَّ والعدل على نفسه وإنصافه منها يثَّلان أعلى درجات العدل والإنصاف. قال الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

«غاية الإنصاف أن يُنصف المرء نفسه»^(١).

لا يتسنى لأحدٍ أن ينقد آراء الآخرين وأعمالهم ويكون ناصحاً لهم إلا إذا بلغ هذه الدرجة من الإنصاف، فلا ريب أنَّ نقد مثل هذا الشخص ثمين وبنّاء. بعبارة أخرى: إنَّ من يستطيع أن يرى عيب الآخرين وينقدهم هو من رأى عيوبه وجراً على نقد نفسه أيضاً.

٣- الأسلوب المرصني

لأسلوب النقد دورٌ مهمٌّ في سلامته وبنائه. فكون النقد حقّاً لا يكفي لجعله بنّاءً، بل إنَّ عرض النقد بنحوٍ مناسب هو من شروطه الأصليّة والمصيريّة أيضاً. وفي التوصية بالرفق والمداراة في الأمر والنهي - المارَّ ذكرها في الحديث النبويّ - إشارة إلى هذه الصفة المهمّة.

المعيار العامّ في أسلوب النقد الصحيح هو أنَّ الناقد ينقد الآخرين بالشكل الذي يحبُّ أن ينقدوه بمثله أيضاً: «ويرضى للناس ما يرضاه لنفسه».

خصائص النقد الهدام

تشير الأحاديث المأثورة إلى آفاتٍ لو مُنِيَ بها النقد فإنّه يفقد صفة البناء . من هنا يمكننا أن نعدّ هذه الآفات خصائص للنقد الهدام أيضاً :

١ - جهل الناقد

الجهل من أخطر آفات النقد، فالجاهل لما كان لا يعلم دوافع ما يفعله الآخرون ولا يدرك عقبات العمل ومشكلاته فإنّه يفتح فاه بالنقد حالما تعارض العمل مع ذوقه ورؤيته، دون الأخذ بعين الاعتبار ظروف العمل ومتطلباته وعقباته. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في هذا الصدد :

«مَنْ جَهَلَ شَيْئاً عَابَهُ»^(١).

«مَنْ قَصَرَ عَنْ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ عَابَهُ»^(٢).

من هنا يُعدّ الجهل أصلاً لكثيرٍ من ضروب التعيب، كما قال الإمام عليه السلام :

«الناس أعداء ما جهلوا»^(٣).

وإذا بلغ الإنسان يوماً هذه الدرجة من المعرفة وصياغة النفس واستطاع أن ينقد ويوالي ويعادي على أساس العلم والوعي فلن تبقى في المجتمع أرضية النقد الهدام والعداء الناجم عنه.

وأشار القرآن الكريم إلى هذه النقطة المهمّة في جوابه من الطعون التي صوّبها الأعداء إلى الإسلام في عصر البعثة. قال تعالى :

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾^(٤).

(١) كشف الغمّة: ٣ / ١٣٧، بحار الأنوار: ٧٨ / ٧٩ / ٦١.

(٢) الإرشاد للشيخ المفيد: ١ / ٣٠١، بحار الأنوار: ٧٧ / ٤٢٠ / ٤٠.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ١٧٢ و ٤٣٨، خصائص الأئمة: ١١٠، الاختصاص: ٢٤٥.

(٤) يونس: ٣٩.

٢- الظلم

آفة أخرى من آفات النقد الهدام. وينبغي أن نقول - آسفين - : إنه قلما يسلم النقد والناقد من هذه الآفة. ويطغى اللسان والقلم عادةً في مدح الآخرين أو ذمهم، ويتجاوز حدّ العدل والإنصاف. قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«قلما ينصفُ اللسان في نشر قبيحٍ أو إحسان»^(١).

إنّ ضروب الأمراض الأخلاقية - خاصةً الأنانية والحسد - تدفع الإنسان إلى الإجحاف في النقد. من هنا يصدر أكثر أنواع النقد بناءً من أفضل الناس أخلاقاً. إنّ الدور الهدام للأمراض الأخلاقية في الانتقادات السياسية هو أخطر. ولا يمكن للأتاني أن يُنصف في انتقاداته، فهو يتظاهر بأنه ناصح للناس بألف دليل ودليل، بيد أنه لا يهدف في الحقيقة إلا إلى الاستعلاء وفرض ذوقه وخطئه السياسي. والحسد أخطر من الأنانية. والحسود لا يفكر حتى بمصلحته، إذ لا يرضى إلا بزوال نعمة الغير، من هنا قال الإمام الصادق عليه السلام :

«النصيحة من الحاسد مُحال»^(٢).

٣- الأسلوب المذموم

إنّ استخدام الأساليب الغالطة لا يجرد النقد من الفائدة والبناء، ولا يفقد أثره في إزالة النقائص ونقاط الضعف من الفرد والمجتمع فحسب، بل يزيد الطين بلةً والنار حطباً، ويجعل النقد هداماً كلّ الهدم.

القصد من أسلوب النقد هو الطريقة التي يختارها الناقد لطرح نقده، كنوع التعامل، واللفظ وأسلوب التعبير، والظروف الزمانية والمكانية، والمخاطب، وغير

(١) غرر الحكم: ٦٧٢٤.

(٢) الخصال: ٢٦٩/٥، بحار الأنوار: ٧٤/١٩٤/١٨، و: ٧٨/١٩٤/٩١، و: ١٠٣/٢٢٥/١١.

ذلك .

على سبيل المثال، يرى الإسلام أنّ الموقف العلنيّ والنقد أمام الآخرين -إلا في حالات استثنائية - مذمومان ، ويمثّلان أسلوباً غير سليم . قال أمير المؤمنين عليه السلام :

«نَصَحَكَ بَيْنَ الْمَلَأِ تَقْرِيعٌ»^(١).

وقال الإمام العسكري عليه السلام :

«مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرّاً فَقَدْ زَانَهُ، وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ شَانَهُ»^(٢).

ومن الأساليب غير السليمة أيضاً: الموقف الحادّ العنيف، واستعمال الألفاظ القبيحة المشينة، واختيار الظروف غير المناسبة لطرح النقد.

لذلك، فالنقد الهدّام إمّا ينشأ عن جهل الناقد، أو أنّ بواعث غير أخلاقية تفرّضه، أو أنّ أسلوب طرحه غير سديد، أو تجتمع هذه الآفات كلّها في إيجاده.

وكلّما كان جهل الناقد أكثر وحافزه أفسد وأسلوب نقده أسقم ازداد هدم نقده وتضاعفت آثار شذوذه في المجتمع.

أسلوب التعامل مع النقد الهدّام

نظراً إلى مواصفات النقد الهدّام وآثاره فلا ريب أنّ هذا الضرب من النقد يُعدّ جرماً وذنباً، وأنّ الناقد يُعتبر مجرماً ومذنّباً، لذلك فأسلوب التعامل مع هذا الذنب - كأسلوب التعامل مع سائر الذنوب - يرتبط بمراعاة الآداب والظروف ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

في ضوء ذلك، ليس النظام الإسلاميّ وحده مكلفاً بالتخطيط للحؤول دون الانتقادات الهدّامة واتّخاذ الموقف منها، بل إنّ كلّ مسلم مكلف أيضاً باتّخاذ الموقف

(١) غرر الحكم: ٩٩٦٦.

(٢) تحف العقول: ٤٨٩، بحار الأنوار: ٧٨ / ٣٧٤ / ٣٣.

منها حسب فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وإذا وجد نفسه عاجزاً عن ذلك فعليه أن ينهج أسلوب النضال السلبي، عملاً بتوصية القرآن الكريم. قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ...﴾^(١).

قال الإمام الصادق عليه السلام، في بيان هذه الآية الكريمة:

«إِنَّمَا عَنِ بَهَذَا: إِذَا سَمِعْتُمُ الرَّجُلَ الَّذِي يَجِدُ الْحَقَّ وَيَكْذِبُ بِهِ وَيَقَعُ فِي الْأَمْنَةِ فَمَنْ مِنْكُمْ مَنْ عِنْدَهُ وَلَا تَقَاعِدُهُ، كَانَتْ مِنْكُمْ أَمْرٌ»^(٢).

بالرغم من أن المعيار الكلي في الموقف المتخذ من النقد الهدام هو قانون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بيد أن تطبيق هذا القانون بالنسبة إلى النقد السياسي - خاصة النقد الموجّه إلى الحكومة الإسلامية - ليس أمراً هيئياً. فالموقف من مثل هذا النقد يتطلب دراسات شاملة، ويحتاج إلى ممارسة أسلوب متزن وتخطيط دقيق. وبكلمة واحدة: فقدان الحنكة السياسية في مواجهة الانتقادات السياسية أمر بالغ الخطورة.

درس من السيرة النبوية

اتخذ رسول الله ﷺ موقفاً حكيماً في مواجهة متطرفي معاصر كان قد قدح في عدالته ﷺ، بل في حاكمية العدالة في الإسلام. وفي ذلك الموقف درس تربوي ثمين لكل مسؤول من مسؤولي النظام الإسلامي، عند مواجهة الانتقادات في جميع العصور.

(١) النساء: ١٤٠.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٧٧، ٨، تفسير العياشي: ١/ ٢٨٢ / ٢٩١.

كان ﷺ مشغولاً في تقسيم غنائم الحرب يوماً، وكانت سياسة تأليف القلوب تقتضي اهتماماً أكبر بالمسلمين الجدد من أولي النفوذ الذين كانوا يرون لأنفسهم شخصية متميزة عن الآخرين.

وعندما كان النبي ﷺ يعطي كلّ مسلم حصّته كان يلتفت إلى اليمين قليلاً، وكأنّه كان يكلم أحداً، ثمّ يعطي الحصّة المذكورة، وكان الحاضرون يعتقدون أنّه يكلم جبريل عليه السلام.

خال بعض المتظاهرين بالقداسة أنّ طريقة تقسيم الغنائم غير عادلة، لذا عزم أحدهم على أن ينتقد النبي بشدّة أمام الصحابة. وهذا الشخص هو ذو الخويصرة من قبيلة بني تميم. كان طويل القامة، أسود الوجه، غائر العينين، مشرف الحاجبين، محلولق الرأس، على جبهته آثار السجود. فتقدّم والنبي ﷺ مشغول بالتقسيم، ولم يسلم عليه وسلم على الحاضرين. ثمّ ذكره باسمه، وخاطبه خطاباً مهيناً، فقال:

«يا محمد، والله ما تعدل!».

غضب رسول الله ﷺ من هذا النقد الجاهل والموقف الفظّ المهين. ولم يكن غضبه بسبب انتقاده الجافي لشخصه، بل لأنّ مثل هذا الانتقاد الصادر من هؤلاء «المتنسّكين» يمكن أن يقدح في النبوة والإسلام، ويزعزع النظام الإسلامي.

أجل، بانت آثار الغضب على الحيّا الملكوتيّ لرسول الله ﷺ، وبينما كانت وجناته قد احمرّت من شدّة الغضب أجابه بهدوء:

«ويحك! فمن يعدل إذا لم أعدل!؟».

وامتعض الحاضرون أشدّ الامتعاض من هذا الموقف الفظّ، واستأذنوا نبيهم في قتله.

فقال لهم نبي الرحمة ﷺ: لا، لا أريد أن يسمع المشركون أنّي قتلْتُ أصحابي... فإنّ له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن

لا يجاوز تراقيهم، يرقون من الإسلام كما يرق السهم من الرمية... ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء... ليس لهم أدنى صلة بالإسلام! لا تتعرضوا لهم، سيقتلهم الله بعدي بأحب خلقه إليه^(١)!

وكان الأمر كما أخبر ﷺ، إذ قُتِلَ ذوالخويرة وأصحابه في حرب النهروان، على يد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

نلاحظ في هذه القصة وفي موقف رسول الله ﷺ من ذلك الانتقاد الجاهل المتطرف المتعصب الذي وجهه أحد «المتنسكين» المتحجرين نقاطاً تربوية مهمة تفيد الجميع، لاسيما مسؤولي الجمهورية الإسلامية والشعب الإيراني الوفي المقاوم. ويبدو أن الالتفات إليها ضروري:

١- لا يسلم أحد من الانتقادات غير الموجهة

لا يسلم امرؤ ولا عمل ولا حكومة من انتقادات اللامزين. فكل إنسان وكل حكومة مهما حاولا أن تكون أعمالهما خالية من كل عيب ونقص، ومهما عملا بصورة صحيحة فلا يأمنان على أنفسهما من ظهور من يعيبهما وينتقدهما بلا حق.

نحن نعتقد أن التاريخ لم يشهد قائداً أكمل من النبي ﷺ، وحكومةً أعدل من حكومته، بيد أننا نلاحظ كيف يوجه إليه الانتقاد بلا مروءة، وفي قضية ترتبط بالعدالة التي هي أساس رسالة الأنبياء جميعهم! والأنكى من ذلك كله أن الله تعالى نفسه لم

(١) نقل محدثو الشيعة والسنة هذه القصة بأشكال مختلفة، وما ذكرناه كان مركباً من مضمون أكثرها. انظر صحيح البخاري: ٣/ ١١٤٨ / ٢٩٨١، صحيح مسلم: ٢/ ٧٤١ - ٧٤٤، مسند ابن حنبل: ٢/ ٦٨١ / ٧٠٥٩، و: ٤/ ١١٣ / ١١٥٣٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ١/ ١٤٨، دعائم الإسلام: ١/ ٣٨٩. كانت الأموال التي انتقد النبي ﷺ على تقسيمها تتعلق بغنائم حرب حُنين، كما تفيد أكثر الروايات. ولكن نقلت بعض الروايات قصة شبيهة بها ترتبط بالأموال التي كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد أتى بها من اليمن. ولعلهما في الأصل قصتان. انظر: صحيح مسلم: ٢/ ٧٤١ / ١٤٣، تاريخ المدينة المنورة: ٢/ ٥٤٠.

يسلم من الانتقاد أيضاً!

روى السيّد ابن طاووس رضوان الله تعالى عليه أنّ موسى عليه السلام قال:

«يا ربّ، احبس عني السنة بني آدم، فإنّهم يذموني...».

فأوحى الله جلّ جلاله إليه:

«ياموسى، هذا شيء ما فعلته مع نفسي، أفتريد أن أعمله معك؟!».

فقال:

«قد رضيت أن تكون لي أسوة بك!»^(١).

إنّ ما يمكن أن يتعلّمه مسؤولو النظام الإسلاميّ من هذا المأثور هو أنّ الانتقاد غير الموجّه وتعييب العدوّ العالم والصدّيق الجاهل والمتطرّف المتعصّب... أمر طبيعيّ لا مناص منه. إنّه لا يستطيعون أن يعملوا عملاً يمدحهم عليه جميع الناس ولا يلومهم أحد، فهذا لم يُقدّر حتّى الله تعالى وأنبياءه عليه السلام. فنّ الجدير ألاّ يصابوا بالفتور لانتقاد غير موجّه أو لوم في غير محله. وعليهم أن يستثمروا وقتهم في أعمالٍ أساسيّة تُرضي الله سبحانه بدل أن ينشغلوا بنزاعاتٍ لا تُجدي نفعاً. ومن البديهيّ أنّ اهتمامهم بالنقد البناء - كما مرّ بنا - واجب إلهيّ مفروغ منه.

٢- التشكيك في مطالبة المتطرّفين السياسيين بالعدالة

الموضوع الآخر الذي نتعلّمه من قصّة ذي الخويصرة هو التشكيك في مطالبة المتطرّفين السياسيين بالعدالة في النظام الإسلاميّ، إذ تدلّ بوضوح على أنّه ليس كلّ من رفع شعار المطالبة بالعدالة وعليه سيّء الدين والصّلاح هو من طُلاب العدالة حقّاً، وربّما جعل الجهل أو السياسة المطالبة بالعدالة أداة لإضعاف النظام الرّبانيّ. ولتنفيذ مآرب سياسيّة معيّنة.

(١) انظر كتاب فتح الأبواب: ٣٠٨ و ٣٠٩، بحار الأنوار: ٧١ / ٣٦١، ٥ / المحجّة البيضاء: ٣٤ / ٤.

تدلّ هذه القصة بجلاء على أنّ الذين يتكلّمون بصوتٍ أعلى من القائد في النظام الإسلامي ويرفعون شعار المطالبة بالعدالة بنحوٍ أشدّ وأعنف من الإمام ويتحرّكون قبله لتحقيق الأهداف الثوريّة إنّما يخطون باتجاه دحر الإسلام ودمار الحقّ والعدالة، علّموا أم جهلوا. وعلى الناس أن يعرفوهم جيّداً ولا ينخدعوا بشعاراتهم المتطرّفة البرّاقة.

٣- مبدأ مراعاة المصالح السياسيّة

النقطة الأخرى الملحوظة في قصّة ذي الخويصرة هي اهتمام الإسلام بمصلحة النظام. ويبدو أنّ عمليّن قد تحقّقا في هذه القضية على أساس المصالح السياسيّة، وهما:

أ- الشخصيّات المتنفّذة الحديثة عهدٍ بالإسلام قبضت أكثر ممّا قبضه المسلمون الآخرون، وتمتّعت بتسهيلات بيت المال وإمكانيّاته أكثر منهم، وذلك مراعاةً للمصلحة السياسيّة المتمثّلة بتأليف القلوب.

لأنّ أحد مصارف الزكاة - حسب النصّ القرآنيّ الكريم - يصرف لتأليف قلوب الذين يمكن أن يفيدوا النظام الإسلاميّ بنحوٍ من الأنحاء وإن كانوا أثرياء. وهذا هو ما ظنّه ذلك الجاهل «المتنّسك» مخالفاً للعدالة.

ب- إنّ من يستحقّ القتل بسبب إهانتته للنبيّ وتحقّق خطره على مستقبل العالم الإسلاميّ لا يأذن النبيّ ﷺ بقتله.

جاء في بعض الروايات أنّ سبب منعه هو أنّه لم يُرد أن يُشاع في الناس أنّه يقتل أصحابه، ولا جرم أنّ هذه القضية تُعدّ مصلحةً سياسيّةً. وترشدنا هذه الحادثة إلى أنّ مراعاة المصالح السياسيّة - إذا تطلّبت مصلحة النظام الإسلاميّ - مبدأ مقبول في الإسلام.

٤- مصير النقد السياسي الهدام

النقطة التربويّة الثمينة الأخرى في هذه القضية هي التنبؤ بمصير الذين يجيزون لأنفسهم بانتقاداتهم غير الموجهة وغير السديدة أن يطعنوا في النظام الرّبانيّ والقيادة الإسلاميّة، ويكونوا سبباً في إضعاف الإسلام وفي تقوية أعدائه.

كان رسول الله ﷺ يتنبأ أنّ هؤلاء الأشخاص لا يكتفون بالانتقاد واللمز والمشاادة الكلاميّة مع النظام الرّبانيّ وقيادته، بل إنّ هذا الذنب الكبير يدفعهم إلى الاصطدام بالحكومة الإسلاميّة وقيادتها تدريجياً. وهذا هو ما حصل في آخر المطاف كما قال رسول الله ﷺ، إذ أنّ النقد الموجه إلى النبيّ أفضى إلى مقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام!

ويبدو أنّ هذا المصير لم يقتصر على عصر صدر الإسلام وانتقاد الرسول الأكرم ﷺ، بل هي سنّة إلهيّة أن تؤدّي الانتقادات المتطرّفة غير الموجهة - التي تصوّب نحو القادة الرّبانيّين والأنظمة المبتنية على أحكام الإسلام وقوانين القرآن النورانيّة - إلى الاصطدام العمليّ بالحكومة الإسلاميّة. وإذا لم يتبّ أمثال هؤلاء الناقدين فلا مصير لهم إلاّ الهلاك الأبديّ، وهذه حقيقة أثبتتها تجربة الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة.

الإمام عليّ عليه السلام والنقد الهدام

إنّ دراسة لسيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في موقفه من الانتقادات التي وجهها إليه معارضوه في أيام خلافته ضروريّة من أجل التعرّف على الأسلوب الصحيح المتّخذ من الانتقادات السياسيّة، لا سيّما بالنسبة إلى مسؤولي النظام الإسلاميّ.

ونظراً إلى الظروف الخاصّة لحكومة الإمام وظهور التيارات السياسيّة وغير السياسيّة المعارضة في المجتمع الإسلاميّ فإنّ في أيدينا وثائق تاريخيّة كثيرة تدور حول مواقف الإمام عليه السلام من الانتقادات، ويمكن أن تكون غوذجاً للموقف المتّخذ من المعارضين السياسيّين في النظم الإسلاميّة.

كان الناكثون والقاسطون والمارقون ثلاثة تكتلات سياسية رئيسة معارضة للإمام عليه السلام خلال الفترة القصيرة لحكومته. وكانوا يعترضون على الإمام ونهجه الحكومي، ويبدون تدمرهم واستيائهم بأشكال مختلفة.

وتدل سيرة الإمام عليه السلام في موقفه من اعتراضات تلك التيارات السياسية الثلاثة على أنه إذا طلب من الناس شيئاً أن يطرحوا انتقاداتهم بصراحة فليس مراده كل انتقاد. وليس مراده أن يتحرك طلاب السلطة والحاقدون والمتآمرون فيقولوا ويكتبوا ما شاؤوا بذريعة حرية الرأي من أجل نيل أهدافهم السياسية، ومن ثم يضعفوا النظام الإسلامي ويقدهوا في قيادته.

بعمامة، كان موقف الإمام عليه السلام من الناكثين والقاسطين والمارقين مناسباً للأسلوب الذي كانوا يختارونه في إظهار الانتقاد. على سبيل المثال، نلني فيما يأتي نظرة خاطفة على انتقاد المارقين وموقف الإمام منهم.

انتقاد المارقين

المارقون والخوارج والشراة^(١) أسماء لجماعة كانت من المعارضين المتشددين في معارضتهم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، بدأوا تحركهم ضده بانتقادهم قضية التحكيم في حرب صفين. ثم تبلوروا كحزب سياسي وفرقة دينية بأصول عقائدهم الخاصة.

وقصة التحكيم - بنحو مجمل - كالآتي: كان جيش الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في حرب صفين على وشك الانتصار. ولما رأى معاوية نفسه على مشارف الهزيمة

(١) المارقون اسم وضعه النبي ﷺ لهؤلاء قبل ظهورهم - حسب ما كان يتنبأ به عنهم - بسبب مروجهم (خروجهم) من الدين. وسَمَوْا الخوارج لتمردهم وخروجهم على الإمام. والشراة بمعنى الباعين، اسم اختاروه لأنفسهم زاعمين أنهم يبيعون أنفسهم لتحصيل الجزاء الأخرى. وكانوا يرون أنفسهم مصداق الآية ٢٠٧ من سورة البقرة: «وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ»، والآية ١١١ من سورة التوبة: «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ»، انظر: موسوعة الفرق الإسلامية تحت العناوين المذكورة.

استشار عمرو بن العاص، فأشار عليه برفع المصاحف ومناداة الناس أننا أهل قبلّة وكتاب، لنحكّم أحداً لرفع الخلاف بيننا.

بيد أنّ الإمام عليه السلام أمر بمواصلة القتال، وتبّه الجيش على أنّ هذه خدعة لا أكثر، وأنّ معاوية وأصحابه أعداء القرآن، وإنّما لجأوا إليه لإنقاذ أنفسهم من الهزيمة المحتمّة.

وكان في جيش الإمام عدد ملحوظ من الجهّال «المتنسّكين»، فأشار بعضهم إلى بعض متغامزين: ماذا يقول عليّ؟! هل نقاتل القرآن؟! قتال القرآن مُنكرٌ علينا مكافحته... وهكذا تمردوا على الإمام بهذه الذريعة، وحالوا دون تنفيذ أوامره.

وكان مالك الأشتر رضوان الله عليه يقاتل قتالاً شديداً قريباً من مقرّ معاوية، ومعه القوّات التي كانت تحت إمرته، ولم يبق أمامه إلّا أن يسيطر على المقرّ وتنتهي الحرب بانتصار الإمام عليه السلام.

وضغط الخوارج على الإمام، وهدّدوه بالهجوم من خلفه إذا واصل القتال. فكان إصرار الإمام على مواصلة القتال بلا جدوى!

وأخيراً أرسل إلى مالك أن يوقف الحرب، ويترك ساحة القتال. فأجاب مالك أن لو أذن الإمام بمواصلة القتال لحظّاتٍ أخرى لانتَهت الحرب بانتصار الإسلام وإبادة العدو.

وهدّد المارقون الإمام عليه السلام بالقتل، فأرسل إلى مالك مرّةً أخرى أن إذا أردت أن أبقى حيّاً فارجع!

توقّفت الحرب، لكي يحكّموا القرآن بينهم. وينبغي تعيين شخصين ممثّلين عن الجيشين لإنهاء الحرب على أساس حكم القرآن.

قال الإمام عليه السلام: ليختر أهل الشام من ينوب عنهم، فاختر معاوية عمرو بن العاص السياسيّ المحترف المعروف، فاقتراح الإمام عليه السلام عبدالله بن عباس أو مالك

الأشتر أو من كان بمستوى ابن العاص في الذكاء والتدبير والسياسة. لكنّ الجهالة الحمقى اختاروا أبا موسى الأشعري الذي لم يُعرف بالتدبير، ولم يكن على علاقة طيّبة بالإمام، وأصرّوا على تمثيله لهم، وأجبروا الإمام على إيفاد أبي موسى.

وأخيراً خَدَعَ عمرو بن العاص أبا موسى بعد مضيّ شهور، وأقنعه بوجوب خلع الاثنين بذريعة رعاية مصالح المسلمين، ودفع ذلك الأحمق إلى صعود المنبر، فخلع أبو موسى الإمام. ثمّ استوى عمرو بن العاص على المنبر وقال: سمعتم ما قاله أبو موسى إذ خلع عليّاً من الخلافة، وأنا أخلعه أيضاً وأقلّد معاوية أمرها!!

اضطرب أمر الناس، وحملوا على أبي موسى، فلاذ بالفرار. وجاء الخوارج الذين سبّبوا هذه الفضيحة إلى الإمام، وقالوا له: لقد أخطأنا إذ لجأنا إلى التحكيم، فكفرت وكفرنا، ونحن تبنا فتب^(١)!

لم يستجب الإمام ﷺ لطلبهم ووقف أمامهم بكلّ صلابة، فبدأ انتقادهم الشديد له. وكانوا يستغلّون كلّ فرصة للانتقاد، بخاصّة في الأوساط العامّة، وبحضور الإمام نفسه، وكانوا يرفعون شعارهم ضده علناً:

«لا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ».

إذاً، بدأ انتقاد المارقين للإمام ﷺ بإثارتهم السؤال الآتي: لماذا لم يعترف الإمام بخطئه ولم يتب من كفره في قضية التحكيم؟ فأصبح هذا الاعتراض سبباً في معارضتهم السياسيّة، ثمّ أفضى إلى اصطدامهم المسلّح في النهروان.

الإمام عليّ والناقدون الجهلة المتعصبون

المسألة المهمّة في هذه القضية هي كيف تعامل الإمام ﷺ مع هؤلاء الناقدين الجهلة المتعصبين؟

(١) انظر جاذبه ودافعه عليّ ﷺ (فارسي): ١١٨ - ١٢٠.

استرشاداً بسيرة الإمام عليه السلام في موقفه من المارقين نرى من الضروري الالتفات إلى النقطتين الآتيتين كمقدمة:

١- لا شك أنّ انتقاد المارقين للإمام وإصرارهم على انتزاع الاعتراف منه بخطأهم ارتكبوه ذنب كبير بين.

٢- المتظاهرون بالقداسة والتنسك، والشعارات الخداعة، وأنصار المارقين الكثيرون، وأخيراً الجوّ السياسيّ المعاكس للمجتمع في عصر حكومة الإمام عليه السلام، كلّها حواجز مهمة جعلت الحؤول دون انتقاداتهم الهدامة عسيراً.

مع هذا كلّّه، لم يدع الإمام عليه السلام فرصة في مجال الحملات الإعلامية المركّزة ضدهم ما داموا مسلمين لم يشهروا السلاح، ولكنهم عندما شهروا سلاحهم بوجه الإمام وأعلنوا الحرب أبادهم جميعاً، إلّا شرذمة قليلين منهم.

وصف الإمام عليه السلام هؤلاء المنتقدين السياسيّين في حملة إعلاميّة بأنهم شرّ الناس. قال عليه السلام مخاطباً إياهم:

«ثم أنتم شراؤ الناس ومن رمى به الشيطان مَراييه وضرب به يهيه»^(١).

وخطب عليه السلام ذات يوم بالكوفة - وهو يتحدّث إلى الناس عن موضوع التحكيم المؤسف - فقام أحد الحاضرين، وقال:

يا أمير المؤمنين، نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها، فلم ندر أيّ الأمرين أرشد؟

فصق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى [أسفاً]، ثم قال:

«هذا جزاء من ترك العقدة»^(٢).

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

(٢) مصادر نهج البلاغة وأسانيده للمرحوم السيّد عبد الزهراء الحسيني: ١ / ٣٦٧ - ٣٦٩.

يريد الإمام عليه السلام جيشه الذي عصى أمره وانخدع بمكيدة معاوية .
ظنّ الأشعث بن قيس^(١) - الذي كان من المناوئين السياسيين للإمام - أنّ الإمام يقصده ، فاستغلّ الفرصة وقام معترضاً فقال له :

«هذا عليك لا لك!»

أراد بكلامه هذا أن ينبّه الحاضرين على وجوب لوم الإمام عليه السلام ، إذ رضي بالتحكيم ، لا لوم الذين أجبروه عليه !
خفف الإمام عليه السلام إليه بصره وقال :

«ما يدريك ما عليّ مِنّ مالي ! عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك^(٢) ، منافق ابن كافر ! والله لقد أسرك الكفر مرةً والإسلام أخرى ، فما فذاك من واحدةٍ منهما مالك ولا حسبك وإنّ امرءً دلّ على قومه السيف وساق إليهم الحنف لحريّ أن يَمَقُّته الأقرّب ولا يَأْمَنَهُ الأبعد»^(٣) .

(١) كان من المعارضين والمنافقين في حكومة الإمام عليه السلام . وهو الذي فرض عليه التحكيم في حرب صفّين مع الخوارج . وكان له دور في قتل الإمام عليه السلام ، وبنته سمّت الإمام الحسن عليه السلام ، وابنه قيس اشترك في قتل الإمام الحسين عليه السلام .

(٢) فسّرت بالمنحرف ابن المنحرف ، والمتكبر ابن المتكبر ، والكذاب ابن الكذاب ، انظر شرح ابن أبي الحديد ، مصادر نهج البلاغة وأسانيده للسيد الحسيني وغيرها .

(٣) نهج البلاغة : الخطبة ١٩ .

الخلاصة

☐ حقّ النقد هو حقّ لإقامة سائر الحقوق، ويمكن أن يحول إحياء هذا الحقّ دون الاستبداد الذي يُعدّ من أخطر آفات الحكومات.

☐ حقّ النقد في الإسلام من الحقوق الثابتة والرسمية للناس. وعلى كافة الناس إقامة هذا الحقّ باعتباره تكليفاً إلهياً.

☐ النقد السياسيّ البناء واجب في الإسلام، والنقد السياسيّ الهدّام محظور فيه.

☐ كان الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام يستاء من التملّق والمتملّقين في أيام خلافته، ويطلب من الناس أن لا ينظروا إلى موقعه السياسيّ، وأن يذكّروه إذا رأوا ضعفاً أو خطأ في حكومته.

☐ للنقد البناء ثلاث خصال: العلم، والإنصاف، والأسلوب المحمود.

☐ للنقد الهدّام ثلاث خصائص: جهل الناقد، والظلم، والأسلوب المذموم.

☐ ينطلق النقد الهدّام إمّا من جهل الناقد، أو أنّ بواعث غير أخلاقيّة تفرضه، أو أنّ أسلوب طرحه غير سديد، أو تجتمع هذه الآفات كلّها في إيجاده.

☐ من الضروري مراعاة الآداب والظروف ودرجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الموقف من النقد الهدّام، كما في الموقف من سائر الذنوب والآثام.

☐ المسلمون كافة مكلفون، على أساس الواجب الإلهيّ المتمثّل بالنهي عن المنكر، أن يحولوا دون النقد الهدّام، وإذا لم يجدوا في أنفسهم قدرة على ذلك فعليهم اختيار أسلوب النضال السلبيّ.

☐ فقدان الحنكة السياسيّة في اتّخاذ الموقف من الانتقادات السياسيّة أمر شديد

الخطورة. وينبغي أن يكون الموقف من مثل هذه الانتقادات على أساس دراسات شاملة وتخطيط دقيق.

☐ انتقد أحد المتطرفين الدينيين المعاصرين للنبي ﷺ طريقة النبي في تقسيم الغنائم على مرأى وسماع من الناس. ولم يصطدم به النبي لمصلحة سياسية، واكتفى بالإخبار عن مستقبله الخطر، وتمرد هذا الشخص وأصحابه وخرجوا على خلافة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ثم هلكوا في حربهم معه.

☐ نلاحظ في هذه القضية عدداً من النقاط التربوية المفيدة الآتية:

أ - لا تسلم حكومة من النقد غير الموجه.

ب - مطالبة المتطرفين السياسيين بالعدالة جديرة بالتأمل والتشكيك.

ج - مراعاة المصالح السياسية مبدأ من المبادئ الإسلامية.

د - مصير النقد السياسي في الحكومة الإسلامية الاصطدام بالحكومة، ثم الهلاك الأبدي.

☐ الناكثون والقاسطون والمارقون ثلاثة تكتلات سياسية رئيسة عارضت الإمام علياً عليه السلام في الفترة السياسية القصيرة التي حكم خلالها. واعترضت على أسلوبه في الحكم، وأبدت سخطها واستياءها بأشكال شتى.

☐ تدل سيرة الإمام عليه السلام في موقفه من اعتراضات هذه التيارات السياسية الثلاثة على أنه إذا طلب من الناس أن يطرحوا انتقاداتهم بصراحة فإنما يريد النقد البناء، لا النقد المنطلق من بواعث فاسدة وهدامة.

☐ الأسلوب الذي اتخذه الإمام في موقفه من اعتراضات التيارات المذكورة يناسب الأسلوب الذي كانت قد اختارته في التعبير عن النقد.

☐ بدأ انتقاد المارقين للإمام عليه السلام بإثارتهم السؤال عليه أنه: لماذا لا يعترف بخطئه في التحكيم ويتوب من كفره؟ وأفضى هذا الاعتراض إلى المعارضة السياسية والاصطدام المسلح تدريجاً.

القسم السابع

أئمة الإسلام بعد النبي ﷺ

الفصل الأول

أوصياء النبي ﷺ

غاية الرسالة النبوية والثورة العظيمة التي تحققت في العالم لأول مرة بقيادة رسول الله ﷺ تأسيس حكومة تركز على الوحي وتهدف إلى تكامل الإنسان. وقد قطعت تلك الثورة الكبيرة في أول مراحلها وفي حياة قائدها العظيم ﷺ أشواطاً بعيدة في سبيل ذلك، مع جميع ما رافقها من مصاعب. وكان حقيقاً بها - من أجل بلوغ ذلك الهدف - أن تستمر وتتصل بالفترة التي أعقبت وفاة الرسول الأعظم لتتحقق شموليتها، ولتحمل مشعل الهدى إلى جميع الناس حتى يوم القيامة. وأهمّ باعث على ذلك الاتصال هو موضوع القيادة، إذ ارتبط به مصير القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية كلها.

وإن أدنى خطأ وأقل انحراف في هذا المجال يستتبعان خسائر لا تُعوّض للإسلام والثورة الإسلامية وأهدافها السامية.

كانت وفاة النبي ﷺ غير مفاجئة، ذلك أنه كان يخبر بها من قبل، وأصرح بها في حجة الوداع^(١). من هنا لو فرضنا أن النبي ﷺ كان قائداً عادياً وتغاضينا عن

(١) قال ﷺ «... كَأَنِّي دُعِيتُ فَأَجِبتُ...» انظر خصائص أمير المؤمنين للنسائي: ١٥٠ / ٧٩ تحقيق الشيخ محمد

ارتباطه الثابت بالوحي فلا بدّ أن يخطّط للقيادة ويضع لها برامجها، حرصاً منه على مستقبل الثورة وتعاهداً منه لأهداف دعوته الرقيقة.

فرضيات

أمام قائد الثورة - من الوجهة العقلية - ثلاث طرق من أجل استمرار الثورة والحكومة بعده، وتحدّد باختيار أيّ سياسته حيال مستقبل الثورة وقيادتها:

الطريق الأول: أن يقف من مستقبل الدعوة موقفاً سلبياً، أي إنّه لا يشعر بالمسؤوليّة تجاه مستقبل الثورة وقيادتها، ويرى أنّ مسؤوليّته تنحصر بفترة حياته فحسب، وهكذا لا ينظر إلى المستقبل كأمرٍ يخصّه. وكأنّ لسان حاله يقول: فليكن من بعدي ما يكون!

الطريق الثاني: أن يترك الأمر شورى، فيوجّه الناس ويعلمهم كيف يختارون القائد ويديرون شؤونهم عن طريق الشورى بشكل رسمي.

الطريق الثالث: أن يعيّن القائد الذي يقود الأمة بعده. وعلى هذا الأساس لا يعيّن القائد بعده فحسب، بل عليه أن يبيّن واجب أتباعه أبد الدهر.

يمكن أن نستنتج من خلال هذه المقدّمة أنّه لا يمكن تصوّر طريق آخر غير هذه الطرق الثلاث. وعليّنا أن نعرف الطريق الذي اختاره رسول الله ﷺ من بين هذه الطرق لاختيار القيادة بعده.

١- الطريق السلبي:

من المحال على النبي ﷺ أن يختار هذا الطريق، لأنّه إمّا يدلّ على أنّه كان لا يشعر بالخطر على دعوته، أو أنّ مستقبل الدعوة ليس مهماً عنده. وكلّ من عرف النبي ﷺ

﴿ باقر المحمودي. وجاء في بعض الروايات: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يُبْعَثْ نَبِيٌّ قَطُّ إِلَّا عَاشَ نِصْفَ مَا عَاشَ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ، وَإِنِّي أَوْشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأَجِيب...». المستدرك على الصحيحين: ٦١٣ / ٦٢٧٢.

أدنى معرفة لا يمكن أن يقبل أيّاً من هذين الاحتمالين .

أ- أخطار هذا الطريق

إنّ كلّ من كانت له معرفة بألف باء السياسة والقيادة يدرك جيّداً أنّ ترك ثورةٍ فنيّة بلا تخطيط صحيح يؤلّد خطراً على قيادتها المستقبلية، بل يعدّ خطوةً لمحقها، خاصّةً إذا كانت ثورة قد أوجدت حركة ثقافيّة عظيمة في العالم، وهددت المصالح غير الشرعيّة للقوى المحليّة والأجنبيّة، في مجتمع لم يبتعد كثيراً عن جاهليّته الأولى، ولم تيّس فيه جذور الجهل والتعصّب بعد. من هنا كيف نصدّق أنّ النبي ﷺ - لعدم شعوره بالخطر على مستقبل الإسلام - لم يُبد رأياً في أهمّ المسائل بعده، وهي مسألة الحكومة الإسلاميّة - أي مسألة القيادة - ويميّز على هذه المسألة المهمّة التي يرتبط بها مصير جميع الأحكام ومستقبل دعوته غير مبالٍ ولا مكترث بها؟!

من جانب آخر، لو لم يتّضح - في حياة قائد الثورة الإسلاميّة - تكليف الأمة في مجال مستقبل القيادة وكيفية إدارة الحكم فلا ريب أنّ مستقبل الثورة سيتعرّض للخطر من عدّة جهات، في الأقل:

اتخاذ القرار المتعجّل

هَبْ أنّ أسلوب اختيار قائدٍ للثورة الإسلاميّة في إيران - بعد مؤسّس الجمهوريّة - ظلّ غامضاً، وأنّ قانوناً لم يصدر في حياة الإمام يحدّد موقف الشعب من مستقبل القيادة، ولم يدعمه قائد الثورة ﷺ، وأنّ الشعب أراد بنفسه، - في ظلّ الفراغ القياديّ والظروف المؤلمة لرحيل الإمام - أن يتّخذ القرار القاضي باختيار القائد الذي يتولّى حمل أمانة الإمامة الثقيلة، فماذا يحدث؟ وماذا تجرّ الخلافات بين الأحزاب والتجمّعات على الشعب والثورة الإسلاميّة من ويلات؟ وكم يكون اتّخاذ القرار المتعجّل خطراً على الثورة!

ولو رجعنا إلى عصر صدر الإسلام لوجدنا أُمَّةً كانت في طريقها إلى التبلور،

وإذا هي تُفاجأ - على أساس فرضية الطريق السليبي - بخلوّ الساحة من وجود قائد لها بلا خطة وبرنامج سابق، فتضطّر - وهي لا تحمل صورة عن كيفية الحكم بعد النبي - إلى اتّخاذ قرار عاجل حول أهمّ قضايا الثورة وأكثرها حساسية، مواجهةً منها للخطر الذي يهدّد أساس الإسلام.

فلا يخفى على أحدٍ خطر مثل هذا القرار على أهداف الرسالة في تلك اللحظات المتوتّرة المتأزّمة، فكيف يخفى على أعظم أنبياء الله؟

افتقار وريثة الثورة الإسلامية إلى النضج الإسلاميّ

بعد مضيّ أربعة عشر قرناً على أوّل ثورة إسلامية في العالم أثبتت تجربة الثورة الإسلامية الإيرانية أنّ من ورثوا الثورة عاجزون، ليسوا قادرين - بدون دعم وتوجيه من قائد الثورة الكبير - على أن يتّخذوا قراراً مناسباً بشأن مستقبل القيادة. ذلكم القرار الذي يتوّق فيه ويترسّخ الانسجام بين القيادة السياسية وأهداف الثورة.

وكلّ من اطّلع على تاريخ هذه الثورة وتوجيهات قائدها الراحل وضروب دعمه في مراحلها الحساسة عرف أنّ هذا الكلام ليس زعماً محضاً، علماً أنّ وريثة الثورة هذا اليوم أفضل من وريثة الثورة في عهد رسول الله ﷺ، وأوعى منهم كما قال الإمام الخميني رضوان الله عليه:

«أستطيع أن أقول بكلّ جرأة: إنّ شعب إيران وجماهيرها المليونية هذا اليوم أفضل من شعب الحجاز في عهد رسول الله ﷺ وشعب الكوفة والعراق في عصر أمير المؤمنين والحسن بن عليّ صلوات الله عليهما...»^(١).

لا ريب أنّ هذا الكلام مطابق للواقع، ذلك أنّ رسول الله ﷺ كشف عن هذه

(١) الوصية السياسية الإلهية للإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه.

الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً، عبر الأحاديث التي اتَّفَق عليها الفريقان، ولهذا السبب سَمَّى المسلمين المعاصرين له أصحاباً، والمسلمين الملتزمين في آخر الزمان إخواناً^(١)، ونصَّ على أنَّ أجر المسلم الثابت المستقيم يومئذٍ يعادل أجر خمسين من المسلمين المعاصرين له! وقال في جواب من استوضحه في هذا الصدد: لم تصبروا صبرهم^(٢).

عندما لا يستطيع ورثة الثورة الإسلامية هذا اليوم - مع ما هم عليه من النضج والوعي الإسلامي - أن يتَّخذوا القرار اللازم بشأن مستقبل القيادة بدون توجيه القائد الكبير للثورة فماذا تنتظر من ورثة الثورة الإسلامية قبل أربعة عشر قرناً، ومن أناس لم يبتعدوا عن الجاهلية القديمة كثيراً، ولم تتطهر نفوسهم من رواسب الشرك، وقد قسمتهم عصبيتهم الجاهلية إلى مهاجرين وأنصار، وقرشيين وغير قرشيين، ومكيين ومدتيين؟

وكيف تنتظر منهم أن يتَّخذوا القرار الصائب بشأن مستقبل القيادة بلا توجيه من الرسول الأكرم ﷺ؟ وأي قرار؟ إنه القرار الذي يضمن أهداف الثورة. ألا يعني تركهم وشأنهم خطراً على الثورة؟ ألم يشعر النبي ﷺ بالخطر على مستقبل المسلمين إذا تركهم بلا منهاج واضح، وهو الذي كان يعرف - منذ قرون - مستوى النضج والوعي الإسلامي لأتباعه في المستقبل، ويسمِّيهم إخوانه، ويرى أنَّ توضيحات أصحابه قليلة إذا قيست بنضجهم؟

(١) قال ﷺ: «إنكم أصحابي، وإخواني قوم من آخر الزمان، آمنوا ولم يَزُونِي...». بصائر الدرجات: ٨٤ / ٤، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٢٤. وقال ﷺ: «متى ألقى إخواني؟ قالوا: ألسنا إخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي، وإخواني الذين آمنوا بي ولم يَزُونِي، إنَّا إليهم بالأسواق». كنز العمال: ٥٨٣ / ٣٤.

(٢) قال ﷺ: «سيأتي قوم من بعدكم، الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم! قالوا: يا رسول الله، نحن كنَّا معك بيدٍ واحدٍ وخُنين، ونزل فينا القرآن! فقال: إنكم لو تحملون لما حُمِلُوا لم تصبروا صبرهم». الغيبة للطوسي: ٤٥٦ / ٤٦٧، بحار الأنوار: ٥٢ / ١٣٠ / ٢٦. وانظر أيضاً المعجم الكبير: ١٧ / ١١٧ / ٢٨٩، و: ١٠ / ١٨٢ / ١٠٣٩٤، وكنز العمال: ٣٠٩٧٦، ٣٠٩٧٧.

الأقلية المتغلغلة

إنَّ أحدَ الأخطار التي كانت تهدّد الثورة الإسلاميّة النبويّة - منذ البداية - بشكل جادّ هو خطر الأقلّيّة التي تظاهرت بالإسلام وتغلّغت في صفوف المسلمين، وكانت تتحيّن الفرص للتآمر على الثورة الإسلاميّة وضربها، وأطلق القرآن الكريم على هذه الأقلّيّة عنوان «المنافقين». وكان يحذّر المسلمين باستمرار من خطرهم، وأفرد لهم سورة تتحدّث عن وضعهم، وهي سورة «المنافقون».

وإذا أضفنا إلى هذه الأقلّيّة الضئيلة تلك الأفواج التي دخلت في الإسلام كارهةً بعد فتح مكّة أدركنا مدى الخطر الذي يشكّله هذا التيار المتغلغل إذا ما أحسّ بالفراغ القياديّ الكبير.

أجل، إنّ الخطر الذي يتركه إهمال ثورة فتية بلا تخطيط دقيق لمستقبل قيادتها واضح أشدّ الوضوح، بحيث إنّّه لا يخفى على أيّ قائد سياسيّ، فضلاً عن خاتم الأنبياء ﷺ!

هل يمكن أن نصدّق أنّ أبا بكر كان يشعر بالمسؤوليّة تجاه مستقبل الحكم، ولم يدع المجتمع الإسلاميّ بلا قائد بعده، وأنّ عمر عالج مشكلة القيادة أيضاً عن طريق الشورى السداسيّة، أمّا رسول الله ﷺ فلم يشعر بالخطر على الإسلام، ولم يهتمّ بقضيّة هي من أهمّ القضايا المستقبليّة للثورة الإسلاميّة، ويمرّ عليها مرّ الكرام؟

ب - إهمال المستقبل

لا جرم أنّ الاحتمال القائل: إنّ النبيّ ﷺ - بالرغم من شعوره بالخطر على مستقبل دعوته - لم يتحدّث عن الحكومة والقيادة بعده، إذ كان مسؤولاً عن الفترة التي يعيش فيها، والمستقبل ليس مهماً عنده، فترك الأمة حائرة بلا موقف واضح... إنّما هو احتمال مرفوض، لا يمكن أن يقبله باحث منصف بأيّ حال من الأحوال. حتّى لو فرضنا - خلافاً للواقع - أنّ النبيّ ﷺ كان قائداً كسائر القادة، فذلك الاحتمال مرفوض

أيضاً، فكيف وهو أعظم الأنبياء جميعهم؟ ولا يمكن أن يدلنا التاريخ على شخصية بين الأنبياء العظام ورجال الفكر في العالم كالرسول الأكرم ﷺ الذي كان حتى اللحظات الأخيرة من حياته يفكر بمستقبل دعوته وأُمَّته. وسيرته المباركة كلها برهان ساطع على ما نقول.

كان ﷺ حتى على فراش الموت - وقد اشتدت به علته، وشعر أنه في اللحظات الأخيرة من حياته - كان يفكر كذلك بحملةٍ خطط لها من قبل، وأعد جيش «أسامة» للجهاد في سبيل الله. وفي تلك الحالة المؤلمة التي كان يُغمر فيها عليه ﷺ يوصي بإنفاذ الجيش كلها أفاق، ويكرّر قوله المشهور: «جهّزوا جيش أسامة. أنفذوا جيش أسامة»^(١).

ولو تغاضينا عن جميع ما ذكرناه فإنّ حادثة مهمّة واحدة وقعت في اللحظات الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ واتفق على نقلها المحدثون من الفريقين تكفي لإثبات بطلان فرضيّة «الطريق السلبي».

وتتلخّص الحادثة المذكورة في أنّ النبي ﷺ كان على فراش المرض، وفي البيت رجال - منهم عمر بن الخطاب - فقال:

«انثوني بكتفٍ ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً»^(٢).

يدلّ هذا الكلام الذي اتفق على نقله وصحّته المحدثون الكبار من المسلمين على أنّ الرسول الكريم ﷺ كان ملماً إماماً تاماً بالأخطار التي تهدّد مستقبل دعوته، وكان يشعر بضرورة التخطيط للوقاية منها. لذلك لم يختار الطريق الأول - الذي يمثّل موقفاً

(١) الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٤٨، و: ٤/ ٦٧، السيرة الحلبية: ٣/ ٢٠٧، المغازي: ٣/ ١١١٨، الإرشاد للشيخ المفيد: ١/ ١٨٣، الخصال: ٣٧١/ ٥٨.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ١١٤/ ٥٤، و: ٣/ ١١١١/ ٢٨٨٨، و: ٤/ ١٦٨/ ١٦١٢، و: ٥/ ٢١٤٦/ ٥٣٤٥، الطبقات الكبرى: ٢/ ٢٤٣، تاريخ الطبري: ٣/ ١٩٣، الكامل في التاريخ: ٢/ ٧، الإرشاد للشيخ المفيد: ١/ ١٨٤، وغيرها.

سلبياً من الدعوة - قطّ.

٢- نظام الشورى:

بعد أن أثبتنا أنّ فرضيّة الطريق السلبيّ مرفوضة كان على النبي ﷺ - من منطلق اختيار سياسة إيجابية حيال مستقبل الثورة الإسلامية - أن يفوض إدارة الحكم بعده إلى نظام الشورى، أو يعيّن للناس قادتهم في المستقبل.

نحن نعلم أنّ الحجاز قبل الإسلام لا عهد لها بنظام الشورى، بل كان هذا النظام مجهولاً حتّى عند الأمم والشعوب الأخرى يومئذٍ. فما كان مهماً لقوام الحكومات ولترسيخها واستمرارها آنذاك هو توطيد السلطة بشكلٍ وراثيٍّ. لذا لو أراد النبي ﷺ أن يترك مستقبل الثورة الإسلامية بعده للشورى فلا بدّ له من القيام بعملين، مضافاً إلى أنّ وريثة الثورة كان ينبغي أن يتمتّعوا بالكفاءة المطلوبة للاضطلاع بمثل هذه المهمة :

أ- تبیین قانون الشورى

إنّ أوّل خطوة تبدو ضروريّة للتخطيط لنظام الشورى - بخاصّة في مجتمع لم يعهد حكومة تقوم على أساسه - هي تبيان حدود الشورى وضوابطها. ولو كان رسول الله ﷺ يفكر بالشورى كأساس للحكومة الإسلامية ويراها الأسلوب الأفضل لاختيار القائد بعده فلا بدّ له من إخبار المسلمين بالشروط اللازمة لانتخاب أعضاء الشورى - وكيفية الانتخاب، ومدة اعتبار الأصوات، وبكلمة واحدة: يبيّن لهم قانون الشورى وضوابطه، إذ لا يمكن أن نقول في غير هذه الحالة: إنّه اختار نظام الشورى لإدارة الحكم بعده.

وتدلّ دراسة دقيقة للتاريخ الإسلاميّ على أنّ رسول الله ﷺ - في أيّ حالة من الحالات - لم يبيّن للمسلمين نظام الشورى وحدوده ووصافاته التشريعيّة قطّ. ولم

يطرح القرآن الكريم والحديث الشريف الشورى - بضوابطها وكيفيةها - كنظام للحكم ولو مرة واحدة، مع تأكيدها المشورة في الأعمال. فلا يداخلنا الشك - إذاً - أن النبي ﷺ لو كان تحدّث في هذا المجال للوَحْظِ ذلك في الأحاديث الماثورة، ولانعكس في أذهان المسلمين، أو في أذهان كبار الصحابة في الأقل. في حين لا نجد أدنى أثرٍ لذلك حتّى في ذهن الجيل الأول من المسلمين، بل نجد خلافه في عمل الخليفة الأول والثاني لتعيين القائد بعدهما. وتُرشدنا المدوّنات التاريخية الثابتة إلى أنّها كانا يريان أن من حقّها تعيين الخليفة، ولم يعترض عليها أحد ويحتج بأن النبي ﷺ جعل نظام الشورى أساساً لتعيين القائد.

ب - توعية ورثة الثورة

يضاف إلى ما تقدّم أن بيان قانون الشورى وضوابطه لا يكفي في مجتمع لم يعهده من قبل، فمن الضروري أن يقوم الرسول القائد بتوعية الناس على النظام الجديد وخصائصه، وعطاءاته وفوائده، وتحذيرهم من الأخطار التي تنجم عن رفضه، وذلك كي يتهيأوا ذهنيّاً وروحياً لقبوله.

من الطبيعي أن الناس لو تمّ توجيههم في هذا المجال لعدّ ذلك العمل واقعة مهمّة في التاريخ، ولما أمكن كتابته، في حين لم يلاحظ أي أثرٍ له في التاريخ الإسلامي.

ج - استعداد ورثة الثورة

ثبت إلى هنا أن النبي ﷺ لم يختَر نظام الشورى لقيادة المجتمع الإسلامي بعده. ونريد الآن أن نثبت أنّه ﷺ يكن ممكناً له أن يوصي الناس بمثل هذا النظام، لأنّ وريثه الثورة لم يمتلكوا الاستعداد اللازم لقبول هذه المسؤولية.

توضيحاً لهذا الموضوع ينبغي في البداية أن نتساءل قائلين: في أية ظروف يستطيع المجتمع البشري أن ينتخب قائده ونظامه القيادي؟ ومن هم الذين يتحقّق على أيديهم الانتخاب الأفضل؟ من الضروري وجود شرطين لهذا العمل:

القدرة على تشخيص الأصلح

ضرورة وجود هذا الشرط لا تحتاج إلى توضيح. ولا شك أنه لا يمكن أن يُنتظر ممن لا قدرة له على تشخيص الأفضل أن يختار لنا الأفضل. وعلى هذا يكون أول شرط للنجاح في نظام الشورى هو بلوغ الناس درجة من النضج الثقافي والسياسي بحيث إنهم يستطيعون أن يختاروا أفضل أنظمة القيادة وأفضل قائد. وبلوغ هذه الدرجة من الوعي والتبصر العملي أمر في غاية الصعوبة، بل إذا أخذنا بنظر الاعتبار التعقيد الموجود في حقيقة الإنسان وباطنه^(١) عرفنا أنه لا يتيسر اختيار الأفضل - حتى لأهل الخبرة - بلا توجيه من عقلٍ كليٍّ محيطٍ بزوايا الإنسان الباطنية، فكيف بأكثرية المجتمع؟ وكيف بمجتمعٍ كان حتىّ الأمس يرى أن معرفة الله لا تعدو السجود للحجارة والخشب؟!

روى سعد بن عبدالله القميّ أنه سأل الإمام المهديّ - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - فقال: أخبرني يا مولاي عن العلة التي تمنع القوم من اختيار إمام لأنفسهم، قال: مصلح أو مفسد؟ قلت: مصلح.

قال: هل يجوز أن تقع خيرتهم على المفسد؟ ... قلت: بلى.
قال: فهي العلة.

وواصل الإمام عليه السلام كلامه، ونقل حادثة، وذكر أن اختيار الأصلح لابد أن يتم بمساعدة من يعرف ما تكنّ الضمائر، وتنصرف عنه السرائر^(٢).

استقامة الناخب

لا تكفي القدرة وحدها على تمييز الأفضل لاختيار قائد المجتمع الإسلامي، فلا بدّ للناخب أن يكون متحرراً من الهوى والخوف كي يستطيع أن يستثمر تلك القدرة.

(١) انظر كتابنا فلسفة وحى ونبوت (فلسفة الوحي والنبوة): ٣٦.

(٢) الاحتجاج: ٢ / ٥٣٠ / ٣٤١، بحار الأنوار: ٢٣ / ٦٨ / ٣، إثبات الهداة: ١ / ١١٦.

من هنا لا يتسنى للأشخاص الذين يتبعون أهواءهم وميوههم الفئويّة أن يختاروا الأصلح، لأنهم سيصوّتون لمصلحة من يلبي حاجاتهم، لا حاجات المجتمع. في حين أنّ القائد الأكفأ هو الذي يقود المجتمع باتجاه تلبية حاجاته الواقعيّة، ويحترم رغبات الناس ما لم تتعارض مع حاجاتهم.

في ضوء ذلك، ما دام الناس لا يمتلكون الوعي الفكري والأخلاقي المناسب لاختيار القائد الأفضل والنظام القياديّ الأحسن فإنّ الديمقراطية لن تحلّ مشكلات المجتمع، بل تزيدها تعقيداً، وكما قال البروفسور شاندل:

«أكبر عدوٍّ للحرية والديمقراطية بنوعهما الغربي هو الديمقراطية والليبرالية والحرية الفردية نفسها»^(١).

ونلاحظ في عالم اليوم أنّ الديمقراطية تُطرح كنظام ضعيف، بل خطرومضادٍّ للثوريّة. ومن هذا المنطلق، لا تربط المدارس العقيدية مصير الثورة بعد انتصارها التمهيديّ بالديمقراطية في بادئ الأمر، بل تعتقد أنّ المجتمع ما لم يتهيأ لاختيار قائد عقائديّ عن طريق الشورى والرجوع إلى التصويت العامّ فلا بدّ له أن يواصل حياته الثوريّة بتوجيه من قيادة عقائدية.

إذا ألقينا نظرة خاطفة على تاريخ صدر الإسلام ولاحظنا مستوى العلم والوعي والأخلاق الذي كان عليه المجتمع الإسلاميّ يومئذٍ أدركنا بيسرٍ أنّ وريثة الثورة بعد النبي ﷺ لم يكونوا يمتلكون الاستعداد الكافي لاختيار القائد الأفضل. والحوادث التي وقعت خلال ربع قرن بعد وفاة النبي ﷺ دليل آخر على مانقول. ولو كان المجتمع الإسلاميّ آنذاك مستعدّاً لاختيار القائد الأفضل لما صارت الخلافة الإسلامية ملكاً وراثياً خلال أقلّ من خمسين سنة، ولما حكم أعداء الإسلام المسلمين هذا اليوم باسم الإسلام. من هنا كان متعذراً على النبي ﷺ المتصل بالوحي أن يترك قيادة الأمة لنظامٍ

(١) أمت وامامت (الأمة والإمامة): ١٨٦.

كان واثقاً أنه سينتهي بدمار الإسلام والثورة الإسلامية.

٣- تعيين القائد القادم:

الطريق الوحيد الذي ينسجم مع طبيعة الأشياء في المجتمع الإسلامي إبان البعثة ويمكن أن يصون مستقبل الثورة الإسلامية من الأخطار المترقبة هو أن يعيّن الرسول المرجعية الدينية والقيادة السياسية للأمة مباشرة، في زمانٍ لم يبلغ المسلمون فيه المستوى المطلوب من الوعي الفكري والسياسي اللازم لاختيار القائد الأفضل. وإذا أخذنا بعين الاعتبار اتصال النبي بالوحي فإنّ هذا الاختيار لم يكن عسيراً عليه. وفي أيدينا أدلة قاطعة كثيرة أيضاً تثبت أنه ﷺ اختار هذا الطريق بأمر الله تعالى.

وعلى الرغم من أنّ الجوّ السياسي للمجتمع الإسلامي بعد النبي كان يحول دون ذكر ما قاله في القائد القادم بيد أنّ توجيهاته ﷺ في هذا المجال بلغت من الكثرة حدّاً أنّها لم تخف على الأجيال القادمة. ولما كان ﷺ يتنبأ بمستقبل العالم الإسلامي فإنّه كان - من أجل أن يعمل بتكليفه الإلهي - يستثمر كلّ فرصة لتعريف أفضل من يستطيع أن يواصل طريقه، منذ بداية البعثة إلى يوم وفاته، كما نصّت على ذلك الأحاديث المتواترة المتفق عليها بين المسلمين.

منها: الأحاديث التي ذكرت الإمام عليّاً عليه السلام بوصفه وصيّاً للنبي ﷺ^(١)، والأحاديث التي عرّفته وارثاً له^(٢)، والأحاديث التي نصّت على أنّه منه بمنزلة هارون من موسى^(٣)،

(١) تاريخ دمشق «ترجمة الإمام علي عليه السلام»: ١٠٢١/٥ و ١٠٢٢، مناقب ابن المغازلي: ٢٠١/٢٣٨، وانظر المعجم الكبير: ٦٠٦٣/٢٢١ و ٦٠٦٣/٣، و: ٢٦٧٥/٥٧ و ٢٦٧٥/٣، والمستدرك للحاكم: ١٧٢/٣، ونهج البلاغة: الخطبة ٢ و ٨٨.

(٢) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٦٢/٧٥، المعجم الكبير: ١٧٦/١٠٧ و ١٧٦/١، مجمع الزوائد: ١٤٧٦٥/١٨٣ و ١٤٧٦٥/١٢٦، المستدرك على الصحيحين: ٣/١٢٦.

(٣) صحيح مسلم: ٤/١٨٧٠ و ٢٤٠٤، سنن الترمذي: ٥/٦٤٠ و ٣٧٣٠، صحيح البخاري: ٤/١٦٠٢ و ٤/١٤٩٠، خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ٥٩/٧٤، و ص ٦٠، مسند ابن حنبل: ١/١٤٦٣ و ١/٣٦٦ و ١٤٩٠.

والأحاديث التي عرّفته للناس أميراً للمؤمنين^(١)، والأحاديث التي صرّحت بإمامته^(٢)، والأحاديث التي وردت في ولايته^(٣)، والأحاديث التي ذكرته هادياً للناس بعد النبي^(٤)، والأحاديث التي دلّت على عصمته من الخطأ^(٥). وهذه الأحاديث كلّها أدلة على قولنا إنّ النبي ﷺ اختار الطريق الثالث لأئمّته.

يضاف إلى هذه الأحاديث جميعها وأحاديث أخرى لا تحصى - ذكر فيها النبي ﷺ للأئمة أرجحية الإمام ﷺ العلمية والعملية والأخلاقية - أنّه ﷺ عندما عاد من حجة الوداع وقف في غدير خمّ، ونصبه خليفة له^(٦).

(١) حلية الأولياء: ٦٣/١، تاريخ دمشق «ترجمة الامام عليّ ﷺ»: ٢/٤٨٧/١٠٠٥، و ص ٧٧٦/٢٥٩، مسند الفردوس: ٥/٣٦٤/٨٤٤٩، مناقب الخوارزمي: ٨٥، الكافي: ١/٤٤٢/١٣.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١/٢٨١/٢٦، معاني الأخبار: ٦/٦٦، الخصال: ٤٦٥، الاحتجاج: ١/١٠٣، مناقب الخوارزمي: ٣١/٦١.

(٣) البداية والنهاية: ٣٤٦/٧، مسند ابن حنبل: ١/٣٣١، خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي: ٤٦/٢٣، و ص ٧٧/٦٥، و ص ٩٣/٨٧، تاريخ بغداد: ٤/٣٣٩.

(٤) تفسير الطبريّ: ٨/الجزء ١٣/١٠٨، التفسير الكبير: ١٩/١٥، الدر المنثور: ٤/٤٥، تفسير ابن كثير: ٢/٦١١، المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٢٩.

(٥) انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنة: ١١١-١١٤، من منشورات دار الحديث.

(٦) حديث الغدير من الأحاديث التي استأثرت بكثرة النقل والرواية على مرّ تاريخ الحديث. من ذلك أنّ مؤلّف كتاب تاريخ دمشق «ترجمة الإمام عليّ ﷺ» ذكر في الجزء الثاني من الكتاب ص ٥-٩٠ تسعين طريقاً لهذا الحديث.

وجمع المرحوم العلامة الأميني في بحث موسّع من موسوعته الثمينة النفيسة «الغدير» أسماء ١١٠ من الصحابة (١٤/١-١٦) و ٨٤ من التابعين (١/٦٢-٧٣) و ٣٦٠ من العلماء (١/٧٣-١٥١) رويوا حديث الغدير. وفيما يأتي نصّ الحديث كما نقله زيد بن أرقم: لما دفع النبي ﷺ من حجة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات قمقم، ثم قال: «كأنّي دعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض. ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا ولي كلّ مؤمن. ثمّ أخذ بيد عليّ ﷺ، فقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهمّ وال من والاه وعاد من

تعريف قادة المستقبل

لم يعين رسول الله ﷺ القائد بعده فحسب، بل أبدى توجيهاته اللازمة للأجيال القادمة، بشأن معرفة أفضل القادة للمجتمع الإسلامي أيضاً. وهذه التوجيهات مثبتة في الكتب الموثوقة للفريقين.

من الطبيعي أننا ينبغي أن نلتفت إلى أن خطر نقل الأحاديث التي تدلّ على هذا الموضوع أكثر من خطر نقل الأحاديث التي ترتبط بالقيادة بعد النبي ﷺ. إذ إن هذه الأحاديث كانت تُلغى حكومة المتسلطين على البلاد الإسلامية قروناً من الزمان.

عندما يضع باحث دقيق النظر عميق الفكر الأحاديث النبوية الشريفة جنباً إلى جنب، فإنه يلحظ بوضوح الضغوط السياسية في تضعيفها، ويستطيع أن يدرك جيداً كيف حرّف بعض المحدثين غير الملتزمين أحاديث رسول الله ﷺ، وفقاً لمشتبهات السياسة الحاكمة في عصرهم. وفيما يأتي نماذج من هذه الأحاديث^(١):

في مسند ابن حنبل: روى جابر بن سمرة عن النبي ﷺ أنه قال:

«يكون بعدي اثنا عشر أميراً» ثم لا أدري ما قال بعد ذلك، فسألت القوم كلهم، فقالوا: قال: «كلهم من قريش»^(٢).

وروي في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة»، ثم قال كلمة لم أفهمها، فقلت

﴿ عاداه. فقلت لزيد: سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، وأنه ما كان في الدوحات أحد إلا رآه بعينه وسمعه بأذنيه. ﴾. خصائص أمير المؤمنين ﷺ للنسائي: ٨٤ / ٧٦، البداية والنهاية: ٥ / ٢٠٩، المستدرک علی الصحیحین: ٣ / ٦١٣ / ٦٢٧٢، المعجم الكبير: ١٥ / ١٦٦ / ٤٩٦٩.

(١) لمزيد من التحقيق والتوضيح انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنة، من إصدارات مؤسسة دار الحديث الثقافية.

(٢) مسند ابن حنبل: ٧ / ٤١٥ / ٢٠٩٠٤.

لأنبي : ما قال ؟ فقال : «كلهم من قريش»^(١).

ونقل ابن حنبل في حديث آخر عن مسروق أنه قال : كنّا جلوساً عند عبد الله ابن مسعود وهو يُقرئنا القرآن، فقال له رجل : هل سألتُم رسول الله ﷺ : كم تملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال عبد الله بن مسعود : ما سألتني عنها أحد منذُ قدمت العراق قبلك، ثم قال : نعم، ولقد سألتنا رسول الله ﷺ، فقال :

«اثنا عشر، كعدة نقيب بني إسرائيل»^(٢).

وقد نُقل مضمون هذه الأحاديث من طرقٍ متنوعة وبصورٍ متباينة في المصادر الحديثية الموثوقة لأهل السنة. وعلى الرغم من التلاعب الذي حصل لأسباب سياسية - إذ حُذفت كلمة «بعدي» من بعضها، واستبدلت كلمة «الأمير» بكلمة «الخليفة» فيها^(٣)، وارتبط قوام الإسلام في بعضها بخلافة الخلفاء الاثني عشر إلى يوم القيامة^(٤)، ولم يُلحَظ هذا الارتباط في بعضها الآخر. وتعلّقت مصالح المجتمع الإسلامي بخلافتهم في بعضها الآخر^(٥)، وبعضها يخلو من هذا التعلّق. وفي قسم منها نلاحظ أنّ ولايتهم هي التي تتكفّل بتحقيق السير الطبيعيّ للأمور في المجتمع الإسلامي^(٦)، وفي قسم آخر لا نلاحظ ذلك^(٧).

(١) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٥٣ / ٨ و ٩. ونُقل قريب من مضمون هذا الحديث أيضاً في مسند ابن حنبل : ١٢٦ / ٧ / ٤١٢ / ٢٠٨٨٢، تاريخ بغداد : ١٢ / ١٢٦.

(٢) مسند ابن حنبل : ٢ / ٥٥ / ٣٧٨١، المستدرک علی الصحیحین : ٤ / ٥٤٦ / ٨٥٢٩، أمالي الصدوق : ٧ / ٢٥٥.

(٣) صحيح البخاري : ٦ / ٢٦٤٠ / ٦٧٩٦ عن جابر بن سمرة قال : سمعت النبي ﷺ يقول : «يكون اثنا عشر أميراً». فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي : إنّه قال : «كلهم من قريش».

(٤) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٥٣ / ١٠ عن جابر بن سمرة عنه ﷺ : «لا يزال الدين قائماً حتّى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

(٥) مسند ابن حنبل : ٧ / ٤٢٧ / ٢٠٩٧٦ عن جابر بن سمرة عنه ﷺ : «لا يزال هذا الأمر صالحاً حتّى يكون اثنا عشر أميراً...».

(٦) صحيح مسلم : ٣ / ١٤٥٢ / ٦ عن جابر بن سمرة عنه ﷺ : «لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولّيتهم اثنا عشر رجلاً...».

(٧) لمزيد من التوضيح انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنة «القسم الأول»، إصدار مؤسسة دار الحديث الثقافية.

على الرغم من هذا كله فهي تشترك جميعها في نقطتين جوهريتين:

١- عَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ أَفْضَلَ الْأَشْخَاصِ الَّذِينَ يُمْكِنُ أَنْ يَقُودُوا الْمَجْتَمَعَ الْإِسْلَامِيَّ بعده سنين طويلة.

٢- إِنَّ عِدَدَ الْقَادَةِ الَّذِينَ أَيْدَ النَّبِيِّ ﷺ قِيَادَتَهُمْ اثْنَا عَشَرَ قَائِداً.

تستبين هذه الحقيقة أكثر عندما يرجع الباحث إلى أحاديث أهل البيت. وحينئذٍ سيلحظ أنها نقلت المضمون المذكور^(١)، وعرضت توضيحات أكثر حول أسمائهم ومواصفاتهم^(٢). ويتبين أيضاً أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عندما قال: «كلهم من قريش»، فإنما أراد أسرة خاصة من قريش، وتلاحظ هذه المطالب في بعض الروايات بنحوٍ صريح^(٣). قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال:

«إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرَسُوا فِي هَذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوَلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»^(٤).

(١) الخصال: ١٢ / ٤٦٩ وص ١٦ / ٤٧٠ وص ٣٠ / ٤٧٣، أمالي الصدوق: ٨ / ٢٥٥، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٢ / ٥٠ و ١٣، كمال الدين: ١٩ / ٢٧٢ وص ٢٣ / ٢٧٣ و ٢٤.

(٢) كمال الدين: ٣ / ٢٥٣ عن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»، قلت: يا رسول الله، عرفنا الله ورسوله، فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين [من] بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه، وبقية في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه للإيمان».

(٣) جاء في بعض الروايات: «كلهم من بني هاشم»، ينابيع المودة: ٣ / ٢٩٠ و ٤.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ١٤٤.

لا ريب أنّ حذف المواصفات الدقيقة لخلفاء النبي ﷺ الاثني عشر من بعض المصادر الروائية كان لأسباب سياسية، بيد أنّ المقدار الوارد في هذه المصادر يكفي لجلاء الحقيقة، لأنّ العدد المذكور لا ينطبق إلّا على أئمة أهل البيت ﷺ. وإذا وضعنا «حديث الثقلين» المتواتر وسائر الأحاديث الماثورة في وجوب التمسك بأهل البيت ﷺ^(١) إلى جانب ما يتحصّل من هذه التحقيقات يتبيّن لنا أنّ النبي الأكرم ﷺ تحدّث عن موضوع قيادة العالم المستقبلية وعن الأئمة من بعده بشكل دقيق وواضح، أكثر من أيّ شيء آخر.

أوصياء النبي الاثنا عشر

فيما يأتي أسماء الأوصياء الاثني عشر، وتاريخ ولادتهم، وتاريخ استشهادهما أحد عشر منهم:

١- الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ:

الولادة: الثالث عشر من رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة^(٢) (قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة).

الاستشهاد: الحادي والعشرون من شهر رمضان سنة ٤٠ هـ^(٣).

٢- الإمام الحسن بن عليّ (المجتبى) ﷺ:

الولادة: الخامس عشر من شهر رمضان سنة ٣ هـ^(٤).

الاستشهاد: آخر صفر سنة ٥٠ هـ^(٥).

(١) انظر كتابنا أهل البيت في الكتاب والسنة، من منشورات دار الحديث.

(٢) تهذيب الأحكام: ١٩/٦.

(٣) الكافي: ٤٥٢/١.

(٤) كشف الغمّة: ١٤٠/٢. وانظر الكافي: ٤٦١/١.

(٥) الكافي: ٤٦١/١. وفي رواية أخرى فيه أيضاً: سنة ٤٩ هـ.

- ٣- الإمام الحسين بن عليّ (سيد الشهداء) (عليه السلام) :
الولادة: الثالث من شعبان سنة ٤ هـ^(١).
- الاستشهاد: العاشر من المحرم (عاشوراء) سنة ٦١ هـ^(٢).
- ٤- الإمام عليّ بن الحسين (زين العابدين) (عليه السلام) :
الولادة: الخامس من شعبان سنة ٢٨ هـ^(٣).
- الاستشهاد: الثاني عشر من المحرم سنة ٩٥ هـ^(٤).
- ٥- الإمام محمد بن عليّ (الباقر) (عليه السلام) :
الولادة: الأول من رجب سنة ٥٧ هـ^(٥).
- الاستشهاد: السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هـ^(٦).
- ٦- الإمام جعفر بن محمد (الصادق) (عليه السلام) :
الولادة: السابع عشر من ربيع الأول سنة ٨٣ هـ^(٧).
- الاستشهاد: الخامس والعشرون من شوال سنة ١٤٨ هـ^(٨).
- ٧- الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) (عليه السلام) :
الولادة: السابع من صفر سنة ١٢٨ هـ^(٩).

(١) إعلام الوري: ٢١٣، مصباح المتجّد: ٨٢٦، وانظر الكافي: ١/ ٤٦٣.

(٢) تهذيب الأحكام: ٤٢/ ٦، وانظر الكافي: ١/ ٤٦٣.

(٣) مطالب السؤل: ٧٧.

(٤) إعلام الوري: ٢٥١.

(٥) مصباح الكفعمي: ٥٢٢.

(٦) الكافي: ١/ ٤٦٩.

(٧) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٤/ ٢٧٩، مصباح الكفعمي: ٥٢٣، وانظر الكافي: ١/ ٤٧٢.

(٨) الكافي: ١/ ٤٧٢.

(٩) نفسه: ١/ ٤٧٦، إثبات الوصية: ٢٠٣.

الاستشهاد: الخامس والعشرون من رجب سنة ١٨٣ هـ^(١).

٨- الإمام عليّ بن موسى (الرضا) عليه السلام:

الولادة: الحادي عشر من ذي القعدة سنة ١٤٨ هـ^(٢).

الاستشهاد: آخر صفر سنة ٢٠٣ هـ^(٣).

٩- الإمام محمد بن عليّ (الجواد) عليه السلام:

الولادة: العاشر من رجب سنة ١٩٥ هـ^(٤).

الاستشهاد: آخر ذي القعدة سنة ٢٢٠ هـ^(٥).

١٠- الإمام عليّ بن محمد (الهادي) عليه السلام:

الولادة: الخامس عشر من ذي الحجة سنة ٢١٢ هـ^(٦).

الاستشهاد: الثالث من رجب سنة ٢٥٤ هـ^(٧).

١١- الإمام الحسن بن عليّ (العسكري) عليه السلام:

الولادة: الثامن من ربيع الآخر سنة ٢٣٢ هـ^(٨).

الاستشهاد: الثامن من ربيع الأول سنة ٢٦٠ هـ^(٩).

(١) إعلام الورى: ٢٨٦.

(٢) مصباح الكفعمي: ٥٢٣، تاج المواليد: ٤٨، وانظر الكافي: ٤٨٦/١.

(٣) الكافي: ٤٨٦/١، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/٢٤٧، إعلام الورى: ٣٠٣. ولم يرد لفظ «آخر» في الكافي والإرشاد.

(٤) الكافي: ٤٩٢/١، التهذيب: ٩٠/٦، وفي مسارّ الشيعة: ١٥ رمضان، وفي إثبات الوصية: ١٩ رمضان.

(٥) مناقب ابن شهر آشوب: ٤/٣٧٩، الكافي: ١/٤٩٢، تهذيب الأحكام: ٦/٩٠.

(٦) إعلام الورى: ٣٣٩، الكافي: ١/٤٩٧، تهذيب الأحكام: ٦/٩٢.

(٧) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ٤/٤٠١، الكافي: ١/٤٩٧. ولم ترد فيه كلمة «الثالث».

(٨) إعلام الورى: ٣٤٩، وانظر الكافي: ١/٥٠٣، وتهذيب الأحكام: ٦/٩٢.

(٩) تهذيب الأحكام: ٦/٩٢، الكافي: ١/٥٠٣.

١٢- الإمام المهديّ الموعود عجل الله فرجه ابن الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، سميّ رسول الله ﷺ وكنيته وخليفته الثاني عشر، وإمام عصرنا.

ولد أرواحنا فداه في النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هـ^(١) بسمراء، تولى شؤون الإمامة بعد استشهاد والده الإمام العسكريّ عليه السلام سنة ٢٦٠ هـ.

هو ذخيرة الله تعالى لإنقاذ المستضعفين وإبادة المستكبرين، وهو الموعود الذي سيؤسس حكومة الإسلام العالمية، وسيظلّ غائباً عن الأنظار ما دامت الأرضية غير مهيّدة لحكومته، وتنقسم غيبته إلى قسمين:

أ- الغيبة الصغرى:

بدأت هذه الغيبة سنة ٢٦٠ هـ، ودامت حتّى سنة ٣٢٩ هـ. ولم يتيسّر الاتصال بالإمام - خلال تلك الفترة - إلاّ عن طريق نوابه الخاصين. عُرِفَت هذه الغيبة بالغيبة الصغرى لقصر زمانها.

ب- الغيبة الكبرى:

الغيبة الكبرى أو الغيبة التامة، بدأت سنة ٣٢٩ هـ بوفاة النائب الأخير للإمام عليه السلام. وما زالت، وتستمرّ مادامت الظروف غير مؤاتية لحكومة الإسلام العالمية.

قال رسول الله ﷺ - في أحاديث يتفق محدّثو الشيعة والسنة على مضمونها -:

«لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأها عدلاً كما ملئت جوراً»^(٢).

(١) الكافي: ١/ ٥١٤/ ١. وفي مصباح الكفعمي: ٥٢٣ وإعلام الورى: ٣٩٣. سنة ٢٥٥ هـ.

(٢) سنن أبي داود: ٤/ ٤٢٨٣/ ١٠٧، وانظر الغيبة للطوسي: ٤٦/ ٣٠، و: ١٨١/ ١٤٠، و: ٤٢٥/ ٤١٠، وإعلام

الورى: ٤٣٠، وكشف الغمّة: ٢/ ٢٦٦، وبحار الأنوار: ٥١/ ١٠٢/ ٣٩.

«المهدي مني... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١).

بركات الإمام الغائب

مع أنّ الأمة محرومة من قيادة الإمام ﷺ الظاهريّة خلال غيبته عجل الله فرجه -بخاصّة غيبته التامة- بيد أنّها تنتفع ببركات هدايته الباطنيّة وأنوارها^(٢).

سأل جابر بن عبدالله الأنصاري النبي ﷺ عن غيبة الإمام فقال: فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال ﷺ:

«إي والذي بعثني بالنبوة، إنهم يستضيئون بنوره وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلّلتها سحب»^(٣).

قال سليمان بن مهران الأعمش: قال أبو عبدالله (الإمام الصادق) ﷺ:

«ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم من حجة لله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها، ولولا ذلك لم يُعبد الله».

قال سليمان: فكيف ينتفع الناس بالحجّة الغائب المستور؟ قال ﷺ:

«كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(٤).

وقال إسحاق بن يعقوب: ورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان ﷺ:

«... أنا وجه الانتفاع في غيبي فكالانتفاع بالشمس اذا غيّبتها عن الأبصار

السحاب، وإني لأمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»^(٥).

(١) سنن أبي داود: ٤ / ١٠٧ / ٤٢٨٥، سنن الترمذي: ٤ / ٥٠٥ / ٢٢٣٠ و ٢٢٣١، بحار الأنوار: ٥١ / ٩٠.

(٢) انظر الفصل الرابع من القسم الأول: «القيادة الباطنيّة».

(٣) كمال الدين: ٢٥٣ / ٣. وروي هذا المضمون عن جابر في كفاية الأثر: ٥٤، ينابيع المودة: ٣ / ٣٩٩ / ٥٤.

(٤) كمال الدين: ٢٠٧ / ٢٢، أمالي الصدوق: ٢٥٢ / ٢٧٧.

(٥) الغيبة للطوسي: ٢٩٢ / ٢٤٧، كمال الدين: ٤٨٥ / ٤.

تؤيد هذه الأحاديث والروايات الموضوعات التي دارت حول فلسفة القيادة الباطنية في الفصل الرابع من القسم الأول من هذا الكتاب.

وذكرنا هناك أنّ الإمام في موقع الولاية التكوينية كالشمس التي تُنير الباطن غير المحسوس من العالم، وتشرق على ملكوت السماوات والأرض، وتُضيء ضمائر الناس المؤهلين، والمؤمنون الأبرار في ظلّ نوره لا يرون مقصدهم فحسب، بل يدركونه ويظفرون به.

يضاف إلى ذلك أنّ الإمام هو الركن الباطنيّ لعالم المادّة، وبدونه ينهار نظام الأرض والسما^(١).

(١) انظر الفصل الرابع من القسم الأول: «القيادة الباطنية».

الخلاصة

☐ كانت الثورة الإسلامية في مرحلتها الأولى ناجحة، بيد أنها ينبغي أن تستمر لبلوغ الهدف النهائي، وتتصل بعصر ما بعد ارتحال النبي ﷺ. وأهم عوامل استمرار الثورة الإسلامية هي القيادة.

☐ لم تكن وفاة قائد الثورة الإسلامية مفاجئة، لذا حتى لو فرضناه قائداً عادياً، فقد كان عليه أن يحدّد سياسته حول مستقبل الدعوة والقيادة بعده.

☐ كان أمام رسول الله ﷺ ثلاث طرق، بالإمكان انتهاج أحدها تجاه مستقبل القيادة، وهي: أ - الطريق السلبي. ب - نظام الشورى. ج - تعيين القائد القادم.

☐ الطريق السلبي مَعْلَم على عدم الشعور بالخطر أو عدم الاهتمام بمستقبل الدعوة، وهذان الاحتمالان لا يمكن أن يصحّ صدورهما من النبي ﷺ.

☐ أخطار الطريق السلبي هي: ١ - خطر اتخاذ القرار المتعجل. ٢ - خطر افتقار ورثة الثورة إلى النضج الإسلامي. ٣ - خطر الأقلية المتغلغلة.

☐ إنّ الاحتمال القائل بعدم اهتمام النبي ﷺ بمستقبل دعوته - حتى لو فرضناه قائداً كسائر القادة - احتمال مرفوض، فكيف وهو أعظم الأنبياء؟ وتدحض السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي هذه الفرضية بجلاء.

☐ ينبغي - عند اختيار نظام الشورى - أن يمتلك ورثة الثورة الكفاءات اللازمة لقبول هذه المسؤولية. يضاف إليه أنّ على قائد الثورة أن يقوم بعملين، هما: تبين قانون الشورى، وتوعية ورثة الثورة الإسلامية.

☐ يدلّ التاريخ الإسلامي بوضوح على أنّ النبي ﷺ لم يمارس توعية للمسلمين

على نظام الشورى، بل لم يتحدّث عنه وعن حدوده ومواصفاته التشريعية قطّ.

☐ القدرة على تشخيص الأصلاح والاستقامة الأخلاقية شرطان أساسيان لاختيار القائد والنظام القيادي. وعندما يفقد المجتمع هذين الشرطين فإنّ نظام الشورى سيؤدّي إلى محق الثورة.

☐ إذا ألقينا نظرة على تاريخ صدر الإسلام ولاحظنا مستوى العلم والوعي والأخلاق الذي كان عليه المجتمع الإسلامي يومئذ يتبيّن لنا أنّ ورثة الثورة الإسلامية لم يكونوا يمتلكون أيّ استعداد لقبول مسؤوليّة نظام الشورى من هنا كان متعذراً على النبي ﷺ أن يترك قيادة الأمة لنظام يفضي إلى دمار الإسلام.

☐ السياسة الوحيدة المنسجمة مع طبيعة الأشياء في المجتمع الإسلامي إبان البعثة هي تعيين الرسول القائد من يخلفه في المستقبل.

☐ على الرغم من أنّ الجوّ السياسي للمجتمع الإسلامي بعد النبي ﷺ كان يحول دون ذكر ما قاله ﷺ بشأن القائد الذي يخلفه، إلّا أنّ كلماته في هذا المجال كانت كثيرة إلى حدّ أنّها لم تخف على الأجيال القادمة.

☐ تدلّ أحاديث الوصاية والوراثة والمنزلة والإمارة والإمامة والولاية والهداية والعصمة والأهمّ منها جميعاً حديث غدير خمّ على أنّ رسول الله ﷺ قد نصب الخليفة بعده.

☐ يضاف إلى تعيين النبي ﷺ الخليفة بعده أنّه عين اثني عشر إماماً من أهل بيته قادة للمجتمع الإسلامي بالترتيب.

☐ كان لحذف المواصفات التامة للخلفاء الاثني عشر في قسم من المصادر الروائية أسباب سياسية، غير أنّ المقدار الوارد في هذه المصادر يكفي لاستنباط الحقيقة.

☐ تدلّ دراسة دقيقة شاملة للأحاديث الماثورة على أنّ النبي ﷺ قد تحدّث

بشكل دقيق واضح عن الأئمة بعده أكثر ممّا تحدّث عن شيءٍ آخر.

☐ الخليفة الثاني عشر لنبيّنا هو إمام زماننا، وهو الموعود الذي سيقم الحكومة الإسلامية العالمية. ويظلّ غائباً عن الأنظار ما دامت الأرضية غير ممهّدة لإقامة هذه الحكومة.

☐ غيبة الإمام عليه السلام من سنة ٢٦٠ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ هي «الغيبة الصغرى»، والغيبة التي تليها هي «الغيبة الكبرى» أو «الغيبة التامة».

☐ كان الاتّصال بالإمام صاحب الزمان عليه السلام في أيّام «الغيبة الصغرى» متيسّراً، عبر نوابه الخاصّين.

☐ ينتفع المجتمع في عصر الغيبة الكبرى للإمام عليه السلام ببركاته وأنوار هدايته الباطنية وولايته التكوينية.

الفصل الثاني

الفقهاء الحائزون على شروط القيادة

لم تتمهّد الأرضيّة لحكومة أوصياء النبي ﷺ مع تأكيدات المتكرّره. ويعود هذا الأمر لأسباب ليس هنا موضع ذكرها وتفصيلها. وحكم منهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ بخمس وعشرين سنة، عندما بايعه الناس طائعين، ودامت حكمته أربع سنين وتسعة أشهر. ثمّ حكم بعده ولده الإمام الحسن المجتبي عليه السلام قرابة ستّة أشهر. ومنذ ذلك التاريخ حتّى سنة ٢٦٠ هـ واستشهاد الإمام العسكري عليه السلام وغيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه لم يكن زمام الحكم بأيديهم عليهم السلام. بل لقوا ما لقوا في حياتهم من المضايقات والشدائد والمحن، واستشهدوا جميعهم على أيدي الحكّام الجائرين.

السؤال المصيريّ المهمّ هنا هو: ماذا فعل أوصياء النبي صلى الله عليه وآله وعليهم في ما يخصّ مسؤوليّة قيادة الأُمّة الإسلاميّة، بعد أن رأوا أنّ الأرضيّة الاجتماعيّة غير مساعدة لحكهم؟

هل اعتزلوا الساحة السياسيّة اعتزالاً تامّاً وتخلّوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنضال ضدّ الجائرين حتّى تمهيد الأرضيّة لحكومة الامم العالميّة؟ وهل

تركوا الناس يعانون من الساسة الظالمين، وعكفوا على العبادة والقيام بالواجبات الفردية، وانشغلوا بالتعليم والتربية الأخلاقية، وهم عدل القرآن والمسؤولون عن هداية الأمة وقيادتها، كما نصّ على ذلك رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى؟!

لا ريب أنّ الإجابة عن هذه الأسئلة كلّها سلبية، فتاريخ حياة أوصياء رسول الله ﷺ يدلّ على أنّهم لم يتوانوا لحظة واحدة عن السعي والنضال وتبصير الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، منذ صلح الإمام الحسن عليه السلام حتى غيبة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، كما شهد بذلك الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة «الجمعة الكبيرة» وقال:

«وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حقّ جهاد»^(١).

وأفضل دليل معبر على إثبات نضال أوصياء رسول الله الجادّ لحكّام عصورهم الجائرين هو استشهادهم جميعاً في سبيل الله^(٢) كما تقرأ ذلك في زيارتهم:

«وبذلتم أنفسكم في مرضاته، وصبرتم على ما أصابكم في جنبه»^(٣).

خطة النضال عند أهل البيت عليه السلام

تدلّ الدراسة الدقيقة لسيرة أهل البيت عليه السلام النضالية على أنّ خطة نضالهم تتمثّل في هداية المسلمين وقيادتهم - لا مركزياً - عبر نيابة الفقهاء العامة. ومع أنّهم كانوا يبذلون قصارى جهودهم من أجل المحافظة على وحدة المجتمع الإسلامي وحفظ ظواهره لكنّهم كانوا يوصون أتباعهم سرّاً أن لا يقدّموا أيّ عونٍ ومساعدةٍ لأئمّة

(١) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٢/ ٣٢١٣، تهذيب الأحكام: ٦/ ٩٧/ ١٧٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٧٤/ ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٥٦/ ٩، كفاية الأثر: ١٦٢، بحار الأنوار: ٢٧/ ٢١٧/ ١٨، ميزان الحكمة: الباب ٢١٢٤، شهداء أهل البيت عليه السلام.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٦١٢/ ٣٢١٣، تهذيب الأحكام: ٦/ ٩٧/ ١٧٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٧٤/ ١.

البحر وحكمهم غير الشرعي، وكانوا يحرمون عليهم مراجعة دوائرهم الحكومية وأجهزتهم القضائية. وإذا ما أرادوا أن يأخذوا حقهم الثابت في المسائل التي ينبغي أن تعالج عن طريق الحكومة فعليهم أن يراجعوا الفقهاء الحائزين على الشرائط. ومن الروايات التي تدل على ما نقول بوضوح رواية تعرف بـ«مقبولة عمر بن حنظلة».

قال عمر بن حنظلة - أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام -: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجلين من أصحابنا يكون بينهما منازعة في دين أو ميراث فيتحاكمان إلى السلطان وإلى القضاة، أيحل ذلك؟ فقال عليه السلام:

«من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت، وما يحكم له فإنما يأخذ سُحْنًا وإن كان حقًا ثابتاً له، لأنه أخذه بحكم الطاغوت، وقد أمر الله أن يكفروا به، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾^(١).

قلت: فكيف يصنعان؟ قال:

ينظران إلى من كان منكم ممن قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرامنا وعرف أحكامنا، فليرضوا به حكماً، فإنني قد جعلته عليكم حاكماً، فإذا حكم بحكمنا فلم يقبله منه فإنما استخف بحكم الله، وعلينا رد، والراد علينا الراد على الله، فهو على حدّ الشرك بالله^(٢).

وقال أبو خديجة [سالم بن مكرم] - أحد ثقات الإمام الصادق عليه السلام -: بعثني أبو عبد الله عليه السلام إلى أصحابنا، فقال: قل لهم:

«إياكم إذا وقعت بينكم خصومة أو تدارى في شيء من الأخذ والعطاء أن تتحاكموا إلى أحد من هؤلاء الفساق، اجعلوا بينكم رجلاً ممن قد عرف حلالنا

(١) النساء: ٦٠.

(٢) تهذيب الأحكام: ١/٦، ٨٤٥/١٠، الكافي: ١/٦٧، الاحتجاج: ٢/٢٦٠، ٢٣٢ حار الأنوار: ٢/٢٢١.

وحرامنا، فإنني قد جعلته قاضياً. وإياكم أن يخاصم بعضكم بعضاً إلى السلطان الجائر»^(١).

بيّنت لنا هاتان الروايتان السياسة النضالية لأوصياء النبي ﷺ ضدّ الجائرين المتسلّطين على المجتمعات الإسلامية، وكذلك وضّحت موقف المسلمين الملّزمين الواعين من القيادة واختيار القائد حتّى ظهور الإمام المهديّ عجل الله فرجه. ومن الضروريّ القيام بعملين أساسيين من أجل إقامة حكومة الإسلام العالميّة، وهما:

١- عدم الاعتراف بشرعيّة الحكومات الجائرة

إنّ إحدى السياسات المبدئيّة لأوصياء النبي ﷺ في ضوء تعاليمه هي الإعلان عن عدم شرعيّة الحكومات الجائرة. وكانوا من هذا المنطلق ينهون المسلمين عن التعاون مع الحكّام الظالمين. والنقطة المهمّة المؤكّدة في مقبولة عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة هي أنّ أفراد المجتمع الإسلاميّ لا ينبغي لهم الرجوع إلى الحكّام الجائرين لأخذ حقوقهم الثابتة القطعيّة. وإذا شاعت هذه الثقافة في المجتمع الإسلاميّ فإنّ الحكّام غير الكفوّين يُمسّون في عزلة، وتتمهّد الأرضيّة لإقصائهم ولبسط حكومة العدل الإلهي.

بيد أنّ المسألة المهمّة هنا هي القيام بعملٍ أساسيٍّ آخر، وهو التعريف بالفقهاء العدول لقيادة المجتمع تنفيذاً للسياسة المذكورة.

٢- قيادة الفقهاء العدول

في ضوء ما تنبأ به أئمّة أهل البيت ﷺ فإنّ سلطة الحكّام الجائرين على المجتمعات الإسلاميّة ستطول كثيراً، نتيجة لعدم مساعدة الظروف الاجتماعيّة على إقامة حكومة الإسلام العالميّة. من جانبٍ آخر لا يحقّ للمسلمين الملّزمين أن يتعاونوا معهم

ويديروا شؤونهم عن طريق عملائهم. فما هو واجب أنصار الإسلام لضمان حاجاتهم الاجتماعية ولإعداد الأرضية لإقامة الحكومة الإسلامية العالمية وهو الهدف الأهم؟

لقد أعلن الإمام الصادق عليه السلام بصراحة أنّ واجبهم هو الرجوع إلى الفقهاء الذين حازوا الشروط اللازمة. بعبارة أخرى: عندما لا تساعد الظروف السياسية والاجتماعية على إقامة الحكومة الإسلامية بقيادة أوصياء النبي صلى الله عليه وآله - سواء في أيام حضورهم^(١) أم في أيام غيبتهم - فإنّ الفقهاء المتوفّرة فيهم الشروط المطلوبة هم المسؤولون عن مرجعية الأمة الإسلامية وقيادتها، نيابةً عن أوصياء النبي صلى الله عليه وآله. إنهم مكلفون بتمهيد الأرضية لعالمية حكومة الإمام المهديّ عجل الله تعالى فرجه الشريف، من خلال إقامة الحكومات التي تعتبر مقدّمة لتطبيق الأحكام الإلهية من جهة، ونواة مقاومة لتحرير المستضعفين وعالمية الإسلام من جهة أخرى.

قال القائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخمينيّ رضوان الله تعالى عليه - في مبحث «ولاية الفقيه» - بشأن «مقبولة عمر بن حنظلة» بعد شيء من التوضيح:

«هذه الرواية من الواضحات، ولا وسوسة في سندها ودلالاتها. ولا ريب أنّ الإمام عليه السلام نصب الفقهاء للحكومة والقضاء. وعلى عامة المسلمين أن يطيعوا أمر الإمام عليه السلام»^(٢).

وكان الفقيه العظيم سماحة آية الله البروجرديّ رضوان الله تعالى عليه يعتقد أنّ الروايات التي تدلّ على الولاية والمرجعية لا تنحصر برواية عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة، لكنّه أضاف أنّ هذه الروايات غير موجودة اليوم في كتب الحديث. وقام بتوضيح هذا الموضوع بعد ذكر مقدّمات حول حاجة المجتمع الإسلاميّ إلى القيادة، وأنّ الإسلام دين سياسيّ اجتماعيّ، وأكثر أحكامه تدور حول سياسة المدن وتنظيم

(١) كما في عصر إمامة الإمام الحسن المجتبيّ عليه السلام بعد صلحه مع معاوية، إلى عصر الإمام العسكريّ عليه السلام.

(٢) ولاية الفقيه للإمام الخمينيّ رحمته الله: ص ٨١، مؤسسة نشر آثار الإمام الخميني.

المجتمع، وأنه غير منفصل عن السياسة، ولا يمكن أن يحتل أحد أن الأئمة نهوا أتباعهم عن الرجوع إلى الطواغيت وقضاتهم، في حين لم يعينوا لهم مرجعاً يدير شؤونهم، وقال بعد ذلك:

نحن على يقين أن أصحاب الأئمة عليهم السلام سألوا أئمتهم أن يرشدوهم إلى أحد في شؤون المجتمع الأساسية عندما يتعذر عليهم الاتصال بهم، فأجابوهم ونصّبوا لهم أشخاصاً يرجعون إليهم. وصفوة القول إن تلك الأسئلة والأجوبة سقطت من كتب الحديث التي بأيدينا ولم يصل إلينا منها إلا رواية عمر بن حنظلة ورواية أبي خديجة^(١).

إنّ الباحثين المطلعين على الظروف السياسيّة العصيبة التي رافقت إمامة أوصياء النبي - بعد صلح الإمام الحسن عليه السلام - حتى غيبة الإمام المهديّ عليه السلام عجل الله فرجه - يعلمون جيّداً كم كان خطراً نقل هذه الأحاديث التي لا تجرّد الحكومات الجائرة المعاصرة للأئمة من الشرعيّة فحسب، بل كانت تُرسي دعائم حكومات سرّيّة لا مركزيّة في مقابل تلك الحكومات.

فحذفها من كتب الحديث أمر طبيعيّ قابل للتوجيه تماماً.

ومما يدعم الروايات المذكورة توقيع صدر عن الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه، في جواب رسالة إسحاق بن يعقوب. فقد روى إسحاق أنه سأل محمد بن عثمان العمريّ أن يوصل له كتاباً قد سأل فيه عن مسائل أشكلت عليه، فورد التوقيع بخطّ مولانا صاحب الزمان عليه السلام:

«... وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا، فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجّة الله عليهم...»^(٢).

(١) البدر الزاهر (تقاريرات درس سماحته): ص ٥٦.

(٢) كمال الدين: ٤٨٤ / ٤.

قال الإمام الخميني رضوان الله تعالى عليه في توضيح هذا التوقيع الشريف:

«القصـد من (الحوادث الواقعة) الحوادث الاجتماعية والمشكلات التي كانت تطرأ على المسلمين. وعلى نحو عام، سأل: لا سبيل لنا الآن إلى الاتصال بك، فماذا نفعل في الحوادث الاجتماعية؟ وما هو واجبنا؟ أو أنه ذكر حوادث، وسأل قائلاً: لمن نرجع فيها؟

إن الذي يبدو هو أنه سأل بصورة عامة وأجاب الإمام عليه السلام بما يقتضيه سؤاله أن يرجعوا في الحوادث والمشكلات إلى رواية أحاديثهم - أي: الفقهاء - فهم حججه عليه السلام على الناس وهو حجة الله عليهم... (حجة الله) هو الذي نصبه الله لإنجاز الأعمال. وجميع أقواله وأفعاله حجة على المسلمين.

... فقهاء الإسلام حجة الله على الناس هذا اليوم، كما كان رسول الله ﷺ حجة الله، وفوضت إليه الأمور كلها، وكل من كان يخالف تقام عليه الحجة.

والفقهاء حجة على الناس من قبل الإمام عليه السلام وقد فوضت إليهم شؤون المسلمين كافة. وكل من خالف في أمر الحكومة وتمشية أمور المسلمين، وأخذ العائدات العامة وصرفها فإن الله سبحانه سيحتج عليه»^(١).

يضاف إلى جميع ما ذكرناه أن كافة الأحاديث التي عدت قيادة الجائرين غير شرعية وحزمت طاعتهم وكذلك كل الأحاديث التي عرفت الفقهاء للناس على أنهم ورثة الأنبياء وخلفاء النبي ﷺ وأمناء الله وأنبيأؤه، وبيدهم مجاري الأمور والأحكام^(٢) تذهب إلى أن المسلمين عندما لا يتسنى لهم أن يدركوا النبي وأوصيائه صلوات الله عليهم أجمعين - لأي سبب كان - فإنهم مكلفون أن يقرؤوا بزعامة الفقهاء

(١) ولاية الفقيه للإمام الخميني عليه السلام: ص ٦٩.

(٢) انظر شؤون الفقيه للملا أحمد التراقي عليه السلام، ولاية الفقيه للإمام الخميني عليه السلام، دراسات في ولاية الفقيه للشيخ المنتظري.

الحائزين على شروط القيادة، ويرجعوا إليهم في الشؤون السياسية والاجتماعية والثقافية.

وجملة القول: لو لم يكن دليل إلا إجماع أتباع أهل البيت عليهم السلام في كافة العصور على نيابة الفقهاء عن الأئمة الأطهار عليهم السلام لكفى به من أجل إثبات ما قلناه.

نواب الإمام المهدي عجل الله فرجه بالتخصيص

استبان إلى هنا أنّ نيابة الفقهاء عن أوصياء النبي الأكرم عليه السلام لا تقتصر على عصر غيبة الإمام عليه السلام، بل هي في جميع العصور التي لا تنهت فيها الظروف الاجتماعية لحكومة أوصياء النبي، وعند حضورهم يكون الفقهاء مراجع لأُمور وأحكام المناضلين والملتزمين بالإسلام بشكلٍ غير رسمي. بيد أنّ إمام العصر عليه السلام اختار أربعة لنيابته الخاصة، في بداية غيبته، منذ سنة ٢٦٠ إلى سنة ٣٢٩ هـ، وهم:

- ١- أبو عمر عثمان بن سعيد العمري.
- ٢- أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد.
- ٣- أبو القاسم الحسين بن روح.
- ٤- أبو الحسن علي بن محمد السمری.

إنّ أوّل سؤال يتبادر إلى الأذهان بشأن النيابة الخاصة لإمام العصر عجل الله فرجه هو: ما هي الحكمة من هذه النيابة؟ والسؤال الآخر: هل تلغى النيابة العامة للفقهاء في عصر الأئمة الآخرين مع النيابة الخاصة لهؤلاء الأربعة؟ والسؤال الأخير: لماذا لم تستمرّ النيابة الخاصة للإمام عليه السلام وانقطع اتصال الناس به تماماً في سنة ٣٢٩ هـ؟

الحكمة من النيابة الخاصة

وقعت الولادة المباركة لإمام العصر^(١) رُوحِي فداه في أصعب الظروف التي مرّت

(١) في ضوء الرواية التي ذكرت أنّ الإمام عليه السلام ولد سنة ٢٦٠ هـ تمرّ الآن ١١٥٦ سنة على ولادته. ومن حسن

بها قيادة أوصياء النبي ﷺ. إذ ولد ﷺ في وقت كان الحكم العباسيون الجائرون يبذلون قصارى جهودهم للحؤول دون ولادة ذلك الموعود الذي كان رسول الله ﷺ قد بشر به، لبسط العدالة في العالم. لذلك اقتادوا جدّه وأباه إلى معسكر سامراء، ليكونا تحت رقابتهم المباشرة. من هنا كانت ولادته - كما تنبأ الإمام الباقر ﷺ -^(١) سرّية، كولادة موسى ﷺ، ولم يطلع عليها إلا المقرّبون جدّاً من الإمام العسكري ﷺ. غاب ﷺ عن الأنظار بعد استشهاد أبيه، وله من العمر أربع أو خمس سنين.

ولو قطع اتّصاله بأتباع أهل البيت ﷺ في تلك الظروف تماماً لانفسح المجال لتأثير شكّ الخنّاسين والشیاطين في ولادته. من هنا كان اتّصاله بالناس عن طريق نوابه الخاصين منذ سنة ٢٦٠ حتى سنة ٣٢٩ هـ بمقتضى الحكمة وحكم الضرورة.

انتهاء النيابة الخاصة

كان آخر نائب للإمام ﷺ هو عليّ بن محمّد السمريّ، وقد تسلّم رسالة من الإمام قبل وفاته بستّة أيّام، وفيما يأتي نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يا عليّ بن محمّد السمريّ، أعظم الله أجر إخوانك فيك، فإنك ميت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توص إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التامة، فلا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى ذكره، وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً، وسيأتي (من) شيعتي من يدعي المشاهدة، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السفينائي

﴿الاتفاق أنّي أكتب هذه السطور في وقت يحتفل فيه المسلمون الإيرانيون بذكرى ميلاده (في النصف من شعبان سنة ١٤١٦ هـ) نأمل أن يحظى هذا الكتاب بعنايته ورعايته، ويكون مؤثراً ببركة دعائه في إعداد الأمتة الإسلامية ذهنياً وعملياً، من أجل حكومة الإسلام العالميّة بقيادته ﷺ.

والصيحة فهو كَذَابٌ مَفْتَرٌ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم»^(١).

استمرار النيابة العامة في الغيبة الصغرى

لا ريب أنَّ نيابة الفقهاء العامة التي كان أئمة أهل البيت قد أرسوا دعائها قبل عصر إمامة الإمام المهدي عليه السلام لمصالح سياسيّة واجتماعيّة ظلّت قائمة في أيام النّوَاب الأربعة. إذ أنَّ الغاية من هذا النوع من النيابة هي الحاجات العلميّة والسياسيّة والاجتماعيّة لأتباع أهل البيت عليه السلام، وتعدّر اتّصالهم بأنّمتهم. وكانت هذه الغاية قائمة في فترة الغيبة الصغرى ونيابة النّوَاب الأربعة.

بعبارة أخرى: عندما ينوب الفقهاء عن الإمام المعصوم في القيادة والمرجعيّة وهو حيّ - لظروف خاصّة - فإنّ نيابتهم ستستمرّ بطريق أولى حين غيبته، إذا لم تتغيّر الظروف الاجتماعيّة.

إنّ نيابة النّوَاب الأربعة لا تعني أنّهم كانوا مراجع رسميّن في جميع الشّؤون السياسيّة والاجتماعيّة لأتباع أهل البيت، بل كانت لها حكمتها الخاصّة، كما وضّحنا من قبل. من هنا فهي لا تتنافى مع استمرار النيابة العامة للفقهاء.

الحكمة من انقطاع النيابة الخاصّة

يمكن أن يكون لانقطاع النيابة الخاصّة وعدم اتّصال الإمام عجّل الله فرجه بأتباعه بعد وفاة عليّ بن محمّد السمرّيّ سنة ٣٢٩ هـ حكمتان:

أ- حكمة سياسيّة

مرّ بنا أنَّ الأحاديث قد تتبّأت بطول عصر الغيبة الكبرى للإمام عجّل الله فرجه. وفي هذا العصر تسلّط الاستبداد والاستكبار على العالم الإسلاميّ بشكلٍ

(١) الغيبة للطوسي: ٣٩٥/٣٦٥، كمال الدين: ٥١٦/٤٤.

مخيف قروناً من الزمان، وانعدمت حرّية الفكر والتعبير عن الرأي، وتقلّص نطاق التبصير ونشاط المتبصّرين كثيراً، وكلّ تحرّك يصبّ في تحكيم الإسلام يُقمّع بشدّة. ففي مثل هذه الظروف تؤدّي النيابة الخاصّة إلى تقييد قادة تلك الفترة، ومضاعفة الضغوط والمشكلات عليهم، ممّا يفضي إلى محقّهم هم وأتباعهم لا محالة. من هنا دام هذا النوع من النيابة لمُدّة قصيرة نسبياً اقتضتها الضرورة.

ب - حكمة اجتماعيّة

إضافةً إلى الحكمة السياسيّة يمكن القول إنّ مصالح البناء الاجتماعيّ في عصر الغيبة النامّة تنسجم مع النيابة العامّة أكثر من غيرها. وفي المسيرة التكامليّة للتاريخ فإنّ الناس لم يوقّفوا -بعد إعراضهم عن حكم الأنبياء وأوصيائهم- في تجربتين خاسرتين في نظامي الحكم الاستبداديّ والديمقراطيّ. وعلى نحوٍ طبيعيّ فإنّ الناس بالتدرّج بدأوا يُقبلون على الإيمان بالحكومة الإلهيّة والقيادة الربانيّة.

وقد طوى المجتمع البشريّ في الحقيقة ثلاث مراحل في الحكم حتّى عصر حكم الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه هي: مرحلة الأنبياء وأوصيائهم، ومرحلة الاستبداد، ومرحلة الديمقراطيّة. وتنتهي نيابة الإمام ﷺ بمرحلة التجربة الديمقراطيّة. ولما كان الناس لا يؤدّون دوراً في تعيين القائد أيّام النيابة الخاصّة فإنّ تأثير هذه النيابة سيكون أقلّ لتضاربها مع حاجات العصر. أمّا في النيابة العامّة فللناس دورهم في تعيين القائد بصورة مباشرة أو غير مباشرة. من هنا يمكن أن تكون -في المرحلة التاريخيّة للتجربة الديمقراطيّة- أكثر فعاليّة في هداية الناس، وتمهيد الأرض لحكومة الإسلام العالميّة.

تجربة العصر الديمقراطيّ

ستثبت هذه التجربة للبشريّة أنّها غير قادرة على تحقيق الأهداف الإنسانيّة في

العالم، وعلى رأسها العدالة الاجتماعية.

بل إن الديمقراطية بلا دين ما هي إلا استبداد جديد. وفي آخر المطاف ستدرك البشرية أنّ الطريق الوحيد لسعادة الإنسان وتكامله المادّي والمعنويّ هو الرجوع إلى حكم الأنبياء بقيادة وارث الأنبياء والأوصياء جميعهم، وهو المهديّ الموعود عجل الله فرجه. قال الإمام الباقر (عليه السلام) في هذا المجال:

«دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا، لنلّا يقولوا اذا رأوا سيرتنا: إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء»^(١).

وجاء في رواية أخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام):

«ما يكون هذا الأمر حتّى لا يبقى صنف من الناس إلاّ وقد ولّوا على الناس حتّى لا يقول قائل: إنّا لو ولّينا لعدلنا، ثمّ يقوم القائم بالحقّ والعدل»^(٢).

دور الناس في تعيين النواب العامّين للإمام

إذا تأملنا في الروايات التي تدلّ على ولاية الفقهاء ونيابتهم العامة تبين لنا أنّ مدلولها لا يعني أنّ الناس عندما يتعذّر عليهم الاتّصال بأوصياء النبي (صلى الله عليه وآله)، فإنّهم يعيّنون جميع فقهاء منطقتهم أو مجتمعهم حكّاماً وقادة، فتكون لهم ولاية على الناس بلا تعارضٍ بينهم. لأنّ هذا العمل سيؤدّي إلى الفوضى، وسيعني أنّ كلّ فقيه من الفقهاء - في الوقت الذي يخضع فيه لولاية فقيه آخر - تكون له ولاية عليه أيضاً. فالقصد منها هو أنّ للفقهاء الحائزين على الشروط صلاحية الحكومة والولاية، وعلى الناس أن يرجعوا إليهم.

من هذا المنطلق، ينبغي أن نقول: أنيط بالناس اختيار الحاكم، كما جاء في

(١) الغيبة للطوسي: ٤٧٢ / ٤٩٣، بحار الأنوار: ٥٢ / ٣٣٢ / ٥٨.

(٢) الغيبة للنعماني: ٢٧٤ / ٥٣، بحار الأنوار: ٥٢ / ٢٤٤ / ١١٩.

الروايات. أي: يجب عليهم اختيار حاكمهم ووليهم في إطار الشروط والمواصفات التي وضعها الإسلام. أمّا كيف يحرز الناس الشروط اللازمة في الحاكم وكيف يعيّنونه؟ فهذا ما يتعلّق بهم أنفسهم. ومن البديهي أنّهم سيعيّنون قائدهم إمّا مباشرة إذا استطاعوا، وإمّا عن طريق ممثليهم. وبناءً على ما جاء في دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية - المستلهم من الآراء المباركة لفقيه العصر والقائد الكبير للثورة الإسلامية الإمام الخميني رضوان الله عليه - فإنّ الشعب الإيراني المسلم يستطيع - بعد أن اختار قيادة ذلك القائد التاريخي العظيم مباشرة - أن ينتخب قائده عن طريق مجلس الخبراء. وفيما يأتي كلام الإمام (عليه السلام) في هذا المجال:

«إذا صوت الشعب على الخبراء لينصبوا له مجتهداً عادلاً يقوده وقاموا بذلك فإنّه يحظى برضا الشعب لا محالة، وحينئذٍ يصبح وليّ الشعب المنتخب، وحكمه نافذ»^(١).

من هنا لا ولاية للفقهاء الحائزين على شروط القيادة قبل التصويت وبيعة الشعب أو ممثليه، كما أنّ أحكامهم غير نافذة قبل ذلك. أمّا بعد التصويت فلهم الولاية على الناس، بما فيهم الفقهاء الحائزون على شروط القيادة. وعندئذٍ فهم نواب الإمام عجل الله فرجه نيابةً عامّةً، ولا يجوز مخالفة أحكامهم الولائيّة. وكلّ مخالفة لهذه الأحكام تعدّ مخالفةً لإمام العصر عجل الله فرجه، كما لاحظنا في «مقبولة عمر بن حنظلة».

(١) صحيفة النور: ٢١ / ١٢٩ في جوابه (عليه السلام) عن رسالة آية الله المشكيني حول ملحق الدستور، بتاريخ ٢٢ رمضان

الخلاصة

▣ كانت الأُرضيّة الاجتماعيّة غير مساعدة لحكم أوصياء النبيّ بعد النبيّ ﷺ. وكانوا - على عكس الظروف العصيّة التي عاشتها قيادتهم - لم يتوانوا لحظة واحدة عن تبصير الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومناضلة الحكّام الجائرين، واستشهدوا جميعهم على هذا الطريق.

▣ جسّدت القيادة اللامركزيّة للعالم الإسلاميّ - عبر النيابة العامّة للفقهاء - خطّة النضال عند أهل البيت (عليه السلام)، في عصورٍ تعذّرت فيها قيادتهم بصورة غير مباشرة.

▣ قام أوصياء النبيّ ﷺ بعملين أساسيين في حقل التمهيد لحكومة الإسلام العالميّة، هما:

أ - تجريد الحكومات الجائرة من الصفة الشرعيّة، وتحريم كلّ نوع من التعاون معهم، بما في ذلك مراجعتهم لأخذ حقّهم.

ب - الإعلان عن مرجعيّة الفقهاء العدول وحاكميّتهم.

▣ اختار الإمام صاحب الزمان عجل الله فرجه أربعةً لنيابته الخاصّة، اعتباراً من سنة ٢٦٠ هـ إلى سنة ٣٢٩ هـ. وهم بالترتيب: عثمان بن سعيد، ومحمّد بن عثمان، والحسين بن روح، وعليّ بن محمّد السمرّيّ.

▣ ليست الغاية من النيابة الخاصّة القيادة المركزيّة للعالم الإسلاميّ عن طريق النوّاب الأربعة، بل الغاية هي الوقاية من تأثير وسوسة الخنّاسين وتشكيكهم في الولادة السريّة للإمام (عليه السلام).

▣ استمرّت النيابة العامّة للفقهاء - التي كان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) قد أرسوا دعائمها

قبل عصر الإمام المهدي عليه السلام لمصالح سياسية واجتماعية - في عصر النيابة الخاصة أيضاً.

□ يمكن أن يكون لانتقطاع النيابة الخاصة حكمتان :

أ - القيود والمشكلات المختلفة التي كانت تولدها هذه النيابة لقيادة أتباع أهل البيت عليه السلام خلال عصر الغيبة الطويل .

ب - معاكسة استمرار النيابة الخاصة لحاجات عصر التجربة الديمقراطية .

□ لا تشير أدلة ولاية الفقيه إلى الولاية الفعلية لجميع الفقهاء بلا تعارض ، لأنّ هذا الأمر يُفْضَى إلى القوضى ويستلزم أن تكون لكلّ فقيه ولاية على غيره من الفقهاء ، في حين هو خاضع لولاية فقيه آخر أيضاً .

□ مدلول أدلة ولاية الفقيه هو أنّ للفقهاء الحائزين الشروط صلاحية الحكومة والولاية ، وعلى الناس أن يرجعوا إليهم .

□ لا ولاية للفقهاء الحائزين على شروط القيادة ، ولا نفوذ لأحكامهم قبل تصويت الشعب وبيعة الناس أو ممثليهم إليهم .

□ إذا بايع الناس الفقيه الجامع لشروط القيادة فله الولاية شرعاً عليهم وعلى سائر الفقهاء الحائزين على الشروط ، ولا يجوز مخالفة أحكامه الولائية .

الفهارس

فهرس الآيات

سورة الفاتمة

الآية	رقمها	الصفحة
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ	٥	١١٧
إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ	٦	١١٧

سورة البقرة

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ	١١	٣٥٧
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ	١٢	٣٥٨
وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ	١٢٤	٩٣.٧٨.٢٥
		٣١١
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا	١٢٧	٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا	١٢٨	٢٥
وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ	١٤٣	١١٩، ٢٦
إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ	١٥٦	٦٧

سورة آل عمران

وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ	١٤٤	١٠٢
فَمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ	١٥٩	٢٤٧
وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ	١٥٩	٣١٧

سورة النساء

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا	٥٨	٣٤٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ	٥٩	٣٤٤
يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ	٦٠	٤٠٧
وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ	١١٣	٣٢٨
وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا	١٤٠	٣٦٤

سورة المائدة

وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ	١	٤٠
يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ	٢١	١٦٦
قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ	٢٢	١٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الأنعام		
قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ	٣٣	٢٨١
وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا	٣٤	٢٨١
إِنَّ الْحُكْمَ لِلَّهِ	٥٧	٣٩
وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ	١١٦	٣٢٩
أَوْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ	١٢٢	١٠٩

سورة الأعراف

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ	٣٣	١٢٠
--	----	-----

سورة الأنفال

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا	٢٩	٧٥
---	----	----

سورة التوبة

قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ	٥٢	٢٦٨
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ	٧١	٣٥٦، ٥٨
وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ	١٠٥	٨٤
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ	١١٩	٢٩٤

سورة يونس

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ	٣٩	٣٦١
--	----	-----

الآية	رقمها	الصفحة
سورة هود		
يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ	٩٨	٢٧
فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ	١١٢	٢٨٠
وَلَا تَوَكَّنْوَ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ	١١٣	١٦٣
سورة الرعد		
إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ	٧	١١٤
وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ	٢٢	٢٧٩
سورة إبراهيم		
وَمَا لَنَا أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا	١٢	٢٨٦
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ	٢٤	١١٨
يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ	٢٧	٤٠
سورة الحجر		
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ	٧٥	٢٢٩
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ	٩٧	٢٨١
فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ	٩٨	٢٨١
سورة النمل		
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا	١٢٣	٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإسراء		
وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ	٣٦	١٠٢
وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ	٧٣	٣٢٨
وَلَوْ لَا أَنْ تَبْنِيَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ	٧٤	٣٢٨
سورة طه		
مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى	٢	٢٥٤
وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى	٨٢	١٠٧
سورة الأنبياء		
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا	٧٣	٢٥
سورة المؤمنون		
وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ	٣	٣٠٤
سورة الفرقان		
قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا	٥٧	٣٤٨، ٩٥
وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ	٧٤	١١٩، ٥٦
سورة القصص		
وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَىٰ النَّارِ	٤١	٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الصنكيات		
وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا	٦٩	٧٥

سورة السجدة		
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا	٢٤	٢٧٧

سورة الأمزاب		
الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ	٦	١٠٨
لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ	٢١	٢٥٣، ٥٥

سورة سبأ		
وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ	٦	١٠١
قُلْ إِنَّمَا أَعْظِيكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى	٤٦	٢٨٧
قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ	٤٧	٣٤٨، ٩٧، ٩٥

سورة يس		
وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ	١٢	٣٧، ٣٦

سورة ص		
يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ	٢٦	٣٠١

الآية	رقمها	الصفحة
-------	-------	--------

سورة الزمر

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ	٢٢	١٩٩
--	----	-----

سورة فصلت

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ	٣٤	٢٨٠
وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا	٣٥	٢٨٠

سورة الشورى

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ	٢٣	٩٥
وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ	٣٨	٣١٧

سورة الأحقاف

وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ أَعْرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا	١٢	١٦٣
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ	٣٥	٢٨٠

سورة ق

... فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ	٣٩	٢٨١
-------------------------------------	----	-----

سورة الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ	٢٥	١٨٩، ١٦٣
--	----	----------

الآية	رقمها	الصفحة
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَفْلًا مِمَّنْ رَحِمَ	٢٨	١٩٩

سورة الممتحنة

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ	٤	٢٥٣
---	---	-----

سورة الصف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ	٢	٥٧
كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ	٣	٥٧
هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ	٩	٢٦٧

سورة التغابن

فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا	٨	٨٠
--	---	----

سورة القلم

وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ	٤	٢٤٨
----------------------------------	---	-----

سورة المزمل

وَاضْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا	١٠	٢٨٠
---	----	-----

فهرس الأحاديث

الصفحة

الحديث



٢٠٤	آفة الزعماء ضَعَف السياسة
٣٤٤	آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم
٣٨٥	اثنوني بكتفٍ ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلّوا بعده أبداً
٢٤١	ابدأ بالمهاجرين فنادهم، وأعط كلَّ رجل
١٦٥	ابلى عذراً فيما بيني وبين الله عزَّ وجلَّ
٢٢٩	اتّقوا فراسة المؤمن ، فإنّه ينظر بنور الله
٥٨	أتيتُ ليلة أُسري بي على قومٍ تقرض شفاههم
٣٩٣	اثنا عشر، كعدة نُقباء بني إسرائيل
٣٥٤	أحبّ إخواني إليّ مَنْ أهدى إليّ عيوبي
٢٨٩	إخلاص العمل من قوّة اليقين
٢٦٥	أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان
١٧٠	إذا اجتمع للإمام عدّة أهل بدر
١٦١	إذا سمعتم الحديث عنّي تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم
١٨٦	إذا غَضَّ طرفه من المحارم، ولسانه عن المآثم

الصفحة

الحديث

- ٣١٦ الاستبداد برأيك يزلك ويهورك في المهاري
- ٢٧٢ استجلب عز اليأس ببعد الهمة
- ٣١٩ استشر أعداءك تعرف من رأيهم مقدار عداوتهم
- ٤٣ أسد حطوم خير من سلطان ظلوم
- ١٤٠ اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا
- ٤٦ اسمعوا وأطيعوا لمن ولّاه الله الأمر
- ٢٩٣ أشجع الناس من لا نبرسول الله ﷺ
- ٢١٦ أعرف الناس بالزمان من لم يتعجب من أحداثه
- ١٥٢ اعلموا أنّ ولايتنا لا تنال إلا بالورع والاجتهاد
- ٢٧٥ أغد عالماً أو متعلماً، ولا تكن إمعة
- ٦٣ أقامرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه؟!
- ١٩٩ أكثر دعائي ودعاء الأنبياء قبلي بعرفة
- ١٠٧ ألا ترى كيف اشترط ولم ينفعه التوبة والإيمان
- ٢٤٠ ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه
- ٣٠٨ ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمزيه
- ٣٤٧ ألا وإنني أنا أبوكم، ألا وإنني أنا مولاكم
- ١٠٥ الزموا مودتنا أهل البيت، فإنه من لقي الله
- ٢٦٦ الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام
- ٢٩٥ اللهم بلى لا تخلو الأرض من قائم لله محجة
- ١٤٦ أما إن لكل قوم سامرياً، وهذا سامري هذه الأمة
- ١٦٦ أما بعد، فإن الله قد أحسن نصركم، فتوجهوا من فوركم
- ٣٤٥ أما بعد، فإنني كنت أشركك في أمانتي
- ٣٤٣ أما بعد، فقد جعل الله سبحانه لي عليكم حقاً
- ٣٥٩ أما علامة الناصح فأربعة: يقضي بالحق
- ٢٤٢ أما ما ذكرتم من وتري إياكم

الصفحة

الحديث

- ٤٣ الإمام الجائر خيرٌ من الفتنة
- ١٩٣ الإمام الضعيف ملعون
- ٤٦ الإمام زمام الدين، ونظام أمور المسلمين
- ٣٣٣ الإمام عفيفٌ عن المحارم عفيفٌ عن المطامع
- ٣٩٩ أمّا وجه الانتفاع في غيبتي فكالانتفاع بالشمس اذا غيّبتها
- ٣٠١ امْنَعْ نَفْسَكَ مِنَ الشَّهَوَاتِ تَسْلَمْ مِنَ الْآفَاتِ
- ٢٨٩ إِنَّ إِخْلَاصَ الْعَمَلِ الْيَقِينِ
- ٣٩٤ إِنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ هَاشِمٍ
- ٤٧ إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو إِلَّا وَفِيهَا إِمَامٌ
- ١١٨ إِنَّ الْإِمَامَةَ أَسُّ الْإِسْلَامِ النَّامِي
- ١٨٢ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْأُئِمَّةَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ يُوَفِّقُهُمُ اللَّهُ
- ١٨١ إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لِأُمُورٍ عِبَادَةٍ
- ١٢٠ إِنَّ الْقُرْآنَ لَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ
- ٧٨ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ عَبْدًا
- ٢٥٦ إِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي إِمَامًا لَخَلْقِهِ، ففرض عليّ التقدير في نفسي
- ٢٢٦ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكَ سَخِي
- ٣٠٦ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ فَرَضَ عَلَى أُئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يَقْدَرُوا أَنْفُسَهُمْ
- ٢٨٨ إِنَّمَا مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ لَا نَبِيَّ شَيْئًا
- ١٥٣ إِنَّ أَبْغَضَ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ
- ٢٧٨ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَامُهُ عَلَيْهِ
- ٣٤٤ إِنَّ أَدَاءَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّوْمِ
- ١٤٤ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصَدَقًا وَكَذِبًا
- ١٣٩ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي
- ٢٩٣ أَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا
- ٢٢٩ إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ

الصفحة

الحديث

- ١٠١ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ، أَعْلَمُكُمْ
- ٢٤٣ إِنَّمَا بَدَأُ وَقُوعَ الْفِتَنِ أَهْوَاءُ تُتَّبَعُ وَأَحْكَامُ تُبْتَدَعُ
- ٣٦٤ إِنَّمَا عَنِي بِهِذَا: إِذَا سَمِعْتُمُ الرَّجُلَ الَّذِي يَجِدُ الْحَقَّ
- ٣٥٥ إِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوَلَاةِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ
- ١٧١ إِنَّهُ كَانَ مِنْ عُلَمَاءِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ غَضِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
- ٤٥ أَنَّهُ لَوْلَا مَا جَعَلَ لَهُمْ إِمَامًا قَيِّمًا أَمِينًا حَافِظًا مُسْتَوْدَعًا
- ١٦١ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَدْعُو إِلَى أَنْ يَخْرُجَ الدُّجَالُ
- ٢٣٦ إِنِّي أُعْطِيَ رَجُلًا حَدِيثِي عَهْدٍ بِكَفَرٍ أَتَأَلَّفُهُمْ
- ١٣٦ إِنِّي تَارَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللَّهِ وَعَرَّتِي أَهْلَ بَيْتِي
- ١٨١ أَنْ يَكُونَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِحَلَالِ اللَّهِ وَحَرَامِهِ
- ٢٣٥ إِنِّي لَأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ
- ٢٩٣ إِنِّي وَاللَّهِ لَوَلِّيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ
- ٢٥٥ أَوْلَئِكَ عَجَلْتُ لَهُمْ طَبِيبَاتِهِمْ وَهِيَ وَشَيْكَةِ الْإِنْقِطَاعِ
- ٣٠٧ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفَى الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ
- ٤٠٧ إِيَّاكُمْ إِذَا وَقَعَتْ بَيْنَكُمْ خُصُومَةٌ أَوْ تَدَارَى فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْذِ
- ٢٤٠ أَيْمًا وَالِ وَلِي الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِي أَقِيمَ عَلَى حَدِّ الصِّرَاطِ
- ٣٩٩ إِي وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالنَّبُوءَةِ، إِنَّهُمْ يَسْتَضِيئُونَ بِنُورِهِ
- ١١٣ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ
- ١٩٣ أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ
- ٢١٨ أَيُّهَا النَّاسُ، شَقُّوا أُمُوجَ الْفِتَنِ بِسُفْنِ النِّجَاةِ

خُرُوجُ النَّبَا

- ٢٢٩ بِالتَّوَسُّمِ وَالتَّقَرُّسِ، أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٢٨٥ بِحُسْنِ التَّوَكُّلِ يُسْتَدَلَّ عَلَى حُسْنِ الْإِيْقَانِ
- ٤١٣ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّمَرِيُّ

الصفحة

الحديث

- ٥٥ بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ
- ٢٩٠ بَعْدَ أَنْ شَرِطْتُ عَلَيْهِمُ الزَّهْدَ فِي دَرَجَاتِ هَذِهِ الدُّنْيَا الدُّنْيَا
- ٨٦ بِكُمْ يُنْزَلُ الْغَيْثُ، وَبِكُمْ يُمَسِكَ السَّمَاءُ
- ١١٦ بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ

حَرْفُ النِّسَاءِ

- ٦٣ تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ
- ٢٠٩ تِلْكَ النِّكَارُ، تِلْكَ الشَّيْطَانَةُ، وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْعَقْلِ وَلَيْسَتْ بِالْعَقْلِ
- ٢٨٥ التَّوَكَّلْ مِنْ قُوَّةِ الْيَقِينِ

حَرْفُ النِّسَاءِ

- ٣٧٣ ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ
- ١٠٧ ثُمَّ اهْتَدَى إِلَى وَلايَتِنَا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ رَجُلًا
- ٩٧ ثُمَّ جَعَلْتَ أَجَرَ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَوَدَّتَهُمْ

حَرْفُ الْجِيمِ

- ٨٦ جَعَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْكَانَ الْأَرْضِ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا
- ٣٨٥ جَهَّزُوا جَيْشَ أُسَامَةَ، أَنْفَذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ

حَرْفُ الْخَاءِ

- ٣٠٢ حَرَامٌ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ عَالَمٍ مُحِبٍّ لِلشَّهَوَاتِ
- ٢١٦ حَسِبَ الْمَرْءُ... مِنْ عِرْقَانِهِ عِلْمُهُ بِزَمَانِهِ
- ٢٠٣ حُسْنُ السِّيَاسَةِ قَوَامُ الرِّعْيَةِ
- ٣٤٣ حَقٌّ عَلَى الْإِمَامِ أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
- ٣١٨ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْمُبِينُ

الصفحة

الحديث

حَرْوُ الْجَاءِ

- ١٤١ خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم
٢٧١ خير الهمم أعلاها

حَرْوُ الدَّالِ

- ٢٣٨ دعوني والتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمراً له وجوه
٤١٦ دولتنا آخر الدول، ولن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا

حَرْوُ الراءِ

- ١٤٤ رجل منافق مُظهر للإيمان، متصنع بالإسلام

حَرْوُ الزَّيْدِ

- ٣١٦ زلة الرأي تأتي على الملك وتؤذي بالهلك
٢٩١ زهد المرء فيما يقنئ على قدر يقينه بما يبقى
٥٨ زيادة الفعل على القول أحسن فضيلة

حَرْوُ الشَّيْرِ

- ٢٨٩ سبب الإخلاص اليقين
٢٨٤ سلاح الموقن الصبر على البلاء
٢٠٤ سوء التدبير سبب التدمير
٣٤٣ سيد القوم خادمهم
١٦٩ سيكون أمراء تعرفون وتنكرون، فمن نابذهم نجا
١٤٢ سيليكم أمراء يفسدون، وما يصلح الله بهم أكثر

الصفحة

الحديث

حُرُوفُ الشَّيْرِ

- ٣٠٦ شَيْبَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام، وَإِلَّا فَالْنَارُ
- ٢٧٢ شَجَاعَةُ الرَّجُلِ عَلَى قَدَرِ هِمَّتِهِ
- ٣٠١ الشُّهُوَاتُ آفَاتُ
- ١٥٤ الشَّيْعَةُ ثَلَاثَةُ أَصْنَافٍ: صَنَفٌ يَتَزَيَّنُونَ بِنَا

حُرُوفُ الصَّوِّ

- ٢٨٤ الصَّبْرُ أَوَّلُ لَوَازِمِ الْإِيْقَانِ
- ٢٨٤ الصَّبْرُ ثَمَرَةُ الْيَقِينِ
- ٢٧٨ الصَّبْرُ مِنَ الْإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ
- ٢٩٥ الصَّدْقُ أَشْرَفُ خَلَائِقِ الْمُؤْمِنِ
- ٢٢٨ صَدَقْتُ. أَمَا فَاتَّخِذْ لِلْفَقْرِ جَلِيْبَاباً

حُرُوفُ الظَّاءِ

- ٣٠٣ طَهَارَةُ الْوَلَادَةِ، وَحُسْنُ الْمَنْشَأِ

حُرُوفُ الظَّاءِ

- ٣١١ الظُّلْمُ أُمُّ الرِّذَالِ

حُرُوفُ الْعِيْزِ

- ٢١٧ الْعَالَمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ
- ١٨٧ عِبَادُ اللَّهِ، إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ عَلَى نَفْسِهِ
- ١٩٠ عَجِبْتُ لِمَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ كَيْفَ يَنْصِفُ غَيْرَهُ

الصفحة	الحديث
١٨٥	العدلُ أساسُ به قوام العالم
١٨٥	الغَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا
٢٨٤	العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع
٢٧٥	العلمُ رأسُ الخيرِ كُلِّهِ، والجهلُ رأسُ الشرِّ كُلِّهِ
٣٤٥	على الإمام أن يدفع ما عنده إلى الإمام الذي بعده
٢٧٢	على قدر الهمة تكون الحمية
١٢٧	عليكم بطاعة مَنْ لَا تُعَذَّرُونَ بِجَهَالَتِهِ
٩٦	علي وفاطمة وأبناها

حَرْوُ الْغَيْرِ

٣٦٠	غاية الإنصاف أن يُنصفَ المرءُ نفسه
-----	------------------------------------

حَرْوُ الْبَاءِ

٨٤	فَإِنْ أَعْمَالُكُمْ تُعَرِّضُ عَلَيَّ كُلَّ يَوْمٍ
٤٤	فَإِنْ قَالَ: فَلِمَ جَعَلَ أُولِي الْأَمْرِ وَأَمْرَ بَطَاعَتِهِمْ؟
٣١٢	فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة
٢٥٥	فَتَأْسَ بْنَبِيكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرَ ﷺ، فَإِنَّ فِيهِ أَسْوَأَ لِمَنْ تَأْسَى
٤٦	فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك
٢٧٢	الفعل الجميل يُنبئ عن علو الهمة
١٠٠	فعليكم بالطاعة، قد رأيتم أصحاب علي
٢١٩	فَقَمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا، وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا
٣٢٢	فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل
٣٢٧	فلا تكوننَ لِمُرْوَانَ سَيِّقَةً يسوقك حيث شاء

الصفحة

الحديث

- ١٣٨ فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم
٤١ فما تدرون ما يقول هؤلاء؟ يقولون: لا إماراة

حَرْوُ الْقَابِ

- ٣٠٢ قد خلع سراويل الشهوات، وتخلّى من الهموم إلّا همّاً
٢٧٢ قَدَّرَ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ
٣٦٧ قد رضيت أن تكون لي أسوة بك
٣٦٢ قلّما ينصفُ اللسان في نشر قبيحٍ أو إحسان
٣٥٧ قوام الشريعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٥٣ قوم يزعمون أنّي إمامهم، والله ما أنا لهم بإمام

حَرْوُ الْفِكَارِ

- ٢٢٩ كان رسول الله ﷺ المتوسّم وأنا من بعده
٣١٨ كان عقله لا يُوازِي بهِ العقول، وربّما شاور الأسود من سُودَانِهِ
٥٩ كان لي فيما مَضَى أُخٌ في الله، وكان يُعْظِمُهُ في عيني
١٧٢ كأنّي بقومٍ قد خرجوا بالمشرق يطلبون الحقّ فلا يُعْطُونَهُ
٢٢٨ كذبت، لا والله ما تُحِبُّنِي ولا أَحْبَبَكَ
٢٧٢ الكرم نتيجة علوّ الهمة
١١٥ كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِكُلِّ قَوْمٍ فِي زَمَانِهِمْ
١١٥ كُلُّ إِمَامٍ هَادٍ لِلْقَرْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِمْ
١٦٥ كَلَّا، والذي نفسي بيده لا يموت
١٥٨ كلّ راية ترفع قبل قيام القائم فصاحبها طاغوت
٣٤٦ كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيّته

الصفحة

الحديث

- ٤٠ كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حُكْمَ إِلَّا لله
- ٢٩٢ كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَاسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
- ١٦٩ كُونُوا كَأَصْحَابِ عِيسَى ﷺ تُنْشَرُوا بِالنَّاشِرِ
- ١٦٨ كُونُوا كَأَصْحَابِ عِيسَى نُصَبُوا عَلَى الْخَشَبِ
- ٢٤٤ كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبِسْتُمْ فِتْنَةً، يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ
- ١٦٩ كَيْفَ أَنْتُمْ وَزَمَانٌ قَدْ أَظْلَكَكُمْ؟ تُعْطَلُ فِيهِ الْحُدُودُ
- ١٩٠ كَيْفَ يَعْدِلُ فِي غَيْرِهِ مَنْ يَظْلِمُ نَفْسَهُ

حَوَالِ الْأَمْرِ

- ١٧١ لَا أزال أنا وشيعتي بخير ما خرج الخارجي من آل محمد ﷺ
- ٦٢ لَا تُخَاصِمُهُم بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَالٌ ذُو وَجْهِ
- ١٧١ لَا تَقُولُوا: خَرَجَ زَيْدٌ، فَإِنَّ زَيْدًا كَانَ عَالِمًا وَكَانَ صَدُوقًا
- ١٤٢ لَا تَكْفُرُوا أَحَدًا مِنْ أَهْلِ قَبْلَتِكُمْ بِذَنْبٍ
- ١٥٩ لَا دِينَ لِمَنْ لَا وَرَعَ لَهُ، وَلَا إِيْمَانَ لِمَنْ لَا تَقِيَّةَ لَهُ
- ٣٥٩ لَا عَدْلَ كَالْإِنْصَافِ
- ٣٠٧ لَا، وَلَكِنْ عَلَى أُمَّةِ الْحَقِّ أَنْ يَتَأَسَّوْا بِأُضْعَفِ رَعِيَّتِهِمْ
- ٣٥٩ لَا يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ
- ٢٣٧ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ
- ٢٧٨ لَا يَحْمِلُ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا أَهْلُ الصَّبْرِ وَالْبَصْرِ
- ٣٩٢ لَا يَزَالُ الْإِسْلَامُ عَزِيزًا إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ خَلِيفَةً
- ٣٣٤ لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يَصَانَعُ
- ٣٣٤ لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يَصَانَعُ وَلَا يَخَادِعُ
- ٣٠٣ لَا يَلْهُو بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا

الصفحة

الحديث

- ٣٣٤ لا ينبغي أن يكون على المسلمين الحريص
- ٣٣٣ لا ينبغي لحاكم من حكام المسلمين أن يكون فيه ثلاثة
- ٣٢٥ لا ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله
- ٥٧ لعن الله الأمرين بالمعروف التاركين له
- ٣٢١ لك أن تشير علي، وأرى، فإن عصيتك فأطعني
- ١٨٨ للإمام علامات: أن يكون أعلم الناس
- ٨٦ لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة
- ١٠٦ لو أن عبداً عبد الله ألف عام ما بين الركن والمقام
- ٢٩١ لو صحّ يقينك ما استبدلت الفاني بالباقي
- ٢١٠ لولا أن المكر والخديعة في النار لكت أكر الناس
- ٣٩٨ لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي
- ٨٧ لو لم يكن من خلقي في الأرض
- ٣٠٤ اللهو يفسد عزائم الجد
- ١٥٣ ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا

حرف الهمزة

- ٣٤٧ ما أوتيكم من شيء وما أمنعكموه
- ١٩٦ ما بعث الله نبياً قط حتى يسترعيه الغنم
- ١٦٣ ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته
- ٢٠٩ ما عبد به الرحمن، واكتسب به الجنان
- ١٨٧ ما كرهته لنفسك فأكره لغيرك
- ٢٢٦ ما كلم رسول الله ﷺ العباد بكنه عقله قط

الصفحة

الحديث

- ١٦٤ ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زُخرف
- ١٦٢ ما ورد عليكم من حديث آل محمد فلائت له قلوبكم
- ٣٧٤ ما يُدريك ما عَلَيَّ مِنِّي! عليك لعنةُ الله ولعنةُ اللاعنين
- ٤١٦ ما يكون هذا الأمر حتى لا يبقى صنف من الناس
- ٣٠٦ مثل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام
- ٣١٦ المستبد برأيه موقوف على مداحض الزلل
- ٣١٦ المستبد متهور في الخطأ والغلط
- ٢٠٣ مضطلع بالإمامة، عالم بالسياسة
- ١١٤ مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامُهُمْ
- ٣٩ مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم
- ٤٧ مكان القيم بالأمر مكان النظام من الخرز
- ٢٠٤ المُلكُ سياسةٌ
- ٣١٦ مَنْ استبدَّ برأيه هلك
- ٧٦ من الحي القيوم الذي لا يموت
- ١١٦ من أشرك مع إمام إمامته من عند الله
- ٢١٥ من أمن الزمان خانته، ومن تعظم عليه أهانه
- ٤٠٧ من تحاكم إليهم في حق أو باطل فإنما تحاكم إلى الطاغوت
- ٣٦١ مَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَابَهُ
- ٢٠٤ مَنْ حَسُنَتْ سياسته دامت سياسته
- ١٠٤ من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له
- ٢٧٢ من شرف الهمة بذل الإحسان
- ٢٧٢ من شرف الهمة لزوم القناعة

الحديث

- مَنْ صَغُرَتْ هِمَّتُهُ بَطَلَتْ فَضِيلَتُهُ
 مَنْ ضَعُفَتْ آرَاؤُهُ قَوِيَتْ أَعْدَاؤُهُ
 ١٥٧ من ظلم نفسه كان لغيره أظلم
 ١٥٨ من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم
 من عاند الزمان أرغمه، ومن استسلم إليه لم يسام
 من عتب على الزمان طالت معتبته
 ١٥٩ من فارق الجماعة فاقتلوه
 ١٦٠ من قاتل على الخلافة فاقتلوه
 ١٦١ من قَصُرَ عن السياسة صَغُرَ عن الرياسة
 ١٦٢ مَنْ قَصُرَ عن معرفة شيء عابه
 ١٦٣ مَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ مَا يَدْخُلُ بَطْنُهُ كَانَتْ قِيَمَتُهُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ
 ٢٧٢ من كَبُرَتْ هِمَّتُهُ كَبُرَ اهْتِمَامُهُ
 ١٦٤ من ماتَ بغير إمام ماتَ ميتةً جاهلية
 ١٥٤ من ماتَ ولا إمامَ له ماتَ ميتةً جاهلية
 ٩٩ من ماتَ وليس عليه إمامٌ فميتته ميتةً جاهلية
 ١٠٠ من مات وهو لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهلية
 مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ
 ٢٦٣ مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ زَانَهُ
 ١٠١ منها أن يعلم أنه معصوم من الذنوب كلها
 المهدي مَنِي... يملأ الارض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً
 مَيِّت: لا يعرف شيئاً
 ٢٠٠ مَيِّتة شهوته

الحديث

الصفحة

حَرْوُ النَّزْلِ

- الناس أعداء ما جهلوا
 ٣٦١
 نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ، وَمِنْ قُرُونِنَا كُلِّ بَرٍّ
 ١٢١
 نَصْحُكَ بَيْنَ الْمَلَأِ تَقْرِيعُ
 ٣٦٣
 النصيحة من الحاسد مُحَال
 ٣٦٢

حَرْوُ الْهَلَا

- هجم بهم العلم على حقيقة البصيرة، وباشروا روح اليقين
 ٢٩٦
 هذا جزاء من ترك العقدة
 ٣٧٣
 هيهات، لولا التقى لكنت أدهى العرب
 ٢١١
 هيهات يا معلى! أما والله أن لو كان ذاك ما كان إلا سياسة
 ٣٠٦

حَرْوُ الْهَلَا

- والذي بعثني بالحق نبياً، لو أن رجلاً لقي الله
 ٨٣
 والله، إن بقيت وسلمت لهم لأقيمتهن على المحجة البيضاء
 ٢٤١
 والله إنني لأعرض أعمالهم على الله في كل يوم
 ٨٥
 والله، لأن أبيت على حسك السعدان مُسَهِّداً
 ٣١٣
 والله لا يخرج واحد منا قبل خروج القائم عليه السلام
 ١٥٩
 والله لقد أمرت الناس أن لا يجتمعوا في شهر رمضان
 ٢٤٥
 والله، لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها
 ٣١٣
 والله ما كانت لي في الخلافة رغبة
 ٣٢٢
 والله ما معاوية بأدهى مني، ولكنه يغدر ويفجر
 ٢١١
 والله يا سدير، لو كان لي شيعه
 ١٧٠

الصفحة

الحديث

- ٣٤٥ وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ
- ٣٩ وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ
- ٢٢٧ وَإِنِّي لَا أَعْرِفُهُمْ حِينَمَا أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ
- ٤١٠ وَأَمَّا الْحَوَادِثُ الْوَاقِعَةُ فَارْجِعُوا فِيهَا إِلَى رِوَاةٍ حَدِيثِنَا
- ٤٠٦ وَأَمَرْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَجَاهَدْتُمْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
- ٤٠٦ وَبَذَلْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي مَرْضَاتِهِ، وَصَبَرْتُمْ عَلَى مَا أَصَابَكُمْ فِي جَنْبِهِ
- ٢٧٤ وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ زَادَ الرَّاحِلِ إِلَيْكَ عَزْمُ إِرَادَةٍ يَخْتَارُكَ بِهَا
- ١١٧ الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ، لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهَا
- ٣٩٩ وَلَمْ تَخُلِ الْأَرْضَ مِنْذُ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مِنْ حَجَّةٍ لَكَ فِيهَا
- ٢٣٣ وَلِيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ
- ٣٥٨ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ
- ٣٦٥ وَيَحْكُ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ
- ١٥٣ وَيُحْكَمُ! إِنَّمَا شِيعَتُهُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ (عليه السلام)

خُرُوجُ النَّبِيِّ

- ٨٠ يَا أَبَا خَالِدٍ، النُّورُ وَاللَّهُ نُورُ الْأَنْثَمَةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ
- ٧٧ يَا بَنِي آدَمَ، أَنَا حَيٌّ لَا أَمُوتُ، أَطْعَنِي فِيمَا أَمَرْتُكَ
- ٨٥ يَا دَاوُدَ، لَقَدْ عُرِضْتُ عَلَى أَعْمَالِكُمْ يَوْمَ الْخَمِيسِ
- ٣٦٧ يَا رَبِّ احْبِسْ عَنِّي أَلْسِنَةَ بَنِي آدَمَ
- ١٥٨ يَا سَدِيرَ، الزَّمِ بَيْتَكَ وَكُنْ حَلَسًا مِنْ أَحْلَاسِهِ
- ١٠٦ يَا عَلِيَّ، لَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبَدَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ
- ٢٣٤ يَا عَمَّ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي
- ٢٦١ يَا عَمَّ، وَاللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي

الصفحة

الحديث

- ١٠٦ الشَّارِعُ قَوْلُهُ لَوْ جُلَّ عَلَى يَقِينٍ مِنْ وَلَا يَتَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ
- ٢٠٣ وَنَحْنُ الْإِمَامُ إِلَى قَلْبٍ عَقُولٍ، وَاسَانٍ قَوْلٍ
- ٢٩٢ الْإِمَامُ إِلَى قَلْبٍ عَقُولٍ، وَلِسَانٍ قَوْلٍ
- ١٧٢ يَشْرَحُ نَاسٌ مِنَ الْمَشْرِقِ فَيُوطِنُونَ لِلْمَهْدِيِّ
- ٤١ بِعَمَلِ النَّوْمَانِ، وَيَمْلَأُونَ لِلْفَاجِرِ، وَيَبْلَغُ اللَّهُ الْأَمْرَ
- ١١٩ لَوْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالْأُمَّةَ مِنْ بَعْدِهِ هُمُ الْأَصْلُ الثَّابِتُ
- ٢٩٠ الْيَقِينُ بِذَلِكَ الزَّهْدُ
- ٣٩٢ مَا مِنْ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ أَمِيرًا
- ١٤١ مَنْ بَدِيَ أُمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهَا، أَيْ

فهرس الأعلام

أدم عليه السلام: ٣٩٩	أبو بكر بن أبي قحافة: ٢١٧، ٢١٨، ٣٨٤
إبراهيم عليه السلام: ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٩، ٧٠	أبو الجارود: ١٠٨
٣١٢، ٣١١، ٢٥٣، ٧٨	أبو جعران: ٢٧٣
ابن أبي الحديد: ٣٤، ١٠٣، ١٠٤، ١٢٧	أبو جعفر الحسني: ٢٥٦
١٦٦، ٢١١، ٢٤٨	أبو الحجاج الأقصر: ٢٧٣
٢٥٦	أبو حمزة: ١٠٨
ابن حجر: ١٠٦	أبو خالد الكابلي: ٨٠
ابن حزم الأندلسي: ٣٤	أبو خديجة = سالم بن مكرم
ابن طاووس: ٣٦٧، ١٦٥	أبو ذر: ١٥٣، ١٤٣
ابن عباس = عبد الله بن عباس	أبو سعيد الخدري: ١٠٦
ابن ملجم: ١٦٧	أبو سفيان: ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٤٩، ٢٥٠
ابن هشام: ٢٦٠	أبو الصباح الكناسي: ١٠٨
أبو أيوب: ٢٤٢	أبو طالب: ٢٣٤، ٢٦٠، ٢٦١
أبو أيوب الأنصاري: ١٦٧	أبو عطاء: ١٦٩
أبو بصير: ١٥٨، ٢٩٣، ٣٠٦	أبو علي بن سينا: ٢١١
أبو بكر الأصبم: ٢٤	أبو موسى الأشعري: ٣٧٢

أبو هريرة: ٢٥٤	١٥٨، ١٦٤، ١٦٩، ١٧١، ١٨٦
أبو الهيثم: ٢٤٢	١٩٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٧، ٢٢٦
أحمد بن حنبل: ٣٩٣، ٣٩٢، ١٤٥	٢٢٩، ٢٨٠، ٢٩٣، ٣٠٥، ٣١٦
أحمد (الخميني): ٣٢٠	٣٤٥، ٣٥٤، ٣٦٢، ٣٦٤، ٣٩٦
الأحنف بن قيس: ٣٠٦	٣٩٩، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤١٦
أسامة: ٣٨٥	جلال الدين الرومي: ٢٤٨، ٧٥
إسحاق بن يعقوب: ٣٩٩، ٤٠٠، ٤١٠	الحارث بن عمر: ١٠٧، ١٠٨
إسماعيل <small>عليه السلام</small> : ٢٥	حافظ الشيرازي: ٢٧٣، ٢٧٤
الأشعث بن قيس: ٣٧٤، ٣٤٥، ١٤٠	الحاكم أبو القاسم الحسكاني: ١٠٧
الإمام الخميني: ٤٨، ١٠٩، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٩	الحجاج بن يوسف: ١٠٣، ١٠٤، ١٤٧
١٨٣، ١٩٣، ٢٠٨، ٢٢٠، ٢٢٣	حذيفة: ١٤١
٣٨٢، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٧	الحسن البصري: ١٤٦، ١٤٧
أمية بن خلف: ٢٥٠	الحسن بن الجهم: ٣١٨
بختيار: ٢٢١	الحسن بن علي <small>عليه السلام</small> : ١٥٣، ٢١٥، ٢٢٠، ٣٠٧، ٣٨٢
البروجردي: ٤٠٩	٣٩٥، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٠
البروفسور شاندل: ٣٨٩	الحسن بن علي العسكري <small>عليه السلام</small> : ٢٧٤، ٣٦٣، ٣٩٨
بشير الدهان: ١٠٠	٤٠٥، ٤١٣
التفتازاني: ٣٣	الحسن بن علي الوشاء: ٨٦
تيم: ١٦٩	الحسين بن خالد: ١٥٩
جابر بن سمرة: ٣٩٢	الحسين بن روح: ٤١٢، ٤١٨
جابر بن عبدالله الأنصاري: ٣٩٩	الحسين بن علي <small>عليه السلام</small> : ١١٣، ١١٤، ١٥٣، ١٦٧، ٢٢٠
جبرئيل <small>عليه السلام</small> : ٣٦٥، ٢٨٤	٣٠٧، ٣٩٦
جعفر بن محمد الصادق - أبو عبدالله <small>عليه السلام</small> :	الحضرمي: ١٠٦
٤٧، ٦٧، ٦٨، ٧٠، ٨٤، ٨٥، ٨٧	حمزة بن عبدالمطلب: ٣٢٤
٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١١٣، ١١٤	خبيب بن عدي: ٢٤٩
١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٥٢، ١٥٣	خواجو: ٢٧٣

الخوارزمي: ١٠٦	الشافعي: ١٤٥
داود <small>عليه السلام</small> : ٣٠٢، ٣٠١	الشاه (محمّد رضا بهلوي): ١٠٩، ١٧٣، ١٧٤،
داود الرقي: ٨٥	٢٢١، ١٧٥
الدجال: ١٦١	شينكلر: ٢٠٤
ذو الخويصرة: ٣٦٧، ٣٦٦، ٣٦٥	شعيب <small>عليه السلام</small> : ٢٨٨، ٩٤
راسل: ٢٠٥	الشهيد مطهري: ١٩٤، ١٩٦، ٣٤١
الراغب الإصفهاني: ٢٣	الشيخ الطوسي: ٨٥
رضا خان بهلوي: ٢٩١	صالح <small>عليه السلام</small> : ٩٤
الزبير: ٣٢٢، ٢٤٥، ٢٤٢، ٢٤١	صفوان بن أمية: ٢٥٠
زرارة: ١١٦	صفوان الجمال: ٣٠٥
زيد: ١٦٠	الطبراني: ١٠٥
زيد بن الدثنة: ٢٥٠، ٢٤٩	الطبرسي: ٢٤٤، ١٠٧
زيد بن علي: ١٧٠	طلحة: ٣٢٢، ٢٤٥، ٢٤٢، ٢٤١
سالم بن مكرم: ٤١٠، ٤٠٩، ٤٠٨، ٤٠٧	عائشة: ١٤٢
سدير الصيرفي: ١٧٠، ١٦٩، ١٥٨، ١٠٨	عامر بن سعد: ٢٣٥
سعد بن عبادة: ٢٢٤	عامر بن واثلة: ٢٤٣
سعد بن عبدالله القمي: ٣٨٨	العباس: ٢١٨
سعيد بن العاص: ٢٤١	عبدالله بن أبي: ٣٢٤، ٢٣٧
السفياني: ١٥٩	عبدالله بن أبان: ٨٥
سلمان رشدي: ٢٢٢	عبدالله بن الزبير: ٢٤٢
سلمان الفارسي: ٢٦٦، ١٥٣	عبدالله بن طارق: ٢٤٩
سلمة بن عطا: ١١٣	عبدالله بن عباس: ٦٢، ٩٦، ١٦٩، ٢٨٠، ٣٢١،
سلمة بن يزيد: ١٤٠	٣٧١
سليمان <small>عليه السلام</small> : ٢٧٣	عبدالله بن عمر: ١٠٠، ١٠٣، ١٠٤، ١٤٢، ٢٤١
سليمان بن مهران الأعمش: ٣٩٩	عبدالله بن مسعود: ١٤٣، ٣٩٣
سهل بن حنيف: ٢٤٢، ٢٤١	عبدالله بن المطيع: ١٠٤

٢٩٢، ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٨٥	عبدالرحمن بن أذينة: ٦٥
٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١، ٢٩٥، ٢٩٣	عبدالرحمن بن أبي ليلى: ٦٥، ٦٤
٣١١، ٣٠٩، ٣٠٧، ٣٠٦، ٣٠٤	عبدالملك بن مروان: ١٠٤، ١٠٣
٣٢١، ٣١٩، ٣١٨، ٣١٦، ٣١٣	عبيدالله بن أبي رافع: ٢٤١
٣٣٤، ٣٢٩، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٢	عثمان بن سعيد العمري: ٤١٨، ٤١٢
٣٥٨، ٣٥٧، ٣٥٤، ٣٤٥، ٣٤٣	عثمان بن عفان: ٣٢٧، ٢٤٢
٣٦٣، ٣٦٢، ٣٦١، ٣٦٠، ٣٥٩	عدّي: ١٦٩
٣٧٥، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٩، ٣٦٦	عدّي بن أوطاة: ٢٠٦
٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٠، ٣٨٢، ٣٧٦	العلامة الأميني: ١٠٠
٤٠٥	العلامة الطباطبائي: ٣١٢، ٢١١، ١١٠، ١٠٨، ٨١، ٧٣
علي بن الحسين - زين العابدين عليه السلام:	العلامة المجلسي: ٢٠٩
٣٧١، ١٥٩، ١٥٣، ١٣٨، ١٠٨	علي بن أبي طالب - أمير المؤمنين عليه السلام:
٣٩٦	٣٩، ٣٨، ٤٥، ٤٣، ٤٢، ٤١، ٤٠
علي بن محمد السمرري: ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٨	٦٢، ٥٩، ٥٨، ٥٧، ٥٦، ٤٧، ٤٦
علي بن محمد الهادي عليه السلام: ٨٦، ٣٩٧، ٤٠٦	٦٣، ٦٦، ٧١، ٨٤، ٩٦، ١٠٣
علي بن موسى الرضا عليه السلام: ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٨٥، ٨٦	١٠٤، ١٠٦، ١١٥، ١٢٧، ١٢٨
١٨١، ١٧١، ١٥٩، ١٥٣، ١١٨	١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٥٠، ١٥٣
٣٩٧، ٣١٨، ٣١٢، ٢٠٣، ١٨٨	١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٨١
علي محفوظ: ١٤٧	١٨٥، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣
عمار: ٢٤٢، ١٥٣	١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢١٠
عمر بن أذينة: ٧١، ٦٤	٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥
عمر بن حفظة: ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٧	٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠
عمر بن الخطاب: ٢١٨، ٢٤٥، ٢٥٤، ٢٨٥	٢٢٣، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩
عمرو بن العاص: ٢٠٦، ٢٠٧، ٣٧١، ٣٧٢	٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٤٠، ٢٤٢
عمرو بن عبيد: ٦٨، ٦٧	٢٤٥، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
عوف بن مالك: ١٤١	٢٥٨، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٨٤

٢٢٢	غورياتشوف:	١٦٩، ١٧٢، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٣
٩٦	فاطمة الزهراء <small>عليها السلام</small> :	١٩٩، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٧
٢٨٨، ٢٧، ٢٦، ٢٤	فرعون:	٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧
٩٩	الفضيل بن يسار:	٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥
١٢٧	القاضي البيضاوي:	٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠
١٠٦	قنبر:	٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨
١٦٧	قيس بن سعد:	٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٥٥
٢٦٧، ٢٥٥	قيصر:	٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١
٢٦٧، ٢٥٥	كسرى:	٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٩
٨٠	الكليني:	٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٨٠، ٢٨١
٩٤	لوط <small>عليه السلام</small> :	٢٩٢، ٢٩٣، ٣٠٢، ٣١٧، ٣١٨
١٤٦، ١٤٥	مالك:	٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٢٨، ٣٢٩
٣٧١، ٢٣٣	مالك الأشتر:	٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٤٣، ٣٤٦
٣١٧، ٢٧٣	المحدث القمي:	٣٤٧، ٣٥٤، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٦٥
١٥٣	محمد بن أبي بكر:	٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٦، ٣٧٩
٢٢٩	محمد بن حرب الهاللي:	٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤
محمد بن عبد الله - رسول الله - النبي <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> :		٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠
٦٣، ٦٢، ٥٧، ٥٥، ٤٦، ٤٣، ٤١		٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥
٨٤، ٨٣، ٧٥، ٧١، ٦٦، ٦٥، ٦٤		٣٩٩، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٦
٨٧، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٩		٤٠٨، ٤٠٩، ٤١١، ٤١٣، ٤١٦
١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤		٤١٨
١١٥، ١١١، ١٠٨، ١٠٦، ١٠٥		محمد بن عثمان العمري: ٤١٠، ٤١٢، ٤١٨
١٣١، ١٢٨، ١٢٦، ١١٩، ١١٦		محمد بن علي الباقر - أبو جعفر <small>عليه السلام</small> : ٧٨، ٨٠
١٤٠، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦		٨٦، ١٠٧، ١١٠، ١١٦، ١١٧
١٤٥، ١٤٤، ١٤٣، ١٤٢، ١٤١		١١٩، ١٥٤، ١٦٠، ١٧٠، ١٧٢
١٦٨، ١٦٤، ١٦٣، ١٦١، ١٤٧		٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٤، ٣٠٣، ٣٤٤

٤١٠، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٨

٤١٦، ٤١٣، ٣٩٦

النبهاني: ١٠٦

محمد بن علي الجواد عليه السلام: ٣٩٧

نجدة بن عويمر: ٣٣

محمد بن مسلم بن شهاب الزهري: ١٣٨

النعمان: ١٧٢

محمد بن منصور: ١٢٠

نوح عليه السلام: ١٠٦، ٩٤

محمد حسن المظفر: ١٢٧

هارون عليه السلام: ٣٩٠

محمد رضا المظفر: ١٢٨

هشام بن الحكم: ٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٧

محمد سليمان محفوظ: ١٠٦

هشام الفوطي: ٣٤

محيي الدين النووي الشافعي: ١٤٦

هود عليه السلام: ٩٤

مروان بن الحكم: ٣٢٧، ٢٤٢، ٢٤١

الهيثمي: ١٠٦

مسروق: ٣٩٣

وحشي: ٢٧٣

مصطفى (الخميني): ٥٠

الوليد بن عقبة بن أبي معيط: ٢٤٢

معاوية بن أبي سفيان: ١٠٣، ١٦٥، ١٦٧، ٢٠٦

الوليد بن المغيرة: ٢٤٩

٢٠٩، ٢١١، ٢٢٠، ٢٤٥، ٣٠٦

يزيد بن معاوية: ٢٢٠، ١٠٤

٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٤

معاوية بن وهب: ٣٠٣

المعلّي بن خنيس: ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٤٥

المقداد: ١٥٣

موسى عليه السلام: ٧٠، ١٦٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٦٧

٤١٣، ٣٩٠

موسى بن جعفر الكاظم - أبو الحسن عليه السلام:

١٢٠، ١٧١، ٣٩٧

المهدي - صاحب الزمان (عج):

١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٨

١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٨، ٢٢٠

٢٢٣، ٣٨٨، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠

٤٠٣، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٨، ٤٠٩

فهرس الجماعات والقبائل

٢٨٢، ٢٨٠، ٢٧٥، ٢٤٧، ٢٤٠	٣٠٥	آل العباس:
٣٨٥، ٣٨٤، ٣٦٦، ٣٤٨، ٢٨٥	١٧١، ١٦٢، ٨٠	آل محمد ﷺ:
٤١٦، ٤١٥، ٤١١	٩٧، ٨٦، ٨٤، ٨٢، ٨٠، ٦٣، ٤٧	الأئمة ﷺ:
٣٢٤، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٦	١٦١، ١٦٠، ١٥٤، ١٥٢، ١١٩	الأنصار:
٢٢٣، ٩٤	١٧٠، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٤، ١٦٣	أولو العزم:
٢٠٣	٢٣١، ٢٢٩، ٢٢٠، ١٨٢، ١٧٧	أصحاب الإمام الباقر ﷺ:
٣٠٥، ٨٥، ٧١، ٦٤	٣٩٥، ٣٦٤، ٣٤٤، ٣٠٥، ٢٥٦	أصحاب الإمام الصادق ﷺ:
٤٠٧	٤١٢، ٤١٠، ٤٠٣	
١٢٠	٢٩، ٢٥	أصحاب الإمام الكاظم ﷺ:
١٦٨	٥٥	أصحاب عيسى ﷺ:
٢٥٠، ٢٤٠	١٤٨، ١١٦	أصحاب محمد ﷺ:
٢٤٥	٩٤، ٨٢، ٧٧، ٥٤، ٥٢، ٢٩، ٢٦	أهل الإسلام:
١٧٠	١٧٨، ١٦٢، ١٦١، ٩٨، ٩٥	أهل بدر:
٦٧، ٦٥	١٩٧، ١٩٦، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٢	أهل البصرة:
٨٣، ٧٩، ٦٣، ٥٤، ٥٢، ٥٠، ٣٣	٢٢٦، ٢٢٣، ٢١٧، ٢٠١، ١٩٩	أهل البيت ﷺ:
١٠٥، ١٠٤، ٩٢، ٨٩، ٨٧، ٨٤		

٣٨٢	شعب الكوفة:	١١٣، ١١٠، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦
١٤٨، ١١٦	العباسيون:	١٥٢، ١٢٧، ١٢٦، ١٢٥، ١٢٣
٦٥	عبد القيس:	٣٠٦، ٣٠٣، ٢١٨، ١٧٨، ١٧٧
٢٦٦	العجم:	٤١٢، ٤٠٨، ٤٠٦، ٣٩٥، ٣٩٤
٢٦٦، ٢١١	العرب:	٤١٩، ٤١٨، ٤١٤، ٤١٣
١٧١	علماء آل محمد ﷺ:	٩٦، ١٠٠، ١٠٦، ١٢٧، ١٢٩
١٣١، ١٢٧	علماء السنة:	٣٩٣، ١٤٦، ١٣٩
٤٩	علماء قم:	٣٧١، ١٦٦
٢٠٤	العلمانيون:	٧٠
٢٦٩	فارسي:	١٠٤
٣٤٢	الفلاسفة الأوربيون:	٢٢٨
٣٧٦، ٣٧٠	القاسطون:	أوصياء محمد ﷺ: ٤١٣
٢٤١، ٢٣٦، ٢٣٤، ٢١٨، ١٠٤	قريش:	بنو أذينة: ٦٥
٢٦٠، ٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٢		بنو إسرائيل: ٣٩٣
٣٩٥، ٣٩٤، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٢٣		بنو تميم: ٣٦٥
١٦٧	قوم موسى ﷺ:	بنو تميم: ٢١٨
٢٤٩	كفار قريش:	بنو عدى: ٢١٨
٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠، ٤٢، ٣٩	المارقون:	بنو هاشم: ٢٦٠، ٢١٨
٣٧٦		الحكام العباسيون: ٤١٣
٥٨، ٥٠، ٤٨، ٤٦، ٤٥، ٣٩، ٢٦	المسلمون:	الخوارج: ٣٣، ٤١، ٤٤، ٤٥، ١٦٦، ٢٢٨
١٠٣، ١٠٢، ١٠٠، ٩٦، ٦٣		٣٧٢، ٣٧١، ٣٧٠
١٣٧، ١٣٦، ١٣٥، ١٣١، ١٢٩		الروم: ٢٦٩، ٢٦٦
١٤٢، ١٤١، ١٤٠، ١٣٩، ١٣٨		زعماء قريش: ٢٦١
١٤٩، ١٤٨، ١٤٦، ١٤٥، ١٤٣		الشعب الإيراني: ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٣٤٠، ٣٤٩
١٦٧، ١٥٩، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٥		٤١٧، ٣٨٢، ٣٦٦
٢٢٥، ٢١٩، ١٩٤، ١٨٠، ١٧٨		شعب الحجاز: ٣٨٢

٣٢٤، ٢٤١، ٢٤٠	المهاجرون:	٢٦٠، ٢٥٥، ٢٤٩، ٢٤٨، ٢٤٦
٣٧٦، ٣٧٠	الناكثون:	٢٧٥، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦
٣٤، ٣٣	النجدات:	٣٣٤، ٣٣٣، ٣٢٩، ٣٢٤، ٣٢٣
٤١٨، ٤١٤	النواب الأربعة:	٣٦٨، ٣٦٥، ٣٥٣، ٣٤٧، ٣٣٥
٢٤٩	هذيل:	٣٨٥، ٣٨٤، ٣٨٣، ٣٧٥، ٣٧٢
٢٣٦	هوازن:	٤٠٦، ٤٠١، ٣٩٠، ٣٨٧، ٣٨٦
		٤١١، ٤٠٩، ٤٠٨

فهرس الأماكن والبلدان

آذربيجان:	٢٤٥	القصر الأحمر:	٣٥
أحد:	٣٢٣، ١٠٦	قصر المدائن:	٢٦٦
أوريا:	٣٤٢، ٣٤١	الكعبة:	٢٥
إيران:	٤٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٩٤، ٢٠٨	الكوفة:	٣٧٣، ١٦٧، ٦٤
	٢٨١، ٣٦٩، ٢٢١	المدرسة الفيضية:	٥٠
البصرة:	١٤٦، ٦٨، ٦٥	مدين:	٢٨٨
بلاد فارس:	٢٦٦	المدينة:	٦٥، ٨٥، ٢٢٩، ٢٦٦، ٣٢٣
الحجاز:	٣٨٦، ٣٤٥		٣٢٤
سامراء:	٤١٣، ٣٩٨	المروّة:	١٠٦
السقيفة:	٢٢٣، ٢١٩، ٢١٧	مسجد البصرة:	٦٨
الشام:	٢٦٦، ٢٤٢	مسجد الكوفة:	١٠٦
الصفاء:	١٠٦	مكة:	٦٥، ٨٥، ٢٤٩، ٢٥٠، ٣٨٤
صنعاء:	٢٦٦	موسكو:	٢٥
العراق:	٣٩٣، ٣٨٢	النجف الأشرف:	٢٢١
غدير خم:	٢٩١	النهر وان:	٢٧٢، ١٦٦، ٦٢
فخ:	١٧٠	اليمن:	٢٦٩، ٢٦٦، ٦٥
فرنسا:	٢٢١	ينبع:	١٧٠

فهرس الفرق والمذاهب

الإسلام:

٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩،

٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧،

٢٤٩، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٨، ٢٦٠،

٢٦١، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١،

٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٩، ٢٨٢،

٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٧،

٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٥، ٣٢١،

٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٧، ٣٣١،

٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٣، ٣٤٤،

٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١،

٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦١،

٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٨،

٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٩،

٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٤، ٣٨٦، ٣٨٩،

٣٩٣، ٣٩٨، ٤٠٢، ٤٠٥، ٤٠٨،

٤٠٩، ٤١١، ٤١٢، ٤١٥، ٤١٧،

٢٤، ٢٩، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢،

٤٣، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٣،

٥٦، ٥٦، ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٧٩، ٨١،

٨٢، ٩٢، ٩٩، ١٠٠، ١٠١،

١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٩،

١١١، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨،

١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣،

١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٦،

١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٢، ١٤٤،

١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٧،

١٥٨، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٥، ١٦٨،

١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨،

١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٦،

١٨٨، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١،

٢٠٤، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢١٣،

٢١٤، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٦، ٢٣٣،

الأشاعرة:	١٢٧، ٣٣
السنة:	٣٩٨، ١٢٧، ١١٥، ٦٢
الشيعة:	١٢٨، ١٢٧، ١١٥، ٨١، ٦٢
	٣٩٨، ١٦٩، ١٥٤، ١٥٢، ١٢٩
المعتزلة:	٦٧، ٣٤، ٣٣

فهرس الغزوات والوقائع والأيام

الأحزاب:	٢٦٦، ٢٦٩	يوم الدار:	٢٤٢
الثورة الإسلامية في إيران:	١٧٣	يوم عرفة:	١٩٩
ثورة الحسين بن عليّ (شهيد فخ):	١٧٠	يوم القيامة:	٨٠، ٧١، ٢١١، ٣١٣، ٣٩٣
ثورة زيد بن عليّ:	١٧٠		
حرب الجمل:	١٤٦		
حرب صفّين:	٤٠، ١٦٧، ٣٥٤، ٣٧٠		
حرب النهروان:	٣٦٦		
عام الفيل:	٣٩٥		
معركة أُحد:	٣٢٣		
واقعة الحُرّة:	١٠٤		
واقعة الطّفّ:	١٠٤		
واقعة النهروان:	٢١٩		
يوم بدر:	٢٤٢، ٣٢٤		
يوم حُنين:	٢٣٦		

فهرس المنابع والمآخذ



- ١ - إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدين، لأبي الفيض محمّد بن محمّد الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ. ق)، دار الفكر - بيروت.
- ٢ - الاحتجاج على أهل اللجاج. لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسي (ت ٦٢٠ هـ. ق) تحقيق: إبراهيم البهاري ومحمّد هادي به، دار الأسوة - طهران، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. ق.
- ٣ - الاختصاص. المنسوب إلى أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الرابعة ١٤١٤ هـ. ق.
- ٤ - اخلاق مديريت دراسلام، للمؤلف، منشورات دار الحديث الثقافية - طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ. ش.
- ٥ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد. لأبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ. ق)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت (عليه السلام) - قم، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. ق.
- ٦ - إرشاد القلوب، أبو محمّد الحسن بن محمّد الديلمي (ت ٧١١ هـ. ق)، مؤسّسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ. ق.

- ٧ - اسلام شناسی ، للدكتور علي شريعتي (معاصر) ، مطبعة طوس - مشهد .
- ٨ - اصطلاحات الأصول ، آية الله المشكيني (معاصر) ، منشورات الهادي - قم .
- ٩ - أعلام الدين في صفات المؤمنين ، لأبي محمد الحسن بن أبي الحسن الديلمي (ت ٧١١ هـ. ق) ، تحقيق ونشر : مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم ، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ. ق .
- ١٠ - إعلام الوري بأعلام الهدى ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ. ق) ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، دارالمعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ. ق .
- ١١ - أمالي الصدوق . لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق) ، مؤسسة الأعلمي - بيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ. ق .
- ١٢ - أمالي الطوسي . لأبي جعفر محمد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ. ق) ، تحقيق : مؤسسة البعثة ، دارالثقافة - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ. ق .
- ١٣ - أمالي المفيد ، لأبي عبدالله محمد بن النعمان العكبري البغدادي المعروف بالشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ. ق) ، تحقيق : حسين أستاذ ولي وعلي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي - قم ، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ. ق .
- ١٤ - امامت و رهبري ، للشهيد مرتضى المطهري (ت ١٣٥٨ هـ. ش) ، منشورات صدرا - قم ، الطبعة العاشرة ١٣٧٢ هـ. ش .
- ١٥ - الإمامة والتبصرة من الحيرة ، لأبي الحسن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٢٩ هـ. ق) ، تحقيق : محمد رضا الحسيني ، مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم ، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ. ق .
- ١٦ - امت وامامت
- ١٧ - أهل البيت في الكتاب والسنة ، للمؤلف ، منشورات دارالحديث الثقافية - طهران ، الطبعة الأولى ١٣٧٥ هـ. ش .

حَقُّ النَّبَاءِ

- ١٨ - بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام . للعلامة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ت ١١١٠ هـ. ق) ، مؤسسة الوفاء - بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ. ق .

- ١٩ - البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ. ق)، تحقيق ونشر: مكتبة المعارف - بيروت.
- ٢٠ - البدر الزاهر
- ٢١ - بر كزیده افكار راسل
- ٢٢ - بصائر الدرجات. لأبي جعفر محمد بن الحسن الصفار القمي المعروف بابن فروخ (ت ٢٩٠ هـ. ق)، مكتبة آية الله المرعشي - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٢٣ - البلد الأمين، لتقي الدين إبراهيم بن زين الدين الحارثي الهمداني المعروف بالكفعمي (ت ٩٠٥ هـ. ق).

حزق النبأ

- ٢٤ - تاج العروس من جواهر القاموس. للسيد محمد بن محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ. ق)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ. ق.
- تاريخ الأمم والملوك = تاريخ الطبري.
- ٢٥ - تاريخ بغداد أو مدينة السلام. لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ. ق)، المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ٢٦ - تاريخ دمشق (ترجمة الإمام الحسن عليه السلام)، لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ. ق)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة المحمودي - بيروت.
- ٢٧ - تاريخ دمشق (ترجمة الإمام علي عليه السلام)، لأبي القاسم علي بن الحسين بن هبة الله المعروف بابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١ هـ. ق)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، دارالتعارف - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ. ق.
- ٢٨ - تاريخ الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ. ق)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف - بيروت.
- ٢٩ - تاريخ المدينة المنورة، لأبي زيد عمر بن شبّه النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ. ق)، تحقيق: فهد محمد شلتوت، دار التراث - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ. ق.

- ٣٠ - تحف العقول عن آل الرسول ﷺ. لأبي محمد الحسن بن عليّ الحرّاني المعروف بابن شعبة (ت ٢٨١ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ. ق.
- ٣١ - تذكرة الخواص (تذكرة خواص الأمة)، ليوسف بن فرغليّ بن عبدالله المعروف بسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ. ق)، تقديم: السيّد محمد صادق بحر العلوم، مكتبة نينوى الحديثة - طهران.
- ٣٢ - الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. لعبدالعظيم بن عبد القوي المنذري الشامي (ت ٦٥٦ هـ. ق)، تحقيق: مصطفى محمد عمارة، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ. ق.
- ٣٣ - تعميم امامت، بني صدر، معاصر.
- ٣٤ - تفسير ابن كثير، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير البصريّ الدمشقيّ (ت ٧٧٤ هـ. ق)، تحقيق: عبدالعظيم غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا، دار الشعب - القاهرة.
- ٣٥ - تفسير الطبري (جامع البيان في تفسير القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ. ق)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. ق.
- ٣٦ - تفسير العياشي. لأبي النضر محمد بن مسعود السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي (ت ٣٢٠ هـ. ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلمية - طهران، الطبعة الأولى ١٣٨٠ هـ. ق.
- ٣٧ - تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، لأبي عبدالله محمد بن عمر المعروف بفخر الرازي (ت ٦٠٤ هـ. ق)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ. ق.
- تفسير القرآن العظيم = تفسير ابن كثير.
- ٣٨ - تفسير القرآن العظيم مسنداً عن الرسول (تفسير ابن أبي حاتم الرازي)، لعبد الرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧ هـ. ق)، تحقيق: أحمد عبدالله عمّار زهراني، مكتبة الدار - المدينة المنورة.
- ٣٩ - تفسير القرآن الكريم، للسيّد مصطفى الخميني رحمه الله، (ت ١٣٥٦ هـ. ش)، منشورات وزارة الإعلام والثقافة الإسلامية - طهران.

- ٤٠ - تفسير القمّي. لأبي الحسن عليّ بن إبراهيم بن هاشم القمّي (ت ٣٠٧ هـ ق)، إعداد: السيّد الطيّب الموسوي الجزائري، مطبعة النجف الأشرف.
- ٤١ - تفسير الكشاف (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، لأبي القاسم محمود ابن عمر الزمخشري (ت ٥٢٨ هـ ق)، دار الكتاب العربي - بيروت
- ٤٢ - تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، لمحمّد بن محمّد رضا المشهدي (ت ١١٢٥ هـ ق)، تحقيق: الشيخ مجتبى العراقي، مؤسّسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ق.
- ٤٣ - تفسير مجمع البيان. لأبي عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي والسيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ق.
- ٤٤ - تفسير نور الثقلين. للشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي (ت ١١١٢ هـ ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المطبعة العلمية - قم.
- ٤٥ - تفسير نمونه، جمع من العلماء تحت إشراف آية الله مكارم الشيرازي، دار الكتب الإسلامية - قم.
- ٤٦ - التهذيب (تهذيب الأحكام في شرح المقنعة)، لأبي جعفر محمّد بن الحسن المعروف بالشيخ الطوسي (ت ٤٦٠ هـ ق)، دار التعارف - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ق.
- 
- ٤٧ - جاذبه ودافعه على ﷺ، للشهيد مرتضى المطهري (ت ١٣٥٨ هـ ش)، منشورات صدرا - قم.
- ٤٨ - جامع الأحاديث. لأبي محمّد جعفر بن أحمد بن عليّ القمّي المعروف بابن الرازي (القرن الرابع هـ ق)، تحقيق: السيّد محمّد الحسيني النيسابوري، الحضرة الرضويّة المقدّسة - مشهد، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ق.
- ٤٩ - جامع الأخبار أو معارج اليقين في أصول الدين، لمحمّد بن محمّد الشعيري السبزواري (القرن السابع هـ ق) تحقيق و نشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ - قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ق.

٥٠ - الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ. ق)، دار الفكر - بيروت.

٥١ - الجرائم والقوائم

٥٢ - الجعفریات أو الأشعثیات. لأبي الحسن محمد بن محمد بن الأشعث الكوفي (القرن الرابع هـ. ق)، مكتبة نينوى - طهران، طبع في ضمن قرب الإسناد.

٥٣ - جواهر الكلام في شرح شرايع الإسلام، للشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٦٦ هـ. ق)، مؤسسة المرتضى العالمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ق.

حَوَالِي

٥٤ - حكومت در اسلام

٥٥ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني (ت ٤٣٠ هـ. ق)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ. ق.

حَوَالِي

٥٦ - الخرائج والجرائح. لأبي الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ. ق)، تحقيق ونشر: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ. ق.

٥٧ - خصائص الأنفة عليه السلام. لأبي الحسن محمد بن الحسين بن موسى الموسوي البغدادي المعروف بالشريف الرضي (ت ٤٠٦ هـ. ق)، تحقيق: محمد هادي الأميني، مجمع البحوث الإسلامية - مشهد، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ق.

٥٨ - خصائص الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ. ق)، إعداد: محمد باقر المحمودي، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ. ق.

٥٩ - الخصال. لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ. ق.

- ٦٠ - خلافت وولایت از نظر قرآن وسنت، محمد تقي الشریعتي (ت ١٣٦٦ هـ. ش)، حسینیة الإرشاد - طهران، الطبعة الثانية ١٣٥١ هـ. ش.
- ٦١ - الخلافة والامامة،
- ٦٢ - خمسون ومائة صحابي مختلق، للعلامة السيد مرتضى العسكري، معاصر، دار الزهراء - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ق.

حُرُوقُ الدِّلَالِ

- ٦٣ - دراسات في ولاية الفقيه، للشيخ محمد المنتظري، معاصر، المركز العالمي للدراسات الإسلامية.
- ٦٤ - الدر المنثور في التفسير المأثور. لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ. ق)، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ. ق.
- ٦٥ - دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام. لأبي حنيفة النعمان ابن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي (ت ٣٦٣ هـ. ق)، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، دار المعارف - مصر، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ. ق.
- ٦٦ - دلائل الصدق، للشيخ محمد حسن المظفر (ت ١٣٠١ هـ. ق)، دار العلم - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٩٦ هـ. ق.
- ٦٧ - ديوان الإمام علي عليه السلام، المنسوب إلى الإمام علي عليه السلام، تحقيق: محمد بن الحسين الكيدري (ت القرن السادس هـ. ق)، منشورات الأسوة - طهران، الطبعة الأولى ١٣٧٣ هـ. ش.

حُرُوقُ الدِّلَالِ

- ٦٨ - روضة الواعظين، لمحمد بن الحسن بن علي القتال النيسابوري (ت ٥٠٨ هـ. ق)، تحقيق: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ق.

حُرُوقُ الدِّلَالِ

- ٦٩ - سعد السعود، لأبي القاسم علي بن موسى بن طاووس الحلبي (ت ٦٦٤ هـ. ق)، منشورات الشريف الرضي، الطبعة الأولى ١٣٦٣ ش.

- ٧٠ - سفينة البحار ، للشيخ عباس القمّي (ت ١٣٥٩ هـ. ق) ، دار المرتضى - بيروت.
- ٧١ - سنن ابن ماجه. لأبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٥ هـ ق)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٥ هـ ق.
- ٧٢ - سنن أبي داود. لأبي داود سليمان بن أشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥ هـ ق)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار إحياء السنّة النبويّة.
- ٧٣ - سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ. ق)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٤ - السنن الكبرى. لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ ق)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ ق.
- ٧٥ - سنن النسائي (بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الإمام السندي)، لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ ق)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ ق.
- ٧٦ - سيرة ابن هشام (السيرة النبويّة)، لأبي محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨ هـ. ق)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأنباري، مكتبة المصطفى - قم، الطبعة الأولى ١٣٥٥ هـ ق.
- ٧٧ - السيرة الحلبية، لعليّ بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت ١٠٤٤ هـ. ق)، شرح: السيّد أحمد زيني دحلان، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٧٨ - سيرى در نهج البلاغه، للشهيد مرتضى المطهري (ت ١٣٥٨ هـ. ش)، منشورات صدرا - قم، الطبعة التاسعة ١٣٧٢ هـ. ش.

حَوْلَ الشَّيْخِ

- ٧٩ - شرح المقاصد، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٦٩٣ هـ. ق)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ. ش.
- ٨٠ - شرح نهج البلاغة. لعزّ الدين عبدالحميد بن محمد بن أبي الحديد المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ ق)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ. ق.

- ٨١ - شرح نهج البلاغة، لكمال الدين ميثم بن علي البحراني المعروف بابن ميثم (ت ٦٧٩ هـ. ق)، تصحيح: عدّة من الفضلاء، دارالعلم الإسلامي - الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ. ق.
- ٨٢ - شعب الإيمان. لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ ق)، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد ابن بسيوني زغلول، دارالكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ. ق.
- ٨٣ - شهداء أهل البيت
- ٨٤ - شيعه در اسلام، للعلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٣٦٠ هـ. ش)، مجمع العلامة الطباطبائي العلمي - قم، الطبعة الثامنة ١٣٦٠ هـ. ش.
- ٨٥ - الشيعة في الإسلام
- ٨٦ - شؤون فقهيه،

جزء الصلاة

- ٨٧ - صحيح البخاري. لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ ق)، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ. ق.
- ٨٨ - صحيح مسلم. لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ ق)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ق.
- ٨٩ - صحيفة نور، مجموعة كلمات الإمام الخميني (ت ١٣٦٨ هـ. ش)، منشورات آثر الإمام الخميني (ت).
- ٩٠ - الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم، لأبي محمد علي بن محمد النباطي البياضي، (ت ٨٧٧ هـ. ق)، تحقيق: محمد باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية - طهران.
- ٩١ - صفات الشيعة، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق و نشر: مؤسسة الإمام المهدي (ت) - قم، الطبعة الأولى ١٣١٠ هـ. ق.

جزء الصلاة

- ٩٢ - الطبقات الكبرى. لمحمد بن سعد كاتب الواقدي (ت ٢٣٠ هـ ق)، دار صادر - بيروت.

- ٩٣ - الطبّ، لابننا بسطام النيسابوريين (معاصر)، مطبعة محمّد علي فردين - طهران.
- ٩٤ - الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، لأبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحليّ، (ت ٦٦٤ هـ. ق)، مطبعة خيّام - قم.

جزء الغدير

- ٩٥ - عدل در جهان بينى توحيدى، للمؤلف، مركز الإعلام الإسلامى - قم، الطبعة الحادية عشر ١٣٧٤ هـ. ش.
- ٩٦ - علل الشرايع، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، دار إحياء التراث العربى - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. ق.
- ٩٧ - عيون أخبار الرضا عليه السلام، لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ. ق)، تحقيق: السيّد مهدي الحسيني اللاجوردي، منشورات جهان - طهران.

جزء الغدير

- ٩٨ - الغدير في الكتاب والسنة والأدب، للعلامة الشيخ عبدالحسين أحمد الأمينيّ (ت ١٣٩٠ هـ. ق)، دار الكتاب العربى - بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٨٧ هـ. ق.
- ٩٩ - غرر الحكم ودرر الكلم، لعبدالواحد الآمديّ التميميّ (ت ٥٥٠ هـ. ق)، تحقيق: مير سيّد جلال الدين المحدث الأرمويّ، جامعة طهران، الطبعة الثالثة ١٣٦٠ هـ. ش.
- ١٠٠ - الغيبة. لأبي جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ. ق)، تحقيق: عباد الله الطهراني وعليّ أحمد ناصح، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ. ق.
- ١٠١ - الغيبة. لأبي عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفر الكاتب النعماني (ت ٣٥٠ هـ. ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مكتبة الصدوق - طهران.

جزء الفاء

- ١٠٢ - فتح الأبواب، لأبي القاسم عليّ بن موسى بن طاووس الحليّ (ت ٦٦٤ هـ. ق)، تحقيق: حامد الخفاف، مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ. ق.

- ١٠٣ - فرهنك معين، للدكتور محمد معين (معاصر)، مؤسسة أمير كبير - طهران، الطبعة الثامنة ١٣٧١ هـ.ش.
- ١٠٤ - فضائل الصحابة، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ.ق)، تحقيق: فاروق حمادة، دار الثقافة - بيروت.
- ١٠٥ - فضائل الصحابة من فتح الباري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ.ق)، دار الكتاب العالمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠ م.
- ١٠٦ - الفقيه (من لا يحضره الفقيه)، لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- ١٠٧ - فلسفة الوحي والنبوة، للمؤلف، منشورات دار الحديث الثقافية - طهران، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.ق.

حرف التاء

- ١٠٨ - قصص الأنبياء، لأبي الحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف بقطب الدين الراوندي (ت ٥٧٣ هـ.ق)، تحقيق: غلامرضا عرفانيان، الحضرة الرضوية المقدسة - مشهد، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ.ق.

حرف الهمزة

- ١٠٩ - الكافي، لأبي جعفر ثقة الإسلام محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت ٣٢٩ هـ.ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ.ق.
- ١١٠ - الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن محمد الشيباني الموصلي المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ.ق)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ.ق.

- ١١١ - كشف الغمّة في معرفة الأئمّة. لعليّ بن عيسى الإربلي (ت ٦٨٧ هـ ق)، تصحيح: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، دارالكتاب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ ق.
- ١١٢ - كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، لأبي منصور الحسن بن يوسف الحلّي، (ت ٧٢٦ هـ ق)، تحقيق: حسين الدركاهي، منشورات وزارة الإعلام والثقافة الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ق.
- ١١٣ - كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لأبي عبد الله محمّد بن يوسف الكنجي (ت ٦٥٨ هـ ق)، تحقيق: محمّد هادي الأميني، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام - قم، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ق.
- ١١٤ - كمال الدين وتمام النعمة. لأبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القميّ المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسّسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ق.
- ١١٥ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال. لعلاء الدين عليّ المتقي ابن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ ق)، تصحيح: صفوة السقا، مكتبة التراث الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ق.
- ١١٦ - كنز الفوائد. لأبي الفتح محمّد بن عليّ بن عثمان الكراچكي الطرابلسي (ت ٤٤٩ هـ ق)، إعداد: عبدالله نعمة، دار الذخائر - قم، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ق.

خَوَالِدُ

- ١١٧ - لسان العرب. لأبي الفضل جمال الدين محمّد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١ هـ ق)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ ق.
- ١١٨ - لغتنامه دهخدا

خَوَالِدُ

- ١١٩ - مبانى خدا شناسى، للمؤلّف، منشورات وزارة الإعلام والثقافة الإسلامية - طهران، الطبعة الأولى ١٣٦٩ هـ ش.

- ١٢٠ - مباني شناخت، للمؤلف، مركز الإعلام الإسلامي - قم، الطبعة الرابعة ١٣٧٢ هـ.ش.
- ١٢١ - مجمع البحرين، لفخر الدين الطريحي (ت ١٠٨٥ هـ ق)، تحقيق: السيّد أحمد الحسيني، مكتبة نشر الثقافة الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ق.
- ١٢٢ - مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ ق)، تحقيق: السيّد هاشم الرسولي المحلاتي والسيّد فضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ ق.
- ١٢٣ - مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لنور الدين عليّ بن أبي بكر الهيتمي (ت ٨٠٧ هـ ق)، تحقيق: عبدالله محمد درويش، دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ ق.
- ١٢٤ - المحاسن. لأبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٨٠ هـ ق)، تحقيق: السيّد مهدي الرجائي، المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤١٣ هـ ق.
- ١٢٥ - المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء، للمولى محسن بن المرتضى الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١ هـ ق)، تصحيح: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم.
- ١٢٦ - مختصر بصائر الدرجات، للحسن بن سليمان الحلّي (القرن التاسع)، انتشارات الرسول المصطفى - قم.
- ١٢٧ - المذاهب الإسلامية
- ١٢٨ - المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ ق)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ق.
- ١٢٩ - مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، للحسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (ت ١٣٢٠ هـ ق)، تحقيق و نشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ ق.
- مستطرفات السرائر = النوادر.
- ١٣٠ - مستطرفات السرائر، لأبي جعفر محمد بن منصور الحلّي (ت ٥٩٨ هـ ق).
- ١٣١ - مسند أبي داود الطيالسي. لسليمان بن داود الجارود البصري المعروف بأبي داود الطيالسي (ت ٢٠٤ هـ ق)، دار المعرفة - بيروت.

- ١٣٢ - مسند أحمد. لأحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ ق)، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤ هـ ق.
- ١٣٣ - مسند فردوس الأخبار، لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩ هـ ق)، تحقيق: نواز أحمد زملي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـ ق.
- ١٣٤ - مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، لأبي الفضل علي بن الحسن الطبرسي (القرن السابع هـ ق)، دار الكتب الإسلامي - طهران.
- ١٣٥ - مصادر نهج البلاغة وأسانيده. لعبد الزهراء الحسيني الخطيب (ت ١٣٨٦ هـ ق)، دار الأضواء - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ ق.
- ١٣٦ - مصباح الكفعمي، لنقي الدين إبراهيم بن زين الدين الحارثي المعروف بالكفعمي (ت ٩٠٥ هـ ق)، منشورات الشريف الرضي - قم.
- ١٣٧ - مصباح المتهجد. لأبي جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ ق)، تحقيق: علي أصغر مرواريد، مؤسسة فقه الشيعة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ق.
- ١٣٨ - المصنّف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (ت ٢٣٥ هـ ق)، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر - بيروت.
- ١٣٩ - مطالب السؤول في مناقب آل الرسول. لكمال الدين محمد بن طلحة الشافعي (ت ٦٥٤ هـ ق)، النسخة المخطوطة في مكتبة آية الله المرعشي - قم.
- ١٤٠ - معاني الأخبار. لأبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ ق)، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٣٦١ هـ ش.
- ١٤١ - المعجم الأوسط. لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ ق)، تحقيق: أبو معاذ وإبراهيم الحسيني، دار الحرمين - الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ ق.
- ١٤٢ - المعجم الكبير. لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ ق)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ ق.
- ١٤٣ - المغازي للواقدي، لمحمد بن عمر بن واقد (ت ٢٠٧ هـ ق)، تحقيق: مارسدن جونس، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٤ هـ ق.

- ١٤٤ - مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي (ت ١٣٥٩ هـ. ق)، منشورات الأُسوة - طهران.
- ١٤٥ - مفردات ألفاظ القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٤٢٥ هـ. ق)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دارالقلم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ. ق.
- ١٤٦ - مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين
- ١٤٧ - مكارم الأخلاق. لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ. ق)، تحقيق: علاء آل جعفر، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ. ق.
- ١٤٨ - مكتب تشييع
- ١٤٩ - الملاحم والفتن في ظهور الغائب المنتظر ﷺ، لأبي القاسم علي بن طاووس الحلي (ت ٦٦٤ هـ. ق)، مؤسسة الأعلمي - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. ق.
- ١٥٠ - الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ. ق)، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ق.
- ١٥١ - الملل والنحل، للشيخ جعفر السبحاني (معاصر)، مركز مديرية الحوزة العلمية - قم، الطبعة الثانية ١٣٧١ هـ. ش.
- ١٥٢ - مناقب آل أبي طالب (مناقب ابن شهر آشوب)، لأبي جعفر رشيد الدين محمد ابن علي بن شهر آشوب المازندراني (ت ٥٨٨ هـ. ق)، المطبعة العلمية - قم.
- ١٥٣ - مناقب الإمام أحمد بن حنبل، لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت ٥٩٧ هـ. ق)، دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٢ هـ. ق.
- ١٥٤ - مناقب الإمام علي ﷺ، لأبي الحسن علي بن محمد الجلالي المعروف بابن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ. ق)، تحقيق: محمد جواد المرعشي النجفي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم.
- ١٥٥ - المناقب لابن المغازلي، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد الواسطي الشافعي المعروف بابن المغازلي (ت ٤٨٣ هـ. ق)، إعداد: محمد باقر البهبودي، دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية ١٤٠٢ هـ. ق.
- ١٥٦ - المناقب للخوارزمي، لأبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم (ت ٥٦٨ هـ. ق)، تحقيق: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، الطبعة الثانية ١٤١١ هـ. ق.

١٥٧ - موسوعة الفرق الإسلامية

- ١٥٨ - مهج الدعوات و منهج العبادات. لأبي القاسم علي بن موسى الحلّي المعروف بابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ. ق)، دار الذخائر - قم، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ. ق.
- ١٥٩ - ميزان الحكمة، للمؤلف، منشورات دار الحديث الثقافية - طهران.
- ١٦٠ - الميزان في تفسير القرآن. للعلامة محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤٠٢ هـ. ق)، إسماعيليان - قم، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ. ق.

جزء الثامن

- ١٦١ - نزهة الناظر وتنبيه الخواطر، للحسين بن محمد الحلواني (القرن الخامس هـ. ق)، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهدي عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ. ق.
- ١٦٢ - نواذر الراوندي، لفضل الله بن علي الحسيني الراوندي (ت ٥٧٣ هـ. ق)، المطبعة الحيدرية - النجف الأشرف، الطبعة الأولى ١٣٧٠ هـ. ق.
- ١٦٣ - نهج البلاغة، ما اختاره أبو الحسن الشريف الرضي محمد بن الحسين بن موسى الموسوي من كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (ت ٤٠٦ هـ. ق)، تحقيق: السيد كاظم المحمدي ومحمد الدشتي، انتشارات الإمام علي عليه السلام - قم، الطبعة الثانية ١٣٦٩ هـ. ش.
- ١٦٤ - نهج السعادة في مستدرک نهج البلاغة، لمحمد باقر المحمودي، معاصر، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

جزء التاسع

- ١٦٥ - وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ. ق)، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت عليه السلام - قم، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ. ق.
- ١٦٦ - ولاية الفقيه

جزء العاشر

- ١٦٧ - ينباع المودة، لسليمان بن إبراهيم القندوزي البلخي (ت ١٢٩٤ هـ. ق)، مؤسسة الأعلمي - بيروت.